مجلة «حمورابي» للدراسات
مجلة فصلية محكمة تعنى بالشؤون السياسية والستراتيجية
العدد 27 ــ 28 ــ السنة السادسة ــ صيف ــ خريف 2018

رئيس التحرير: **أ. د. سامي حمود الحاج جاسم**

هيأة التحرير

أ. د. خيري عبد الرزاق جاسم ـ مركز الدراسات الدولية والاستراتيجية ـ جامعة بغداد
أ. د. محسن صالح ـ كلية العلوم الاجتماعية ـ الجامعة اللبنانية
أ. د. سعيد مجيد دحدوح ـ أستاذ العلوم السياسية ـ العراق
أ. د. مثنى علي حسين ـ كلية العلوم السياسية ـ جامعة بغداد
أ. د. سعدون حمود جثير ـ كلية الإدارة والاقتصاد ـ جامعة بابل
أ. د. وسام فاضل راضي ـ كلية الإعلام ـ جامعة بغداد
سكرتارية التحرير: **زهراء صالح مهدي**
التصحيح اللغوي: **حميد كاظم جبر**

الهيأة الاستشارية

أ. د. أمحمد مالكي ـ أستاذ العلوم السياسية ـ المغرب
أ. د. نورهان الشيخ ـ أستاذ العلوم السياسية ـ مصر
أ. د. عماد الجواهري ـ أستاذ التاريخ الحديث ـ العراق
أ. د. محمد عثمان الخشت ـ أستاذ الفلسفة ـ مصر
أ. د. بدر الدين عبدالله حسن ـ القانون الدولي ـ السودان
د. عبد الحسين شعبان ـ القانون الدولي ـ العراق
أ. د. عروس الزبير ـ أستاذ علم الاجتماع ـ الجزائر
أ. د. كامل وزنة ـ أستاذ الاقتصاد ـ لبنان

التصميم والإخراج: هوساك كومبيوتر برس ـ هاتف: 345687 1 00961 ـ بيروت

الاشتراك السنوي: للأفراد: 30 دولاراً أمريكياً
للمؤسسات: 50 دولاراً أمريكياً
خارج الوطن العربي: 80 دولاراً أمريكياً

البريد الإلكتروني: HAMMURABIMAGAZINE@YAHOO.COM
رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق في بغداد:
1709 لسنة 2012

ISSN 2227-5312

المحتويات

بحوث حمورابي

دور النخبة السياسيّة والمثقف السياسي في التحوّل الديمقراطي (العراق أنموذجاً) — الباحثة: هبة علي حسين 4

دوافع المرأة للأنخراط في التنظيمات الاسلامية العنيفة — الباحثة: فاطمة عطا جبار 10

العلاقات العراقية الإسبانية بعد عام 2003 — أ. د. ستار جبار الجابري 41

المفاوضات التركيّة الأوربيّة — الباحثة: رؤى خليل سعيد 78

الفاعلون الجُدُد: الدور الهندي في النظام الدولي (الفرص والتحديات) — م. د. علاء عبد الوهاب عبد العزيز 96

أثر المؤسسة الدينية في النظام السياسي الايراني — د. رائد ارحيم محمد 120

المراسل الحربي التلفزيوني — الباحث: كاظم عيدان شديد 133

الأبواب الثابتة

البحث المُترجَم — قسم الترجمة في مركز حمورابي للبحوث والدراسات الإستراتيجيّة 152

عرض الرسائل والأطاريح — م. م. زهراء صالح مهدي 158

عرض الكتب العربيّة والأجنبيّة — قسم الترجمة في مركز حمورابي للبحوث والدراسات الإستراتيجيّة 168
م. م. هبة علي حسين

مركز حمورابي للبحوث والدراسات الاستراتيجية

العنوان: بغداد ـ عرصات الهندية ـ شارع مطعم الريف الإيطالي
بغداد ـ الجادرية ـ صندوق بريد 2405
www.hcrss.org Website: http://www.hcrsiraq.org

Mobile: 00964 - 7810234002
Baghdad - Aljadiriyah - P O. Box: 2405
E-mail: hammurabi.magazine@gmail.com

رقم شهادة التسجيل: Z71874 في 2008/3/27 صادرة عن مكتب مساعدة المنظمات غير الحكومية

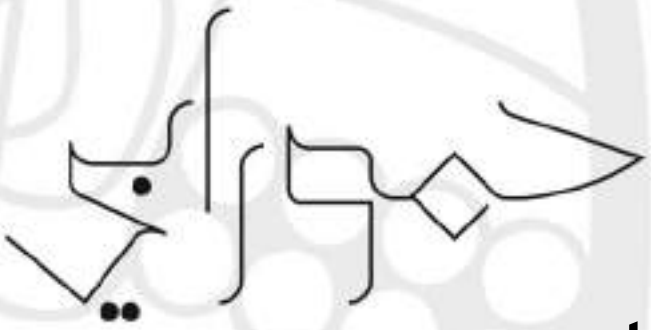

بحوث حمورابي

- النخبة السياسيّة والمثقف السياسي في التحوّل الديمقراطي (العراق أنموذجاً) — الباحثة: هبة علي حسين
- دوافع المرأة للأنخراط في التنظيمات الاسلامية العنيفة — الباحثة: فاطمة عطا جبار
- العلاقات العراقية الإسبانية بعد عام 2003 — أ. د. ستار جبار الجابري
- المفاوضات التركيّة الأوربيّة — الباحثة رؤى خليل سعيد
- الفاعلون الجُدُد: الدور الهندي في النظام الدولي (الفرص والتحديات) — م. د. علاء عبد الوهاب عبد العزيز
- أثر المؤسسة الدينية في النظام السياسي الايراني — د. رائد ارحيم محمد
- المراسل الحربي التلفزيوني — الباحث: كاظم عيدان شديد

دورُ النخبةِ السياسيَّة والمثقفِ السياسيّ في التحوّلِ الديمقراطيَ (العراقُ أنموذجاً)

هبة علي حسين*

باحثة في مركز حمورابي للبحوث والدراسات الإستراتيجيّة

* باحثة من العراق

المُقدمة

إن نجاح الديمقراطية مرتبطٌ أساسا بتوفر العديد من العوامل السياسية، والإقتصادية، والثقافية. لذا فإنّ وجود النُخَبِ في النظم الديمقراطية أمرٌ واجبٌ، إذ إن مفاهيم الديمقراطية لا تتجذّرُ عند جميع الناس بل عند قلة منهم، وهؤلاء يجب عليهم حمايةُ هذه المفاهيم، وإقناعُ الآخرين بها. إن عملية التحول الديمقراطي تحتاجُ الى نخبة فكرية ديمقراطية، لها حضورُها القويٌ والفاعلُ على الساحة الشعبية وفي الدولة، لذلك يقعُ على مثقفي العراق دورٌ هامٌ في توصيل فكرة الحوار وثقافتها وأبعادها ونتائجها وأدواتها لأعلى المستويات من قيادات العملية السياسية في العراق لأبسط إنسان، كما على مثقفي العراق أن يبحثوا عن طريق المساهمة الفعّالة في حياة المواطن. لذلك سوف نتناول في هذه الدراسة مبحثين: المبحث الأول يتناول دورَ النخبة السياسية والمثقف السياسي في بناء الديمقراطية، أما المبحثُ الثاني يتناول النخبة السياسية والتحول الديمقراطي في العراق.

المبحث الأول: دور النخبة السياسيَّة والمثقف السياسي في بناء الديمقراطيَّة:

يُعدُّ تعميقُ الوعي السياسي لدى أفراد المجتمع أحد عوامل الاستقرار الإجتماعي والسياسي الذي سينعكس حتماً على التطور العمراني والسياسي، فالاستقرارُ السياسي يعتمدُ على الثقافة السياسية،إذ إنَّ التجانسَ الثقافي والتوافقَ بين ثقافة النخبة والجماهير يساعدان على الاستقرار، أما التجزئةُ الثقافية بين عقلية النخبة وعقلية الجماهير، فتمثّلُ مصدرَ تهديدٍ لاستقرار النظام السياسي.[1]

(1) رشا رعد حميد، النظم السياسية والسياسات العامة، رسالة ماجستير (غير منشورة)، كلية العلوم السياسية، جامعة النهرين، 2014، ص156.

قبل الحديث عن دور المثقف السياسي في عملية التحول الديمقراطي ونشر الوعي السياسي في العراق لا بدَّ من تحديد مفهوم النخبة السياسية والمثقف السياسي.

أولاً: النخبة السياسية

وردت تعاريفُ كثيرةٌ للنخبة، لكنَّها اُستخدمت أول مرة في القرن السابع عشر من لدى أصحاب المتاجر لوصف البضائع ذات الصفات المتميزة لديهم، وبحلول نهاية القرن أصبح هناك استخدامٌ أوسعُ للمصطلح، وبالتدريج وفي القرن التاسع عشر تمَّ توسيعُ المصطلحِ، واستخدامُهُ من المحللين السياسيين، والإجتماعيين للإشارة الى الفئة الحاكمة او الفئة المهيمنة، وبعد ذلك أخذَ المصطلحُ يُشيرُ الى الأشخاص الذين يقفون على قمة الهياكل الإجتماعية الأساسية لمجتمعٍ ما.هناك مَن عَرَّفَ النخبةَ «بكونها الأقلية داخل اي تجمّع اجتماعي مثل المجتمع، والدولة، والحزب السياسي»، أو هي «أية جماعة تمارس نفوذاً متفوقاً داخل المجتمع».[2]

(2) دينا هاتف مكي، النخبة ودورها السياسي في الوطن العربي منذ الاستقلال – دراسة حالة العراق ومصر، اطروحة دكتوراه (غير منشورة)، كلية العلوم السياسية، جامعة بغداد، 2005، ص8.

كما إن كلمة النخبة واحدة من المصطلحات الأكثر عموميةً التي استخدمتها الدراسات السوسيولوجية الوصفية، إذ تشير الى أيِّ مجموعة او فئة مالكة للقوة، والنفوذ، والمؤهلات، والإمتيازات.» وينتمي لهذه الفئة السياسيون او القساوسةُ، والأذكياءُ والمجرمون، والناجحون، ويمكن إتّباعُ اسلوب أفضلُ من هذا بتضييق نطاق هذا المفهوم والنظر الى النخب بعدّها تتميزاً عن الأنواع الأخرى من الفئات الإجتماعية بامتلاكها نوعاً ما من أنواع القوة.[3]

(3) جون سكوت، علم الاجتماع: المفاهيم الأساسية، ترجمة: محمد عثمان، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، بيروت، 2009، ص362.

والنخبةُ هي «مجموعة من الأفراد الذين يقودون المجتمع» وهي بهذا المعنى مفهومٌ قديمٌ ارتبط تاريخياً بالحاجة الى تنظيم ممارسة السلطة وعملية صنع القرار. فنجد على سبيل المثال أن كلاً من افلاطون وارسطو قد تعرضا لفكرة النخبة، فتحدث افلاطون عن حكم الفلاسفة بوصفه أصلحَ أنواعِ الحكم، في حين ركّز ارسطو على مزايا حكم الطبقة الوسطى لإعتدالها. ومن بعد تنوّعت مساهمة الفلاسفة والمفكرين بشأن تحديد مصادر قوة النخبة، فذكر «سان سيمون» أن كل عنصر يفرز النخبة المناسبة له سواءاً كانت عسكرية، ام دينية، ام اقتصادية، وأكد «اوغست كونت» صلاحيةَ النخبة الارستقراطية العلمية، وعلى هذا قام بالتمييز بين ما أسماه بالسلطة الدينية والسلطة الزمنية.[4]

(4) نقلاً عن: علي الدين هلال ونيفين مسعد، النظم السياسية العربية: قضايا الاستمرار والتغيير، ط5، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 2010، ص161.

تتألف النخبة السياسية من «أولئك الذين يملكون مقاليد القوة في أي جهاز سياسي، وهؤلاء يشملون القيادة، والتشكيلات الاجتماعية التي أتى منها هؤلاء القادة، والتي من خلالها يتمُّ تقدير، وحساب كل شيء خلال مدة زمنية معينة».

وتُعرف النخبة بأنها «جماعة صغيرة داخلة في نطاق الطبقة السياسية في المجتمع خلال مدة زمنية معينة، فهي تشمل كبار الموظفين والإدارات العليا، والقادة العسكريين، وفي بعض الأحيان الأسرَ ذاتَ النفوذ السياسي كالأسرة الارستقراطية او الملكية، هذا فضلاً عن أصحاب المشروعات الإقتصادية الكبرى».[5]

(5) توم بوتومور، الصفوة والمجتمع، ترجمة: محمد الجوهري وآخرون، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1988، ص ص31ـ32.

ينطلقُ «باريتو» في تفسيره النخبة من فكرة التمايز، أي عدم المساواة في قدرات الأفراد، إذ يجعل من تلك الفكرة مبدأً ثابتاً لتوصيف حالة انقسام المجتمع، التي ينظر إليها كمسألة حتمية لا مناصَ منها، ويذهب الى أنه يُمكِنُ التمييزُ بين فئة من الناس، وأخرى فيما يتعلق بإمكاناتها، ونشاطاتها بجملة من المؤشرات المتعلقة بالقدرات الجسمانية والعقلية، مثل المهارات، والذكاء، وغيرها بما يسمح المجال أمام جماعة ما تمثل أقلية لإحتلال مكانة اجتماعية عالية.[6]

(6) مولود زايد الطبيب، علم الاجتماع السياسي، دار الكتب الوطنية، بنغازي، ليبيا، 2007، ص193.

كما يشير مصطلحُ النخبةِ في معناه العام الى جماعة من الأفراد يشغلون مراكزَ النفوذ، والسيطرة في مجتمع معيّن، وتُمثّلُ النخبةُ أكثرَ الطبقاتِ هيبةً، واثراً، ويشير المصطلح الى الفئة العليا في أحد ميادين التنافس، إذ ان النخبة تضمُّ البارزين والمتفوقين بالقياس الى غيرهم، ما يجعلهم قادةً في ميدان معيّن، بذلك يُمكنُ أن نشير الى نخبة سياسية، ونخبة في العمل، ونخبة في الفن، ونخبة علمية، ونخبة اقتصادية الى غير ذلك من الميادين.[7]

(7) مولود زايد الطبيب، مصدر سبق ذكره،، ص189.

ثانيًا: المثقف السياسي

المثقف في اللغة «ثَقْف وثَقِفَ وثَقف» وتثقيف كلمة من أصل الفعل الثلاثي (ثقف) بمعنى حاذِق، فاهِم، ضابِط لما يحويه، ذو فطنة، وذكاء. المعنى الأدق للمثقف وهو ما تحقق فيه معنيان: التفوق الفكري الذي يؤهّله للمعنى الثاني وهو التقويم، والتهذيب، ولعلَّ هذا المعنى أدقُّ في وصف هذه الفئة، لأن الجهد التهذيبي عنصرٌ أساسٌ في شخصية المثقف، ولفظةُ مثقف عرَبيةٌ، وخلاصة ما تدل عليه هذه الكلمة أنّها تعني أصحاب الجهدِ الفكري في مقابل أصحاب الجهد اليدوي.[8]

(8) عبد الرحمن الزنيدي، المثقف العربي بين العصرانية والاسلامية، رسالة ماجستير (غير منشورة)، كلية العلوم الاجتماعية، جامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية، 2012، ص8.

بينما عرّف «أحمد مجدي حجازي» المثقفَ بأنه «ذلك الشخصُ الذي أُوتيَ حظاً من المعرفة العامة تشكّل، وتطوّر خلال خبرة الممارسة اليومية أو من خلال خبرة الصراع مع الحياة المعيشية، هذا القدر المعرفي الذي يتيح له توصيفَ قضايا مجتمعة يدفعه نحو إيجابية توظيف هذه المعرفة في تحليل المجتمع ونقده وما يقابله من قضايا مساهماً في وضع بدائل النظام القائم او وضع حلول عملية تنبوية لمجتمعه».[9]

(9) نقلا عن: دينا هاتف مكي، النخبة ودورها السياسي في الوطن العربي منذ الاستقلال: دراسة حالة العراق ومصر، أطروحة دكتوراة (غير منشورة)، كلية العلوم السياسية، جامعة بغداد، 2005، ص78.

ويذهب «هشام شرابي» في تعريفِه المثقفَ بأنه «المستوعب للثقافة، وانه يتميّز بصفتين هما الوعي الإجتماعي الذي يُمَكِّنُ الفردَ من رؤية المجتمع، وقضاياه من زاوية شاملة، وتحليل القضايا على مستوى نظري متماسك، والدور الإجتماعي الذي يمكن ان يؤديَه وعيُه الإجتماعيُّ، فضلاً عن القُدُرات الخاصةُ التي سيضيفها عليه اختصاصُهُ المهنيُّ او كتاباته الفكرية». ويوظّف «عزيز السيد جاسم» الوعيَ أيضا في تعريفِه المثقفَ بالقول هو «محبذ الوعي الى المسافات البعيدة خارج حدود القناعات السهلة والموافقات الكسولة، وإزاء أحداث لا يمكن الا ان يكون مشاركاً فيها او ضدها بشكل او بآخر».[10]

(10) نقلاً عن: رهبة أسودي حسين، المثقف والسلطة في العراق (1921 ـ 1958)، دار الشؤون الثقافية العامة، 2003، ص22.

المثقف هو الإنسانُ الذي يمثّل القيّمَ العليا لثقافة مجتمعه ويمثل دوره في متابعة الظواهر السلبية التي يعاني منها المجتمع، وايجاد المعالجات الضرورية لتلك الظواهر، وفقاً لمعيار، ومحددات المجتمع، والمثقف اليوم أمام مسؤولية تاريخية للنهوض بالواقع الفكري والسياسي لمجتمعه إذ تكون قراءته للأحداث وتفسيرها من زاوية فكرة بعيدة عن ردود الأفعال، والعواطف الآنية وإعتماد العقلانية، والتفكير العلمي أساساً منهجياً، فضلاً عن جعل الديمقراطية، وقبول الآخر الاختيار الاستراتيجي لتنظيم التعايش في المجتمع.[11]

(11) زيرفان سليمان البرواري، الوعي السياسي وتطبيقاتة (الحالة الكردستانية نموذجا)، مطبعة خاني، دهوك، 2006، ص37.

في الفكر الغربي وردت تعريفات عدّة للمثقف فيرى «ماكس فيبر» أن المثقف هو: «الشخص الذي تُمَكِّنُهُ صفاتُه الخاصةُ من النفاذ الى منجزات لها قيمة ثقافية كبرى». ويرى «بارسونز» أن المثقف هو «الشخص المتخصص في أمور الثقافة ويضع إعتباراتها فوق الإعتبارات اليومية المعتادة»، بينما يرى «لوس فوبير» ان المثقف هو «المتعلمُ والمهني من الطبقة الوسطى الذي يختلف عمن يعمل في الصناعة والتجارة من الطبقة العليا والطبقة الدنيا». بينما يرى «إدوارد شيلز» أن المثقف السياسي هو: «الشخص المتعلم الذي لديه طموح سياسي إما مباشرة بالسعي لكي يكون حاكماً لمجتمعه، او طموحات غير مباشرة للسعي الى صياغة ضمير مجتمعه والتأثير في السلطة السياسية في صياغة القرارات الكبرى».[12]

(12) نقلاً عن: مصطفى مرتضى علي محمود، المثقف والسلطة، دار قباء للنشر والتوزيع، القاهرة، 1998، ص25.

ويرى «روبرت ميشل» أن للمثقفين القدرة على صياغة أحكام على المواقف المختلفة من خلال مفهومة المثقف الذي يقول فيه المثقفون هم: «اولئك الأشخاص الذين يمتلكون المعرفة الموضوعية ومع تأملاتهم الذاتية يصوغون أحكامهم عن الواقع، دون ان يستمدوا هذه المعرفة الموضوعية من خبراتهم الحسية». إما «جوليان بند» فيعرّف المثقفين بـ: «أنهم الذين لا يهدف نشاطهم اساساً الى أغراض

عملية، فهم ينشدون السعادة في ممارسة فن ما أو علم ما». فيبعد «جوليان بند» الإغراض العملية عن نشاطات المثقف الفكرية والفنية.[13]

وحدّد «ليبست» المثقفين بوصفهم «من يبدع ويوزع ويمارس الثقافة، أي العالم الرمزي الخاص بالإنسانية والذي يتضمن الفن، والعلم، والدين». أما «كوزر» بدوره فقد حدّد المثقفين بوصفهم «الأفراد الذين يَعْنُون بالقيم المركزية في المجتمع أو أنهم من يُولي إهتمامه للعالم الرمزي الذي تؤسسه الثقافة».[14]

وعرَّف قاموسُ العلوم السياسية، المثقفَ بأنه «شخص التأمل والتفكير او شخص القدرات الفكرية العالية الذي كرَّس نفسه للدراسة والتأمل، وبصورة خاصة القضايا العميقة، انه الشخص الذي يسترشد بالعقل والفكر بدلاً من العواطف، وينغمس في الأعمال الفكرية والإبداعية وبصورة خاصة في حقول العلم او الأدب او الفن بدلاً من العمل اليدوي».[15]

يعرّف المثقفون بأنهم: «مجموعة من الأشخاص الذين تمكنهم قدراتهم ومواهبهم الخاصة من النفاذ الى منجزات ذات قيمة ثقافية».

ويعرف المثقفون ايضاً «بأنهم اولئك الاشخاص الذين يمتلكون المعرفة وعلى أساس هذه المعرفة الموضوعية، وتأملاتهم الذاتية يصوغون أحكامهم عن الواقع، دون ان يستمدوا هذه الأحكام مباشرة او بالضرورة من خبراتهم الحسية». كما يعرف المثقفون بأنهم «ذلك القطاع من بين قطاعات المتعلمين الذين لهم طموحات سياسية، اما مباشرة بالسعي الى صياغة ضمير مجتمعهم والتأثير في السلطة السياسية في اتخاذ القرارات الكبرى».[16]

ويشمل المثقف جميع الذين يشتغلون بالثقافة إبداعاً، وتوزيعاً، وتنشيطاً، الثقافة بوصفها عالماً من الرموز تشمل الفن، والعلم، والدين، والذين يمكن التمييز بينهم بين نواة تتكون من المبدعين والمنتجين من علماء وفنانين وفلاسفة وكتاب وبعض الصحفيين، يحيط بها اولئك الذين يقومون بنشر ما ينتجه هؤلاء المبدعون مثل الممارسين لمختلف الفنون ومعظم المعلمين والأساتذة والصحفيين يليهم ويحيط بهم جماعة تعمل على تطبيق الثقافة من خلال المهة التي يمارسونها مثل الاطباء والمحامين».[17]

إما تحليلُ «غرامشي» الإجتماعي للمثقف كإنسان ينجز مجموعة معينة من الوظائف في المجتمع، هو أقرب بكثير الى الواقع، وبخاصة في أواخر القرن

(13) نقلاً عن: رهبة أسودي حسين، المثقف والسلطة في العراق (1921 ـ 1958)، مصدر سبق ذكرة، ص22.

(14) نقلاً عن: جيرار ليكرك، سوسيولوجيا المثقفين، ترجمة: جورج كنورة، دار الكتاب الجديدة المتحدة، بيروت، 2008، ص18.

(15) افراح فلاح شيرا، دور المثقفين في التحولات الاجتماعية، رسالة ماجستير (غير منشورة)، كلية القانون السياسية، جامعة بغداد، 1979، ص66.

(16) جعفر نجم نصر، النخبة المؤدلجة: المثقف الاكاديمي العراقي والسلطة السياسية (1968 ـ 2003)، مجلة العميد، العدد (7)، بغداد، الجامعة المستنصرية، ايلول/ سبتمبر 2013، ص199.

(17) دينا هاتف مكي، مصدر سبق ذكره، ص79.

العشرين عندما ثبتت رؤيةُ غرامشي بظهور مثل هذا العدد الكبير من المهن الجديدة من المذيعين، ومحترفي العمل الآكاديمي، والمحللين في مجال الكومبيوتر، والمحامين المختصين بشؤون الرياضة، ووسائل الإعلام، والمستشارين الإداريين وخبراء السياسة، ومستشاري الحكومة، وغيرها فكل من يعمل اليوم في أي حقل مرتبط بانتاج المعرفة او نشرها هو مثقف.[18]

(18) نقلاً عن: أدوارد سعيد، صور المثقف، ترجمة: غسان غصن، ط3، دار النهار، بيروت، 1997، ص26.

ويميّز «غرامشي» بين صنفين من المثقفين، هما المثقف التقليدي، أي المثقف الذي تكون ثقافته متوارثة عبر الأجيال، مثل الأطباء، والمهندسين والفنانين، وغيرهم أي انهم يمتلكون أيديولوجية متوارثة من جيل الى آخر. والمثقف العضوي وبحسب «غرامشي» هو «ذلك المثقف الذي يمتلك قدرة فعالة في مواجهة أزمات معينة ووضع الحلول لها من خلال دراسة الأوضاع الاجتماعية، والاقتصادية، والسياسية، والمثقف العضوي هو الذي يؤثر في توجيهات المجتمع بشكل ايجابي، اي بشكل موضوعي يقع الفائدة، وليس الضرر على أفراد مجتمعه اقتصادياً وسياسياً واجتماعياً.[19]

(19) بشير أسوادي عبد علي، الفكر السياسي عند غرامشي، رسالة ماجستير (غير منشورة)، كلية العلوم السياسية، جامعة بغداد، 2014، ص119.

ويرى غرامشي ان المثقف العضوي هو الذي ينتمي الى شريحة او شرائح المثقفين الذين يزودون طبقة اجتماعية معينة بتجانسها وبوعي وظيفتها الخاصة لا في المضمار الإقتصادي فحسب وانما في المضمار السياسي والإجتماعي ايضاً، وعليه فإن المثقفين العضويين هم الذين يتولون مهام[20]:

(20) نقلاً عن: عبد الرضا حسين الطعان وعامر حسن فياض وعلي عباس مراد، إشكالية السلطة في تأملات العقل الضريبي عبر العصور، ط1، دار الكتب والوثائق، بغداد، 2012، ص ص471 ـ 472.

اولاً: تنظيم الوظيفة الاقتصاديَّة للطبقة التي يرتبطون بها.

ثانياً: تبرير الهيمنة التي تمارسها الطبقةُ السائدةُ في المجتمع المدني عبر مختلف الهيآت الثقافية.

ثالثاً: تنظيم الإكراه الذي تمارسه الطبقة السائدة على سائر الطبقات بوساطة الدولة، إذ يأتي منهم الوزراء وكبار موظفي الدولة.

رابعاً: تزويد الطبقة التي يرتبطون بها عضوياً بالوعي بمصالحها وتصورها المتجانس والمستقبل للعالم.

كل إنسان مثقف الى حد ما، بمعنى أنه يشارك في رؤية شاملة، ويشير «غرامشي» الى هذا المعنى الواسع للمثقف عندما يكتب حول تغيير العلاقة بين الجهد العقلي وذلك العضلي في سبيل خلق توازن جديد ونوع جديد من المثقف المنهمك فعلاً في الحياة العملية، جامعاً تقنيةَ الاختصاصي بالعلم وبالإنسانية ويصبح بذلك قائداً اختصاصياً وسياسياً.[21]

(21) انطونيو غرامشي، الأمير الحديث: قضايا علم السياسة في الماركسية، ترجمة: زاهي شرفان وقيس الشامي، دار الطليعة، بيروت، 1970، ص171.

أمَّا المثقف التقليدي عند «غرامشي» فهو: «المثقف المرتبط بجماعة يمكن ان تبدو بوصفها جماعةً تقليديةً قائمةً بذاتها ويتمُّ تصنيفه بعدّه مرتبطاً بطبقة زائلة او في طريقها الى الزوال» إذ إن كلَّ مجموعة اجتماعية – سياسية تَظهرُ في لحظة تاريخية معيّنة تكون في الأصل نتاجاً لأحد التطورات الحاصلة في البنية الإقتصادية الإجتماعية السابقة، فإن هذه المجموعة تجدُ في التاريخ وبالشكل الذي دارت فيه عجلته لغاية هذا اليوم أضعافاً من المثقفين وجدوا قبلها أي قبل المجموعة الإجتماعية الأساسية وظهروا بعدّهم ممثلي الاستمرارية التاريخية التي لم تقطعها التغييرات الأكثر تعقيداً او الأكثر جذرية التي طرأت على الأشكال السياسية والإجتماعية.[22]

وتبعاً لذلك فإن المثقف عند «غرامشي» يتحدّد انطلاقاً من أدائه لوظيفة اجتماعية فهو (عضوي) في علاقته المباشرة بالفئات الإجتماعية التي تسيطر على الاقتصاد، وذلك من خلال أدائه وظيفةً إجتماعيةً سواء في الحقل الاقتصادي أم على المستويين الإجتماعي، والسياسي، ومن ناحية أخرى يوجد المثقف (التقليدي) وعلاقته بالفئة المسيطرة غير المباشرة، فعضويته تنتمي الى طبقة أخرى رحلت تاريخياً.

بمعنى آخر فالمثقفُ العضوي هو مثقف مؤسسي، والتقليدي على علاقة غير مباشرة بالمؤسسات ويشكّل المثقفون جزءاً من نظام الدولة بسبب وضعهم داخل الأجهزة الايديولوجية للدولة، كما انهم يرتبطون بالمجتمع المدني من خلال دورهم معبرين إجتماعيين للجماعات الإجتماعية المختلفة لذلك يمكن عدُّ المثقفين موظفين لدى الدولة، وايضاً معبرين ايديولوجيين للمجتمع المدني.[23]

ويُعدُّ كلُّ مَن يعمل اليوم في أي مجال يتَصل بِنتاج المعرفة، او نشرها مثقفاً بالمعنى الذي حدَّده غرامشي. وقد ذكر عالمُ الإجتماع الأمريكي «الفين جولدنز»: «أن المثقفين اصبحوا يشكّلون الطبقة الجديدة، وان المديرين المثقفين قد حلّوا الى درجة كبيرة محل الطبقات القديمة التي كانت تتمتع بالأموال، وبالممتلكات كما ان المثقفين في غضون صعودهم لم يعودوا اشخاصاً يخاطبون الجمهور العريض بل أصبحوا افراداً ينتمون الى ما يسميه ثقافة الخطاب النقدي اي اصبح لهم لغتهم الخاصة او المتخصصة».[24]

ويربط «أدوارد شيلز» بين تعريف المثقفين وبين طموحه السياسي فيقول «ان المثقف هو الشخص المتعلم الذي لديه طموحٌ سياسيٌ أما مباشرةً بالسعي لكي يكون حاكماً لمجتمعه او طموحه غير المباشر للسعي الى صياغة ضمير مجتمعه، والتأثير في السلطة السياسية في صياغة القرارات الكبرى».[25]

(22) عبد الرضا حسين الطعان وعامر حسن فياض وعلي عباس مراد، أشكالية السلطة في تأملات العقل الضريبي عبر العصور، دار الكتب والوثائق، بغداد، 2012، ص472.

(23) نقلاً عن: نادية رمسمس فرح، غرامشي وقضايا المجتمع المدني، دار كنعان للدراسات والنشر، دمشق، 1991، ص324.

(24) نقلاً عن: أدوارد سعيد، المثقف والسلطة، ترجمة: محمد عناني، رؤية للنشر والتوزيع، القاهرة، 2006، ص40ـ ص41.

(25) نقلاً عن: مصطفى مرتضى علي محمود، مصدر سبق ذكره، ص25.

ليس ثمةَ حواجزُ فاصلةٌ بين وظائف المثقف الاقتصادية والسياسية والاجتماعية وبين دوره محققَ تجانسٍ، وفي الأغلب، يحقق المثقف قدراً أعظمَ من التجانس في وعي الطبقة التي يرتبط بها عضوياً، عن طريق الوظائف الاقتصادية والسياسية والاجتماعية التي يمارسها، وعليه ان الطبقة الفرعية او التابعة التي لا يستطيع، بحكم المكانة التي تشغلها في نمط محدد للانتاج، أن تطمح الى قيادة المجتمع لن تنتج في غالب الأحيان سواء مثقفين على المستوى الاقتصادي الحرفي، وسيكون وعيها للعالم بالتالي ملفقاً من عناصر شديدة التباين وفي القطب المقابل سيكون للطبقة السائدة مثقفون متخصصون لجميع الوظائف وستفوز ومن ثم يتصور للعالم يتمتع بقدر كبير من التجانس.[26]

(26) جان مارك بيوتي، فكر غرامشي السياسي، ترجمة: جورج طرابيشي، دار الطليعة، بيروت، 1975، ص ص23 ـ 24.

كما أن وظيفةَ المثقف في أي مجتمع في المقام الأول وظيفةٌ اجتماعيةٌ نقديةٌ، فهو انسان صناعته الفكر والحوار الهادف وزرع الأمل ومحاربة اليأس وتعميق الوعي لدى أبناء المجتمع. ولذلك يأمل المثقف باستقلاله في التفكير وحريته في التعبير ان يستثير في مجتمعه الرغبة في التغيير والنزوع الى التحول الاجتماعي، فهو الذي يستطيع ان يصارح الجماهير وان ينبهها الى ما قد تتعرَّض له من أخطار ويجعلها مهيأة لفهم القرارات التي تتطلب التضحيةَ والبذلَ والعطاءَ. وفي مرحلة النضال- للتخلص من الإستعمار والحصول على الاستقلال- يؤدي المثقفون دوراً اساسياً بل يتحول البعض منهم الى سياسيين لقيادة هذا النضال، ولم يقتصر دور المثقفين في هذه المرحلة على إثارة المشاعر والتعبير عن الرغبة في التجديد ولكن خرج من بين صفوفهم معظمُ الزعاماتِ السياسية الحزبية والتعليمية والصحفية والاجتماعية والاقتصادية نواةً للمجتمع الجديد.[27]

(27) محمود محمد كسبر، التاريخ بين السياسة والاجتماع (رؤية سوسيولوجية)، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية، 1987، ص238.

ويؤدي المثقفون دوراً خاصاً في تنظيم الهيمنة الاجتماعية وسيطرة الدولة، انهم ليسوا اكثرَ من موظفين لدى الجماعة المسيطرة، وخبراءَ في إضفاء الشرعية على الكتلة الحاكمة وهذا ما استدعى غرامشي الى لَحْقِ صفة العضوية بالمثقف ليضطلع المثقف بعد ذلك بمسؤولية نِتاج وإعادة نِتاج المعرفة وفقاً لتصورات الطبقة التي يرتبط بها ويصبح عندها المثقف العضوي المعبر الايديولوجي عن الجماعة والطبقة الاجتماعية المرتبطة بها.[28]

(28) رضوان زيادة، المثقف ضد السلطة: حوارات المجتمع المدني في سورية، مركز القاهرة للدراسات حقوق الانسان، القاهرة، 2005، ص100.

ويؤثّرُ نظامُ الحكم القائم في طبيعة المثقفين، فهم يذعنون ويخفضون رؤوسهم إذا كان الحكمُ صارماً، ولكنَّهم يملأون الدنيا ضجيجاً وصخباً اذا كان متراخي القبضة يقبل الأخذ والرد، هذا من جهة، ومن جهة اخرى فإنهم يعيشون مجدَ بدلهم. ولذلك

تراهم يتسامحون الى حد ما في سوء الحال الاقتصادي وفساد النظام، ولكنهم لا يتسامحون ابداً اذا كان هنالك ما يشير الى جرح كرامتهم الوطنية، وليس يعني هذا أنَّهم أكثرُ وطنية من غيرهم على إظهار ذلك بما يصورونه من وسائل التعبير والقدرة على التأثير في أذهان الناس.[29]

(29) Raymond Aron, theoplum of the intfplleectuals, the Norton, labarary, newyork, 1962, p.179.

وترجع صعوبة الوصول الى تعريف محدد للمثقف ومتفق عليه هو ان المثقفين لا يشكّلون طبقة مستقلة قائمة بذاتها، بل يتغلغلون في الطبقات المكونة للمجتمع، ويتحركون بحرية على سلم المجتمع صعوداً او هبوطاً، وعلى الرغم من تعدد تعريفات المثقف يمكن إرجاعُ هذا التعدد الى معيارين استند إليها الباحثون في تعريف المثقف، وهما معيار الثقافة، ومعيار الوظيفة او الدور.[30]

(30) محمد رياض وتار، شخصية المثقف في الرواية العربية السورية، من منشورات اتحاد الكتاب العرب، 1999، ص13.

المطلوبُ من النخب المثقفة ليس القيام بحركة سياسية واتخاذ مواقف سياسية معارضة للأنظمة القائمة، بل أن تتحمل مسؤولياتها في وضع الأنظمة أمام مسؤولياتها لتحقيق ما التزمت وتعهدت قانوناً بتحقيقه بحكم الاتفاقات الدولية، وأن تحشد النخب السياسية في سبيل جميع إمكاناتها المهنية والعسكرية، وفي إطار التأثير المتزايد لهذه النخبة في إحداث التغيير فإنها تقوم بوظيفة حفظ التوازن داخل المجتمع عن طريق اندماجها وتجددها الذي يكون التغيير محورها الأساس، وهي بتغيرها تقوم بقيادة عملية التغيير والتطور داخل المجتمع.[31]

(31) رشا رعد حميد، مصدر سبق ذكره، ص143.

على العراقيين بنخبهم من الساسة والمثقفين إدراك حقيقة ما يمكن ان تؤول اليه الأوضاع في المنطقة بعيداً عن الانفعالية التي تستند الى العواطف لا الى الواقع، وكما تتردد مطالبُ توحيد السياسيين صفوفهم وترك صراعاتهم جانباً لحماية وحدة البلاد ومستقبلها فإن الشيء ذاته تطالب به النخبُ المثقفةُ وصناع الرأي والمعنيون بضرورة التبصر العميق في النتائج وترك الانفعال والتخلي عن مراعاة مثاليات عاطلة عن العمل حين يتعلق الأمر بحاضر البلاد ومستقبلها وواجب النهوض بمسؤولية التحليل والتشخيص السليم ليفهم الجميع ما ينتظرهم.[32]

(32) ابراهيم حسيب الغالبي، أزمات العراق السياسية: مقالات في الشأن العراقي 2010 ـ 2013، مركز العراق للدراسات، بغداد، 2013، ص235.

فقد برزت في العراق نخبةٌ من المثقفين الذين تميّزوا بالنزعة العصرية، والأخيرة تعتمد في الواقع، مجموعة نزعات فكرية محددة تصبُّ في مضمونها بالنهاية في التأسيس للديمقراطية الليبرالية، بكلمة أوضح، ان النزعة العصرية بخصائصها الفكرية هي التي جعلت من هذه الفئة العصرية المثقفة فئةً مؤهلةً لتبني الديمقراطية الليبرالية والحماس لها.[33]

(33) عامر حسن فياض، 0«الاصول الفكرية للديمقراطية الليبرالية في العراق الحديث»، في ابتسام الكتبي وآخرون، الديمقراطية والتنمية الديمقراطية في الوطن العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 2004، ص151.

المبحث الثاني: النخبة السياسيَّة والتحوّل الديمقراطي في العراق

لقد بات وجودُ النخب في النظم الديمقراطية أمراً واجباً كما يذهب الى ذلك البعض، إذ ان مفاهيم الديمقراطية لا تتجذر عند جميع الناس بل عند قلة منهم، وهؤلاء يجب عليهم حمايةُ هذه المفاهيم، والدفاع عنها، وإقناع الآخرين بها. وحتى تكون النخبة صاحبة تأثير وقدرة في إحداث التغيير نحو الأفضل يجب ان لا تكون مستوردة، وإنما تكون نتاجاً مجتمعياً، وتكون أفكارها منطبقةً من واقع المجتمع، وليست مبنيةً على ثقافات الآخرين، وتجاربهم، كما ان وجود نخبة حاكمة تدير مؤسسات الدولة بكفاءة يُعدُّ من أهم اولوليات خطة تحسين الدولة ضمن مفهوم الإدارة الرشيدة او الحكم الرشيد[34]*.[35]

ونجاح الديمقراطية مرتبطٌ اساساً بتوافر العوامل الأخرى السياسية والاقتصادية، والاجتماعية، والثقافية وهذا معناه ان الدولة الديمقراطية تعني دولة النخبة الوطنية ذات الثقافة العالية المخلصة لأداء مهامها خدمة للشعب، والوطن أي دولة العقل النيّر لأن العقل، وعلى مر التاريخ كان مصدرَ القوةِ، ومبعثَ النفوذِ، ومنطلقَ التقدم.[36]

إستناداً الى ذلك، فإن العراق، ومنذ عام 2003 يمرُ بمرحلةِ تحوّلٍ ديمقراطي، وشَهِدَ حراكاً سياسياً متصاعداً، أدّت به النخب دوراً، وكذا المثقف، وتبعاً لذلك يمكن تقسيم فئات المثقفين في العراق بعد التحول الديمقراطي في عام 2003 الى ثلاث فئات، الفئة الاولى ركزت على العملية الانتخابية والدستور وغيرها من الموضوعات التي لا تخرج عن إطار السلطة، أمَّا الفئة الثانية فيظهر دورُها بصورة أوضحَ عند الحديث عن علاقة المثقف بالسلطة، أمَّا الفئة الثالثة فيتمثل مثقفُها أنه غير راضٍ عن الأوضاع التي يعيش فيها، فيتسمُ نتاجُه بنقد أنماط الحياة، ومثقفو هذه الفئة يمثّلون أصواتاً شابةً تطرق موضوعات ينقصها التسلح بوسائل ثقافية تجسدها أفكارها بصورة صحيحة.[37]

كما شهد العراق بعد 2003/4/9 ظهورَ أول نمط من النخبة الحاكمة بعد التغيير عن طريق تشكيل مجلس الحكم، والذي أريد له تمثيلُ شرائح المجتمع العراقي، لإعطاء الشرعية لهذا المجلس، وما سيصدر عنه لاحقاً وعملياً فإن النخب بعد 2003 سواء من كانت في الحكم، أم خارج الحكم اتسمت جميعها بالرفض المطلق، او القبول المطلق للعملية السياسية في العراق.[38]

عملية التحول نحو الديمقراطية تحتاج الى نخب فكرية ديمقراطية، لها حضورها

(34) الحكم الرشيد: (هو ممارسة السلطة الاقتصادية والسياسية والادارية لتسيير شؤون بلد ما على كافة المستويات، ويشمل الحكم الآليات والعمليات والمؤسسات التي يقوم من خلالها المواطنون والجماعات بالتعبير عن مصالحهم، وممارسة حقوقهم القانونية، والوفاء بالتزاماتهم، وتسوية خلافاتهم، ويتسم الحكم الرشيد بأنهُ يقوم على المشاركة، وان يتسم بالشفافية، وان ينطوي على المساءلة، كما انه يتسم بالفاعلية، والانصاف، ويعزز سيادة القانون).
ينظر الى برنامج الامم المتحدة الإنمائي، ادارة الحكم لخدمة التنمية المستدامة، كانون الثاني/ يناير 1997، ص8، على الرابط:
http://www.wafinfo.ps/"
."pdf/G_0007.pdf

(35) اثير إدريس عبد الزهرة، واقع بناء الدولة الديمقراطية المدنية في العراق بعد العام 2003 ومستقبلها، اطروحة دكتوراه (غير منشورة)، كلية العلوم السياسية، جامعة بغداد، 2013، ص143.

(36) زيادة جهاد حمد البياتي، مفهوم الديمقراطية والمجتمع المدني في فكر الاحزاب السياسية العراقية المعاصرة، رسالة ماجستير (غير منشورة)، العلوم السياسية، جامعة بغداد، 2005، ص189.

(37) رهبة أسودي حسين، المثقف والتحول الديمقراطي في العراق، في (اشكالات التحول الديمقراطي في العراق)، بحوث الندوة العلمية السنوية التي نظمتها الجمعية العراقية للعلوم السياسية، العلوم السياسية، جامعة بغداد، 2009، ص162.

(38) صباح ياسين، النخب العراقية في مواجهة الاستحقاق من بناء الدولة الوطنية استعادة الدور التاريخي، مجلة المستقبل العربي، العدد (395)، كانون الثاني/ يناير 2012، ص143.

القوي والفاعل في الساحة الشعبية وفي الدولة، نخب تحول الفكر الديمقراطي على شكل قبول ورفض في إطار سجال ومحاججة فكرية بين السلطة والمعارضة او على شكل معالجة سواء بالاضافة ام الإلقاء عبر نشاط وحضور فكري تحت إطار عمل سياسي تراكمي بحيث تتجلى الديمقراطية كنظام حكم وكوسيلة لفض النزاعات، وكطريقة لتبادل الرأي وكأسلوب للتفاهم على الحل الوسط والمقتربات بالحوار والعلانية والشفافية والتدريجية والشرعية و«صحافة» حرة.[39]

كما ان عملية التغيير يجب ان تسير على وفق منهج منتظم وتحت إشراف حكيم ونزيه، وهذا يحتاج الى نخب واعية تدرك ضرورة التحول والتغيير وتؤمن به وتخطط له، اي ان تكون النخب مستوعبة لسنن ومقترحات التحول الديمقراطي، وذات خبرة واطلاع على تجارب الشعوب.[40]

ومن المعروف أن التزام النخب السياسية بهدف تحقيق الديمقراطية وتبني أجندة من اجل تحقيق هذا الهدف يعدُّ من العناصر الحاسمة لإنجاز التحول الديمقراطي وضمان استمرارية المؤسسات الديمقراطية.[41]

لقد تمثّل دورُ المثقف العراقي في مرحلة التحول الديمقراطي ضمن الفئة الثانية لماهية المثقف في السعي الحثيث في ابتداع الوسائل في الحصول على السلطة. وحققت الأحزاب بتنظيماتها القومية والمذهبية طموح المثقفين في اتخاذه وسيلة للحصول على مناصب سلطوية ولاسيما ان هذه الأحزاب بحاجة الى وجوه ثقافية تعزز من قدرتها على خوض معارك إعلامية وجدلية حول قضايا متعددة تخلقها ظروفٌ آنيةٌ في أحيان كثيرة.[42]

ويقع على مثقفي العراق دورٌ هامٌّ في توصيل فكرة الحوار وثقافتها وأبعادها ونتائجها وادواتها لأعلى المستويات من قيادات العملية السياسية في العراق لأبسط انسان، كما على مثقفي العراق ان يبحثوا عن طرق المساهمة الفعالة في حياة الوطن.[43]

وهنا نجد ان دورَ النخبِ السياسيةِ العراقيةِ إيجابيٌّ في اعتمادهم الحوار لأن السبيل الوحيد لحل الصراع السياسي هو الوصول لطريق وتفاهم لإدارة الخلاف من خلال صيغة تفاهم او تراضٍ عامٍ، ومن الضروري ان تمرَّ النخبُ السياسية في عملها هذا مستقبلاً وخاصة في إشاعة قيم التسامح والمرونة والمصالحة والشرعية وذلك لن يكون طبعا الا من خلال اعتماد الديمقراطية ثم ان سيادة النخب التساومية المرتكزة على التعددية والرضا المتبادل واعتماد الانتخابات وتقديم الخيارات المتبادلة لحل الخلافات بالطرق الشرعية سيعمل على تجنيب العراق الكثيرَ من المشكلات.[44]

(39) فراس البياتي، التحول الديمقراطي في العراق بعد 3/9/ 2003، العارف للطباعات، بيروت، 2013، ص155.

(40) عزمي بشارة، (مدخل الى معالجة الديمقراطية وأنماط التدين)، في بهان غليون واخرون، حول الخيار الديمقراطي (دراسة نقدية)، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 1990، ص110.

(41) حسنين توفيق ابراهيم وعبد الجبار أحمد عبد الله، التحولات الديمقراطية في العراق: القيود والفرص، مركز الخليج للابحاث، 2005، ص33.

(42) رهبة أسودي حسين، المثقف والتحول الديمقراطي في العراق في (أشكالات التحول الديمقراطي في العراق)، بحوث الندوة العلمية السنوية التي نظمتها الجمعية العراقية للعلوم السياسية، العلوم السياسية، جامعة بغداد، 2009، ص163.

(43) فاروق مجيد سلمان، العراق بين ثقافة التعصب وثقافة الحوار، الملتقى الفكري الاول للنخب العراقية، بغداد، تشرين الاول، 2009، ص7.

(44) عبد الجبار أحمد عبد الله، الانتخابات والتحول الديمقراطي في العراق، في (اشكالية التحول الديمقراطي في العراق)، بحوث الندوة العلمية السنوية التي نظمتها الجمعية العراقية للعلوم السياسية، جامعة بغداد، 2009، ص ص59 ـ 60.

فالمثقف ليس بعيداً عن السياسة، فهو يؤثر من خلال توعية الرأي العام أو تقديم النصح والمشورة للنخبة الحاكمة في أمور الاقتصاد والسياسة والعلوم والثقافة، كما يقوم بوظائف عديدة ذات صلة بالعمل السياسي، مثل العلاقات العامة العلمية، ووضع السياسات المناسبة للانتخابات، والحجج التي تبرر القرار السياسي فضلاً عن الحلول العلمية للمشكلات، والاستشارة السياسية المتكاملة، ويعدُّ المثقف منتجَ وعيٍ للجماهير فلديه سلطة معنوية واسعة لأن كل من يتميز بمقدرته على التغيير يمتلك سلطة، ونظراً الى ان المثقف قادرٌ ابداعياً على تغيير تصورات الجماهير لواقعها، فإنه يغيّر الواقع الإجتماعي نفسه حين يغيّر تصورَ الافراد لواقعهم فهو اذاً سلطة، وبمعنى آخر تشكل المعرفة قوة، والقوة سلطة والمثقف يمتلك المعرفة لذا يمتلك السلطة.[45]

والمثقف ما هو إلَّا صاحبُ الادراكِ والوعي العالي، فقد هضم الثقافات بأنواعها، ولاسيما الثقافة السياسية منها، التي تعدُّ حجرَ الزاويةِ الرئيسَ لإدراك آليات الحكم وانشطة السلطة والى اي ايديولوجية تستند، ومن ثم فإن المثقف يكون بصيراً بالعملية السياسية التي تجري في موطنه وهو يعرف الثغرات، فيستطيع ان يحدّد العلاجات والحلول لأن الذي يدرك العلة لاسيما في كيان الدولة ومؤسساتها سيكون قادراً على وضع العلاجات المتاحة لذلك.[46]

كما ان دراسةَ اشكاليةِ العلاقةِ بين المثقف والسلطة أمرٌ مهمٌّ جداً يجب وعيه، ويجب تحريرُ المثقفِ من هذه السلطة عبر تقويته من جهة، وخلق نظم اجتماعية واقتصادية تعطيه التوازن في الواقع البشري من جهة أخرى، وبهذه الطريقة سينطلق المثقفُ في حركته البنائية والنقدية معاً وسيتحرر الفكرُ من أخطرِ القيود التي يعاني منها، ولا يعني ذلك أنه يجب ان يكون المثقف معارضاً للسلطة، انما المقصود ان يتمكن هذا المثقف من الإدلاء بالنقد البّناء لواقعه او المساهمة في تكوين بناء جديد لهذا الواقع لا التقوقع داخل عقدة النقد نفسها، او السعي لتكوين طبقة اجتماعية لها سلطة تسمى بطبقة المعرفة والعلم.[47]

والمثقفون طبقات، فمنهم من يستطيع ان يدرك ويفهم ويشارك في الأمور الفكرية او الفنية او الأدبية، ولكن ليس بالضرورة ان يكون مبدعاً في هذه الحقول وهناك المبدع وهناك المثقف العادي والجميع يتدرجون ضمن مفهوم الثقافة او التخصص، يجب ان يكون مرفقاً باطلاع عام على قضايا الفكر، او غيره في مجالات الثقافة ومتابعاً لقضايا العصر وكيفية مجابهتها.[48]

(45) أسعاف أحمد، المثقف العربي: إشكالية الدور الفاعل، مجلة جامعة دمشق، العدد (+3 4)، 2004، ص ص-360 362.

(46) جعفر نجم نصر، النخبة المؤدلجة: المثقفالاأكاديمي العراقي والسلط السياسية (1968 ـ 2003)، مجلة العميد، العدد(7)، بغداد، الجامعة المستنصرية، أيلول، 2013، ص199.

(47) حيدر حب الله، المثقف والسياسة: بين الانتماء السياسي والحياد العلمي، ص7؛على الرابط:
http://www.habbd/ah.com/"include/content/files/13725906_maqatat/28".

(48) خير الدين حسيب، دور المثقفين العرب في الاصلاح الديمقراطي، مجلة المستقبل العربي، العددان (343)، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ايلول/ سبتمبر، 2007، ص7.

وللمثقفِ دورٌ كبيرٌ يجب ان يؤديَه في تحرير المواطن مما عَلِقَ فيه من سلبيات، وهذا الدور يتجلَّى بالدرجة الاولى بإنزال الثقافة من الأدراج العالية، ويضعها في متناول اليد والتداول، وهذا المثقف مؤهل كذلك لإنزال المعارف من عليائها، ونقلها من إطارها النظري الى سياقها العملي وتعميم فائدتها، لتطوير المجتمع وحمايته من الهيمنة الداخلية ومن تعرضه للاحتواء الخارجي، وبلورة اتجاهاته وإخراج النقاش الوطني من الغرف المغلقة الى الفضاء الرحب واعطاء هذا النقاش العلني دورَه ومضمونَه في تشكيل الرأي العام وبلورة الرأي الآخر.[49]

ويرتبط عمل النخبة بالمجال المعرفي الذي تتحرك داخله ومن خلال تعدد المجالات المعرفية للنخب تستطيع ان تفرض سلم القيم المنشودة داخل المجتمع في علاقاتها ورؤاها ومنطلقاتها وهذه المبادئ او القيم المنشودة تأخذ منحى مناهج العمل المتعلقة بتنظيم شؤون المجتمع التي قد تصطدم بالقناعات المحلية والفرعية للمجتمع، فترفض وتقاوم بدافع حضاري او تقليدي بينما نجد النخب في مجال وعيها تصرُّ على مواقفها وتَعمدُ الى تبريرها فتصبح مهام النخب شيئاً وهمومُ المجتمعِ شيئاً آخر، اي قد يتمُّ الابتعادُ عن مهمة النخب المتمثلة بتوعية المجتمع ونشر قيم الثقافة السياسية الايجابية لتتمَّ المساهمةُ في عملية البناء والتغيير ومواجهة الثقافة السابقة.[50]

كما إن الرأيَ العامَّ الجماهيريَ لا يتفاعل ولا يجد إثارة دون جهود النخبة المثقفة وبالنظر الى الواقع العراقي وما يشهده من تحولات على المستوى السياسي والاقتصادي والاجتماعي والثقافي، لا بدَّ من الاستعداد المعرفي لذلك بالنسبة للعامة من الناس وتعويد وتدريب الفرد العراقي على مفاهيم الديمقراطية وحقوق الإنسان وقبول الآخر والمجتمع المدني، وهنا يَكْمُنُ دورُ المثقف إذ يجب ان يعمل على صياغة تلك التحولات والتغييرات وفقاً للمصلحة العامة لأمته وان يسعى لإعلام المواطن البسيط بحقوقه السياسية والاقتصادية وتعويده على المطالبة بحقوقه المشروعة بالوسائل العصرية.[51]

وتحتاج عملية البناء الديمقراطي في العراق الى ترسيخ مقوماتها من خلال بناء الوعي داخل المجتمع والدولة بعدّها قوة دافعة تبرز تأصيلها في الفكر والسلوك والمرجعية الحضارية والثقافية بصورة عامة، اي بمعنى ان البناء الديمقراطي يحتاج الى تأسيس داخل الوعي الفردي والجمعي والى تأسيس داخل المنظومة الثقافية السائدة وأساليب وطرق التنشئة ومؤسسات التعليم والإعلام والتثقيف، حتى يمكن ان تتحول الى قناعة راسخة ومن ثم تترجم الى سلوك سياسي مستمر وعلى النخبة

(49) أسد عبيد، الاعلام والديمقراطية: دمشق- القاهرة- موسكو، منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب، دمشق، 2008، ص53.

(50) عمر جمعة عمران، النخبة وبناء الدولة الديمقراطية، في بحوث الندوة العلمية التي نظمتها الجمعية العراقية للعلوم السياسية، كلية العلوم السياسية، جامعة بغداد، 2009، ص114.

(51) زيرفان سليمان البراوري، مصدر سبق ذكره، ص39.

المثقفة توجيه دفة الحكم تُجاه تأسيس قيم وتقاليد لممارسات فعلية نحو التحول الديمقراطي وتنمية ذلك البناء من خلال المؤسسات الثقافية والتعليمية وتنشيط دور مؤسسات المجتمع المدني.[52]

وعلى المثقف في سياق العولمة ان يكون فاعلاً ايجابياً ومبدعاً في إنضاج الوعي بأهمية الهوية الثقافية المتمايزة والمتجددة كأساس مركزي للتفاعل مع العولمة. تتطلب المهام المستقبلية وعياً بالذات الثقافية وبالآخر الثقافي، وهذا الوعي يتوقف على وعي الذات المثقفة بنفسها على مستوى الإمكانيات والإنجازات وعلى مستوى النقائص والإخفاق في الماضي القريب والحاضر. ويعدُّ الوعي بالذات ضرورياً لإستشراف إبعاد مهام الدور المستقبلي المرغوب فيه المثقف العربي، الذي يتحقق بالضرورة في التفاعلات الجدلية التي تثري كلاً من المستويين وتجعله ممكناً.[53]

كما تساهم النخبة المثقفة في بلورة، وإشاعة ثقافة الحوار وترسيخ قيم التسامح والتصالح فيما بينها من حيث الاختصاصات العلمية المتقاربة او الاختصاصات المتنوعة سواء العلمية منها ام المهنية للوصول الى المقترحات ومبادرات على شكل حوار مفتوح تسوده حريةُ تعبير الرأي والرأي الآخر، بعيداً عن المصالح الذاتية والنقابية والخروج برأي موحد يتبناه الجميع ويتوافق وتطلعات أبناء شعبهم وامتهم.[54]

وينطبق دورُ النخب في التنمية السياسية على مفهوم الإندماج في هيأة اجتماعية تعيّن لها النشاطات والوظائف التي ينبغي اداؤها ويتحدد دورُ النخبة من خلال درجة اندماجها في المجتمع الذي تكون فيه، ويمثل الاندماج والتكامل المجتمعي الجزءَ الأكبرَ من الدور التنموي للنخبة بشكل عام، والسياسي منها بشكل خاص إذ تقوم النخبة بأداء وظيفة تحقيق التكامل والاندماج بين الآراء السياسية والاتجاهات لمعظم القوى داخل المجتمع، بمختلف أنماطها وتأثيرها، بهدف تحقيق استقرار المجتمع وثبات استمرارية أنماط العلاقات البينية بين مؤسساته المختلفة، ويتوقفُ نجاحُ النخبةِ في اداء هذا الجزءِ من الدور على مستوى اندماجها بذاتها مع مؤسسات وبُنى المجتمع الأخرى.[55]

الخـاتـمـة

في نهاية هذه البحث عن دور النخبة السياسية والمثقف السياسي في التحول الديمقراطي في العراق، نجد أن عملية التحول الديمقراطي تحتاج الى وجود

(52) عمر جمعة عمران، النخبة وبناء الدولة الديمقراطية، في بحوث الندوة العلمية التي نظمتها الجمعية العراقية للعلوم السياسية، كلية العلوم السياسية،جامعة بغداد، 2009، ص ص-119 120.
)

53) مخداني نسيمة، المثقف والجامعة في ظل العولمة، مجلة حوليات جامعة الجزائر، العدد (25)، جزء (2)، تموز / يوليو 2014، ص151.

(54) طالب عبد الحسين فرحان الشمري، دور الاعلام في اشاعة ثقافة الحوار وترسيخ قيم التسامح والتصالح، في (مشكلات الاعلام في العراق)، بحوث المؤتمر العلمي السنوي الثاني، جامعة بغداد، كلية الاعلام، نيسان 2008، ص213.

(55) مراد بن سعيد وصالح زياني، النخب والسلطة والايديولوجيا في الجزائر: بين بناء الدولة والتغيير السياسي، مجلة المستقبل العربي، العدد (430)، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، كانون الاول/ ديسمبر 2014، ص83

نخب سياسية مثقفة تتحمل مسؤولية تحديد مبادئ الديمقراطية وترسيخها لدى الأفراد. فالنخب الثقافية قد لا تعمل من أجل الوصول الى الحكم في عملها وإنما تعمل على تنمية وخلق ثقافة سياسية ذات أطر فكرية لنمط السلطة والحكم وهي تعمل من خلال منظومة تعاونية مع النخب الاجتماعية الأخرى لتسيير المجتمع وفق هذا النسق الثقافي، إذ يتوجّبُ -على النخب السياسية والثقافية من أجل البناء الديمقراطي -العملُ للدفاع عن الدولة من خلال إثارة مقومات الهوية المشتركة لمواجهة أحداث الخلل في الكيان العام للدولة والمجتمع، وكذلك الدفاع عن هوية المجتمع وحيوية من خلال تحقيق تفاعل إيجابي وبنّاء ومؤثّر مع معطيات التحول الديمقراطي.

دوافعُ المرأةِ للإنخراطِ في التنظيماتِ الإسلاميةِ العنيفة

فاطمة عطا جبار* * باحثة من العراق

دائرة البحث والتطوير / وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

المُقدِمة

على الرغم من المساحة المحدودة للإهتمام بقضايا المرأة في السياسة والمجتمع لدى المجتمعات والشعوب الإسلامية، لعدّها عنصراً تابعاً غير محوري، وليس في مكان القيادة وإتخاذ القرار في الدور المركزي في جميع نواحي الحياة، فضلاً عن ذلك الإقرار في الوقت ذاته بأنها نصف المجتمع ولها مكانتها في تنشئة الأسرة وتكوين المجتمع وفق الأسس التربوية المرتكزة على قاعدة الدين الإسلامي المستندة إليها في فكرها وممارستها، مع إبقائها في حدود محاطة بأسوارها بالإملاء عليها وقيامها بمهمة التنفيذ وليس من محل ترويج الفكر والإبداع والإجتهاد، وهو ما يشكّل تناقضاً لا بدّ أن ينشئ شيئاً جديداً وفقاً لقانون التناقض المحكوم بنظام الديالكتيك.

إن مدخلات الحداثة وما إرتبط بها من نتائج وآثار، جعلت المرأة تشغل مكانة مهمة في مجال الدراسات والبحوث نتيجة الأدوار والمهام التي أقحمت نفسها فيها من حيث القيادة وإتخاذ القرار والرغبة منها في شغل أدوار الرجال إنطلاقاً من إيمانها بالمساواة معه. وما عانته وشعرت به من تمييز وعنف موجّه لها في مجال الممارسة المجتمعية، الأمر الذي أنتج صراعاً بين ما تروم الحصولَ عليه وبين ما يقف أمام طموحها، في مجالات: (التربية - العادات – الأعراف المجتمعية – الثقافة السياسية، الظروف الإقتصادية والمعيشية). إذ تعددت المعوقات التي تحدُّ من حركة المرأة في المجتمعات العربية والإسلامية من خلال الحد من حريتها وقدرتها على الاختيار، ووضعها في موقع الإجبار لكثير من الحالات التي تعيشها، وهو ما يضعها في مواقفَ معينةٍ لا تنسجم مع ذاتها، والتفكير في الهروب بعيداً او عن طريق الموت

انتحاراً، بل وحتى المرأة في الغرب لديها محددات لحركتها لا سيما إذا ما إعتنقتِ الإسلام ديناً لها، وتبدأ رحلتها بالإغتراب وفقدان الهُوِيَّة للبحث عن هُوِيَّة جديدة والنبذ المجتمعي لها وعدم تقبلها في مجتمعها الأم، الأمر الذي غيَّر مسيرَ حياتها باتجاهات مختلفة تماماً عما كانت عليه. فعلى الرغم من بناءات الحضارة التي تفخر بها المجتمعات الغربية على حساب المجتمعات الأخرى التي تُعدُّ في نظرهم متدنية وغير مدنية الحضارة بقدرها، المبنية على الحرية والمساواة وحقوق الإنسان، بدأت تفقد قيمتها وصلاحيتها لعدّها أنساقاً مجتمعية إبتعدت في مجال الممارسة عن أهدافها ولوّحت لشعوبها بعدم المصداقية لما تبثه من خلالها، خلافاً للقيم والأهداف التي تتوجّه لتحقيقها. كل هذه العوامل شكّلت مجموعة من الدوافع لإنخراط المرأة في تنظيمات إسلامية عنيفة دون ان يحدّها دولة او مجتمع او مكان جغرافي محدد إنطلاقاً من إهتمام المرأة المتماثل على مختلف اللغات المتحدثة بها والثقافة التي تحدّد سلوكها.

كما ونودُّ الإشارة الى أن البحث في الدوافع او الأسباب عن ظاهرة ما او حالة وجدت حديثاً في المجتمعات والشعوب، جعل من الصعوبة بمكان أن تستطيع هذه الدراسة جمعَ كلِّ الدوافع او الأسباب فيها. ويعود ذلك لعدد من الأمور، لحداثة الظاهرة او الحالة محل الدرس، ولقلة المصادر التي تتناولها بالبحث والمعلومات التي تشير إليها لا سيما عندما تتعلق بالمرأة وفي تنظيمات «إسلامية» غير رسمية محظورة قانوناً ولا تمتلك الشرعية. كما ويؤشر إلى تداخل الدوافع مع بعضها البعض سبباً آخر يَحُولُ دون حصر الدوافع جميعاً وحصدها.

أهداف البحث:

تنبثق أهداف البحث في التعرف على الأسباب التي تجعل المرأة (العربية – الغربية / المسلمة) تنخرط في تنظيمات إسلامية عنيفة تاركة حياتَها التي إعتادت عليها لتدخل في مجتمع وحياة جديدة وفقاً لإختيارها وإرادتها.

أهمية البحث:

تشكّل الأهمية للبحث من عدّ المرأة عنصراً رئيساً في المجتمعات والدول، والتي لها دور جوهري في التربية والبناء، بدرجة لا يمكن التغاضي عنها، وعندما تنخرط في تنظيمات إسلامية عنيفة لا بدَّ ان تكون لها دوافع أساسية جعلتها تتوجّه نحو هذا الإندفاع وضرورة تسليط الأنظار عليه، لأن التعرف على المسببات له مكانة كبيرة في طرح الحلول والمعالجات.

إشكاليَّة البحث:

تنطلق إشكالية البحث وفق التساؤل الآتي: (ما الدوافعُ التي تجعل المرأة تنخرطُ في تنظيمات إسلامية؟ عنيفة وما نوعها؟ وهل توجد علاقة بينها؟).

فرضية البحث: تفترض الدراسة بأن الدوافع التي تجعل المرأة تنخرط في تنظيمات إسلامية عنيفة هي دوافع (فكرية وموضوعية) والعلاقة وثيقة فيما بينها ومترابطة وفي كثير من الأحيان متداخلة ايضاً.

منهجيَّة البحث:

تمَّ استخدام المنهج الوصفي لوصف دوافع المرأة المنخرطة في تنظيمات إسلامية عنيفة، وكذلك المنهج التحليلي للتعرف على دلالات الدوافع الفكرية والموضوعية وتحليل مضامينها.

هيكليَّة الدراسة:

وعلى ذلك تقسَّمُ الدراسةُ الى مبحثين: المبحث الأول الدوافع الفكرية لإنخراط المرأة في التنظيمات الإسلامية العنيفة ومقسَّمٌ إلى مطلبين، المطلب الأول: الدوافع (الفكرية الذاتية) لإنخراط المرأة في التنظيمات الإسلامية العنيفة. والمطلب الثاني: الدوافع (الفكرية الموضوعية) لإنخراط المرأة في التنظيمات الإسلامية العنيفة. أمّا المبحث الثاني فجاء بعنوان: الدوافع (السياسية والإقتصادية والإجتماعية) لإنخراط المرأة في التنظيمات الإسلاميَّة العنيفة قُسِّمَ إلى مطلبين المطلب الأول: الدوافع السياسية لإنخراط المرأة في التنظيمات الإسلاميَّة العنيفة. والمطلب الثاني: الدوافع الإجتماعية والإقتصادية لإنخراط المرأة في التنظيمات الإسلاميَّة العنيفة.

المبحث الأول: الدوافع الفكرية لإنخراط المرأة في التنظيمات الإسلاميَّة العنيفة.

تَتَفجَّرُ الدوافعُ الفكريةُ لدى المرأة من فكر المرأة ذاته وكيف ينمّي هذا الفكرُ سلوكَها وسيرة تربيتها وصولاً الى زواجها وتكوين أسرتها الخاصة بها، هذه الدوافعُ لا تنفصل عن محيطها الصغير (الأسرة) ومحيطها المتوسط (المدرسة والجامعة والأصدقاء ووسائل التواصل الإجتماعي) مروراً بالمحيط الكبير (الزوج، الأطفال، المسؤولية) وما يرافق حياتها معه من معتقدات وسلوكيات لتتأثر بها وتندمج معها او قد ترفضها، والتشكل الفكري لها من ناحيتين (مدخلات / التربية والتنشئة الإجتماعية) و(مخرجات، تغذية عكسية) عن طريق التفاعل مع ما يحيط بها في نفس الوقت لتتأثر به وتؤثر فيه، كرد فعل على ما يدور حولها من أحداث. وعلى

ذلك نستطيع أن نقول: إن الدوافع الفكرية لإنضمام المرأة في التنظيمات الإسلامية التي تنتهج العنفَ عقيدةً وممارسةً في فكرها وسلوكها تتمثل برافدين: الأول فكري ذاتي يتعلّقُ بالمرأة نفسِها ويرتبطُ بمحيطها الصغير والمتوسط، والثاني فكري موضوعي يرتبطُ بمحيطها الكبير المتعلق بالزوج وتكوين الأسرة وتَحمُّل المسؤولية بشكل مستقل، من حيث تأثير الدوافع الموضوعية على المرأة لتبثَّ روحَ التغيير في معتقداتها وأفكارها معطية لها القناعة والشرعية في ذلك، كمواجهة لسياسات معيّنة بحد ذاتها او قرارات تتّخذ بحقها دون غيرها من فئات المجتمع. ومن خلال ذلك نستطيع ان نقسّم المبحثَ الأول الى مطلبين:

المطلب الأول: الدوافع (الفكرية الذاتية) لإنخراط المرأة في التنظيمات الإسلامية العنيفة.

المطلب الثاني: الدوافع (الفكرية الموضوعية) لإنخراط المرأة في التنظيمات الإسلاميَّة العنيفة.

المطلب الأول: الدوافع (الفكرية الذاتية) لإنخراط المرأة في التنظيمات الإسلاميَّة العنيفة.

يحتلُّ المُوجِّهُ في حياة الأفراد دوراً كبيراً في التأثير في الأفكار والمُسلَّمات، ولا سيما المرأة لكونها الأقلُّ إحتكاكاً بالمجتمع وبمن يحيطون بها مقارنةً بالرجل. فالمُوجِّه في حياتها بشكل أولي، الأسرة، ومن ثمَّ الأقرب إليها من هذه الأسرة (الأب، الأم، الأخ، الأخت، الزوج). وكل واحد من هؤلاء المؤثرين، بمن يتأثرون؟ وما مُسلَّماتهم الفكرية ؟، وإلى مَن يستندون في تبني عقائدهم وبناء شخصياتهم. وعلى هذا الإساس تُبَثُّ رؤاهم إلى الأقرب منهم من أُسرهم سواءاً بشكل اختياري أم قسري، وتتعلق هذه الدوافع الفكرية الذاتية لإنخراط المرأة في التنظيمات الإسلاميَّة العنيفة بفكر التنظيم نفسِه ومعتقدِه.

إذ نجدُ أن التأثر بالأيديولوجيا التي تطرحها الجماعات الإسلامية العنيفة عن طريق تناقلِها من الأسرة فيما بينهم، لها الدورُ الأساسُ كدوافع لإنخراط المرأة في هذه التنظيمات، لكونها طُرِحَت من أقرب الناس إلتصاقاً بها، وعلى سبيل المثال دعواهم من خلال خطاباتهم المثالية للوصول الى «المدينة الفاضلة» والترويج لإحداث تغيير في المجتمع بشكل جذري، مع هذه الأحوال والظروف التي تمرُّ بها المجتمعات الإسلاميَّة في ظل الأنظمة السياسية الفاسدة والفاشلة في تحقيق أبسط متطلبات شعوبها، للعودة الى الماضي النقي وهو ما يجذب الشباب ومنهم النساء لإعتناق فكر هذه التنظيمات والدخول في أعماقها.[1] فالمحور الأساس للسلفيين

(1) بلال الامين، الإسلام الراديكالي في السياق، في مجموعة باحثين، الشباب وجماعات العنف.. رؤى شبابية، مقدمة: عمرو الشوبكي، تحرير: محمد العجاتي، اوراق مؤتمر بيروت 22ـ23 ديسمبر/ كانون اول 2015، (د.م، منتدى البدائل العربي للدراسات ومنظمة روزا لوكسمبورغ، 2016)، ص 165. فضلاً عن ذلك يشار الى ان من اسباب الانضمام هو لاحياء الخلافة الاسلامية ومقارعة الاستعمار على اثر انتهاء الخلافة العثمانية وما صاحبها من ظهور حركات اسلامية التصق اسمها مع السلفيين كجمال البنا في مصر وعلال الفاسي في المغرب. ينظر: ياسين بزاز، لماذا ينظم شباب الدول العربية المستقرة للجماعات الراديكالية المسلحة، في مجموعة باحثين، الشباب وجماعات العنف.. رؤى شبابية، المصدر السابق، ص 71. الا ان هذا الطرح تم انتقاده كسبب للانضمام، وكلك طرح صراع الحضارات لصموئيل هنتغتون، لعد الطرح الاخير ناتج من عدم الدراية الكافية بالاسلام ومفهومه وطبيعته المكونة من فرق ومذاهب مختلفة، والطرح الاول انتقد لكون الشعوب في كل من (فلسطين والعراق وسوريا) غائبة كلياً وتجاهل هذا الغياب عن ما عرفته الاراضي الاوربية من اعمال ارهابية. ينظر: محمد الصحبي الخلفاوي، لماذا ينضم الشباب من الجيل الثاني في اوربا لجماعات العنف الراديكالية، في مجموعة باحثين، الشباب وجماعات العنف.. رؤى شبابية، المصدر السابق، ص39.

الجهاديين هو قوة خطابهم السياسي لإقناع الشباب، والتجار والممولين لحركاتهم، وتأخذ من الزكاة والجهاد اسماً لها لنشر الدين ومحاربة الكفار، واضعين الأدلة والتأويل الديني بما يحقق التأثير القوي عفي الشباب وإقناعهم، مع عدم ارتكاز هذا الخطاب الى الدقة او الصحة وبما لا يتفق مع روح الدين الإسلامي وسماحته.[2] وإيمانهن بحياة الخلافة وإعادة وجودها أحد أهمّ المرتكزات الفكرية لدوافع المرأة للإنضمام الى هذه التنظيمات وتربية أولادهن على فكرها، وحثّ أزواجهن للقتال في باب الجهاد والشهادة في سبيل الله والتسليم بتقديم التضحيات في سبيل المعتقدات.[3] استخدام التنظيم فكرة الاستقطاب عن طريق زج الشعوب في الطريق الذي يسيرون فيه بعدّه طريق الجنة والله، والطريق الآخر هو طريق الشر والشيطان، بتقسيم العالم الى حزبين او فريقين (حزب الله وحزب الشيطان) فمن لا يكون مع حزب الله هو مع حزب الشيطان بالتأكيد والتشديد بأن طريق الله هو الموت المؤدي الى رضاه وجنته.[4] مركزين في استقطابهم على أفضل الشباب وأخيرهم، ببث وسائلهم عبر الإعلام، وإن لم يتمكنوا فعن طريق طبع ونشر بياناتهم، مُبيّنين أن الاستقطاب ينبغي أن يشمل جميعَ مكونات الأمة ولا يُهمِلُ بقيةَ الفئات، مع استخدام أسلوب اللين الى جانب المعركة في سبيل تحقيق أهدافهم والربط ما بين الاستقطاب والتلقائية التي سيزجُّ الناسُ أنفسهم في المناطق التي تكون محلاً للفوضى والإضطراب طلباً للحماية والأمن.[5]

إن حديث الأب او الأخ او الزوج داخل الأسرة عن خطابات هذه التنظيمات والى ما تدعو إليه وإعجابهم بها تكون دوافعَ محفّزة وكبيرة لدخول المرأة إليها لكونها قد وجدت الشرعيةَ عند ولاة أمرها وتشكّلُ هذه الحالةُ أحد المرتكزات الفكرية لدى الأسر المسلمة في المجتمعات الإسلاميَّة، لاسيما حالة الصراع في الدفاع عن المعتقد والمذهب تُجاه المذاهب الأخرى في الدين الإسلامي والإعتقاد بصواب أحدها مع اختلال وفساد المذاهب الأخرى، كالحديث عن الفرقة الناجية مثلاً. وتجد هذه الحالة اساساً لها من التنشئة الأسرية المبنية على إتّباع أسلوب الرضا والقبول وعدم الممانعة والإعتراض على ما تبديه الأسرة ولا سيما الزوج.[6]

ولو أخذنا الحالةَ أعلاه في الاعتبار من حيث إن الأسرة التي تعيش فيها المرأة محفزة ودافعة للإنضمام في هذه التنظيمات، لنجد الحالة الثانية وهي معكوسة من خلال الأسر غير المسلمة في المجتمعات الغربية، تشكل لهن سبباً آخر للدخول في التنظيمات الإسلامية العنيفة. وهذه الحالة تتجسّدُ في مُعْتَنِقَاتِ الإسلام حديثاً وبسبب نفور عوائلهن منهن وما يصاحب ذلك من شعور بالإحباط والاكتئاب

(2) لبيب شائف محمد اسماعيل وبليغ احمد علي النخلافي، اسباب انضمام الشباب للحركات الراديكالية الاسلامية المسلحة، في مجموعة باحثين، الشباب وجماعات العنف.. رؤى شبابية، المصدر السابق، ص226.

(3) عز الدين التميمي، نساء داعش... حكايات عن الايادي الناعمة للتنظيم،27/نوفمبر /2017 متاح على: www.alaraby.co.uk

(4) أبو بكر ناجي، إدارة التوحش: أخطر مرحلة ستمرُّ بها الأُمَّة، د.ط.(د.م، مركز الدراسات والبحوث الإسلامية، د.ت)، ص 46. وعبد الباري عطوان، القاعدة: التنظيم السري، (بيروت، الساقي، 2007)، ص107.

(5) المصدر السابق، ص 47.

(6) عبد الرزاق جدوع محمد، أساليب مواجهة المرأة العراقية للعنف الإجتماعي، مجلة ديالى، مركز أبحاث الطفولة والأُمُومة، جامعة ديالى، العدد الثالث والثلاثون، 2009، د.ص.

والإغتراب والنبذ، يبدأ التفكيرُ في البحث عن بديل لأسرهن لتكوين أُسر جديدة وعائلة سعيدة عن طريق الولوج في التنظيمات الإسلامية العنيفة كالدولة الإسلامية التي تَحْتَضْهنَّ بكل رحابة وسعة صدر واسعة، فَرَوَّجَتْ هذه التنظيماتُ لأهمية الأسرة والعمل على إعادة تنظيم العلاقة وفق آليه القطع والوصل، قطع العلاقة مع الأسرة الأصليَّة ووَصْلِ العلاقةِ مع الأسرة حديثة النشأة وفق مبادئ الإسلام، فعَمِلَتْ على تغذية مشاعر الكُّره والحِقد على الحضارة الغربية وما تدعو إليه من إنفلات.[7]

يتّضحُ من الإشارة الى ما ورد آنفاً التكوين الفكري للمرأة عن طريق العلاقة بالهدف والرغبة لديها مع محيطها الصغير المتمثل بالأسرة ومن التفاعل مع بعضهم حباً او كرهاً، نُظمت دوافع المرأة للانخراط في التنظيمات الإسلامية العنيفة. فالهدف والرغبة بالحالة الأولى هو التشبه بالأسرة وولاة أمرها لتكوّنَ على شاكلتهم.

والحالة الثانية تُجسِّدُ الهدفَ والرغبةَ في تحقيق طموح خاص بها وَلَّدَ صراعاً مع ذويها نشأ عنه حالة، ضرورة الإنفصال، وتكوين ذوين آخرين مؤيدين ومناصرين لهدفها ورغبتها ظناً منها أنه سيحقّقُ طموحَها.

ترتبط الحالةُ لإنشاء أسرة جديدة مفارقة للأسرة الأولى سواء عن طريق الحالة الأولى ام الثانية أعلاه بالإيمان والقناعة بالعودة الى دولة الخلافة وإحيائها في ظل الإسلام النقي وتعاليمه الأولى من خلال ما تطرحُهُ التنظيماتُ من أفكار ومعتقدات.[8]

كما تدخلُ وسائلُ التواصل الإجتماعي وشبكةُ المعلومات الالكترونية أداةً من أدوات التوجيه في حياة النساء، الأمر الذي يجعلُها تؤمنُ وتقتنع بأفكار التنظيمات الإسلامية العنيفة فضلاً عن تأثير الصديقات اللواتي يحاولن جذب مَن حولهن إلى ما يُؤمنَّ به ويعتقدنه.[9]

ويُشكّلُ الدافعُ الآخرُ لإنخراط المرأة في هذه التنظيمات العنفية محاربتَها للأدوار المرسومة لها من التنظيمات الأخرى المرتبطة بها كالسلفية والإخوان المسلمين على سبيل المثال، اذ يقتصر دورها في هذه التنظيمات الأخيرة على دورها كمرأة في إدارة أمور أسرتها ومنزلها ومع الإقرار لها بحق الترشيح والانتخاب وتحريم الولاية العامة العليا او المطلقة لها، إلَّا ان التنظيمات المشار إليها أعلاه مع ذلك تشير الى ان موقف الإسلام من أعمال المرأة بالسياسة هو موقف النفور الشديد للأضرار الإجتماعية الناتجة عن إنشغالها عن شؤون بيتها وأسرتها، ولمخالفة الآداب الصريحة للإسلام عن خلط النساء بالرجال، ويجسد موقف الإخوان المسلمين مرونة أكبر من المدرسة السلفية التي تحرّم جميعَ المناصب السياسية على المرأة ما

(7) آمال قرامي ومنية العرفاوي، النساء والإرهاب دراسة جندرية،(تونس، مسكلياني، 2017)، ص 113.

(8) دواجة العوادي، فتش عن النساء في داعش،متاح على:https:// meemmagazine.net وعز الدين التميمي، نساء داعش حكايات عن الايدي الناعمة للتنظيم، متاح على: www.alaraby.co.uk وسحر مندور، اسباب الحاق الشباب بجماعات العنف من منظور الثقافة والهوية لماذا يلتحقن بداعش؟ دابق تخبر قصة سياق معلن، في مجموعة باحثين، الشباب وجماعات العنف.. رؤى شبابية، مصدر سبق ذكره، ص202.

(9) محمد ابو رمان وحسن هنية، عاشقات الشهادة، تشكلات الجهادية النسوية من القاعدة الى الدولة الاسلامية، د. ط، (الاردن والعراق، مؤسسة فريدريش ايبرت، 2017)،ص ص 210ـ211..

عدا حقَّها بالانتخاب دون ان تكون مُنتخَبَة، والوظائف السياسية التي تنسب طبيعتها كأمرأة على سبيل المثال، شرطية مختصة بالأمور النسائية، او مخبرة سرية، لا يؤدي الى تعرضها لأي ممنوع شرعي من هذه الوظيفة.[10] يرتبط الدافعُ سالفُ الذكر بفكر التنظيم وما يقدمُه من أدوار للمرأة ومثلما عرفنا فإن التنظيمين أعلاه قد حددا دور المرأة من الأعمال في السياسة في قالب محدد وتحريم بقية المناصب السياسية عليها، نجد ان التنظيمات الإسلامية العنيفة قد وسّعت من دور المرأة فيه. ذلك ان القواعد المفروضة في التنظيمات الإسلامية العنيفة تسري على الرجال والنساء، وهو ما يزيد من جاذبية النساء إليها لاسيما الفتيات أو الشابات، والترويج « لروح التضامن بين الأعضاء والشعور بالسمو الأخلاقي عن غير الأعضاء ولا تنظيم طبقياً داخل معظم هذه التيارات مما يسهّل على الشباب ان يتحولوا لمثل أعلى او نموذج للمسلم الصالح».[11] وعلى ذلك نستطيع القول: إن التنظيمات الإسلامية العنيفة، ومنها تنظيم الدولة الإسلامية يتعاملُ مع أعضائه ومع المرأة تحديداً معاملة جندرية، وفق الشعور بمطالبها والمتمثلة بالآتي:[12]

1 - مساواة حقوق المرأة بحقوق الرجل من النواحي السياسية والقانونية والمدنية.

2 - رفع الوصاية عنها من النظام الإجتماعي والرجل.

3 - إعتراف الرجل والمجتمع باختلال توازن القوى بين الرجل والمرأة الذي يجعل من المرأة تابعة للرجل.

4 - الإعتقاد بإمكان تغيير ظروف المرأة لكونها صنيعة المجتمع وبعدّها مكتسبة وليست وليدة معها كجزء منها، وتأكيد إستقلاليتها.

5 - السماع لصوت المرأة في التعبير والتمثيل دون الحاجة الى الوصاية عليها نيابة عنها او محرماً لخروجها من المنزل.

ذلك أن أنواع الخضوع والتبعية التي تتعرض لها المرأة الى جانب وجودها مع الرجل جعل طريقها لانتهاج العنف فكراً وسلوكاً سهّل عليها الإنضمام الى هذه التنظيمات، من حيث الرغبة بالمساواة مع قرينها الرجل والتدليل على أنه بإمكانها أن تركب قطارَ العنف وتقوده ايضاً. ويشير بعض الباحثين الى إجتذاب النساء من الغرب الى التنظيمات الإسلامية العنيفة ومنها تنظيم داعش نسبة الى الأفكار المتقاربة نسبياً بشأن المساواة بين الرجل والمرأة، وفكر هذه التنظيمات التي تعطي للمرأة أدواراً تضاهي أدوار الرجال.[13] ان تحقيق الذات في الاختيار ومجاراة

(10)خديجة عبد الهادي المحميد، موقع المرأة في النظام السياسي الاسلامي، سلسلة الدراسات الحضارية، (بيروت، مركز الحضارة لتنمية الفكر الاسلامي،)، ص ص 238ـ244.

(11)حازم فؤاد، لماذا ينظم الشباب الاوربيون للجماعات الاسلامية المتطرفة: الاسباب والمفاهيم الخاطئة، في مجموعة باحثين، الشباب وجماعات العنف.. رؤى شبابية، مصدر سبق ذكره، ص ص 64ـ65.

(12)معن خليل العمر، علم اجتماع الجندر، (عمان، دار الشروق للنشر والتوزيع، 2015)، ص27.

(13) كيلي اوليفر، النساء اسلحة حربية، ترجمة: شكري مجاهد، د.ط، (الرياض، العبيكان، 2008)، ص ص 45ـ46.

الحداثة، وان يكون للمرأة الأمر في نفسها، وقد يحقق لها الدين الإسلامي حسب مفهوم الجماعات الإسلامية العنيفة ذلك، إنطلاقاً من فكرهم ومعتقدهم القائم على ان تختار المرأة زوجَها وان تكون حرّة في إختيارها. وينبع هذا الأمر من عدم مواكبة التغيير الفكري للحداثة مع ما كان سائداً او مقتنعاً به اكثر الناس وعلى رأسهم البعض من رجال الدين.[14] والسماح للنساء بالقيام بأدوار لم يكُنَّ يحلمنَ بها في البلد الذي يعشنَ فيه، وهو ما يشكل عنصر جذب للانضمام وتمكين المرأة في هذه التنظيمات لاسيما للنساء اللاتي نَشَأْنَ في مجتمعات تسمح لهن وان كان بنسبة محدودة تَولِّي مناصب مهمة.[15]

(14)علي الوردي، لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث، ج1، د. ط، (بغداد ـ بيروت، دار بهجة المعرفة، د. ت)، ص 303 وكذلك ص308. وامال قرامي ومنية العرفاوي، النساء والارهاب دراسة جندرية، مصدر سبق ذكره، ص 117 وكذلك ص 125.

(15) امال قرامي ومنية العرفاوي، النساء والارهاب دراسة جندرية، مصدر سبق ذكره، ص269.

المطلب الثاني: الدوافع (الفكرية الموضوعيَّة) لإنخراط المرأة في التنظيمات الإسلاميَّة العنيفة.

عند الإشارة الى الموضوعية فإن الأمر يتعلق بما هو خارج عن الذات ومتعلق بالآخر، كالمحيط الإجتماعي والمهني والإقتصادي والسياسي وما إلى ذلك من أمور، إلَّا أن ما يحدث في هذا المحيط لا يكون خارجَ عن الذات كلياً ويكون مرتبطاً بالآخر فقط، لأن آثاره تعود إلى الذات الأخرى وإن لم تشترك في صنعه او إيجاده، وبالتالي تكون (كردود أفعال الذات) عن ما يدور في المحيط الكلي وترتبط بشكل وثيق بما تشعر به وترغبه او تنفر منه، او ما يشكّل مركباً آخر جديداً.

إن الأحداث التي تتعرضُ لها المرأةُ أثناءَ حياتها وإن كانت أحداثاً تتعلق بالمحيط الخارجي تكون لها دافعاً للإنخراط في التنظيمات الإسلامية العنيفة لتأثير هذه الأحداث في فكرها وفي ما تؤمن به، فمثلاً عندما تسجن المرأةُ وتبقى حبيسة في السجن لمدة ما، وما تخالطه في هذا الجو يشكّل لها دافعاً لإعتناق العنف في عملها عند خروجها من السجن لإيمانها بُمسلَّمات معيّنة أثَّرت في فكرها وغيَّرت معتقداتها، كحالة عائشة العراقية التي عُدّت العقلَ المدبرَ للدولة الإسلامية، فبعد ان تمَّ سجنُها في معتقل (أبو غريب) لمدة سنة وثمانية أشهر وبعد خروجها من السجن عُرفت بمواقفها المؤيدة لكل التيارات (الجهادية)، وعلى ذلك فإن تجربة السجن تركت آثارها في هذه المرأة وجعلَتها لا تهتمُّ بالمشاعر الإنسانية.[16]

(16) المصدر السابق، ص ص268ـ269.

وتُفسَّرُ أسبابُ إنتماءِ الخارجين من السجون للجماعات الإسلامية (الجهادية) كتنظيم داعش على سبيل المثال وفق سببين، الأول هو عدم التدين في الحالة السابقة للسجن، وارتكاب أغلبهم جرائمَ صغيرةً زَجَّت بهم في السجون، السبب الثاني هو مايتعلق بمرحلة ما بعد السجن والخروج منه، إذ توفّر هذه الجماعات

للمنتمين إليها ولادةً جديدة لهم لأنها لا تسأل عن ماضيهم او تهتمُّ به خلافاً للآخرين في مجتمعهم، هذه الحياة الجديدة توفّرُ لهم اسماً جديداً وشحنةً نفسيةً كبيرةً في مسار (الجهاد)، معطية نوعاً من معاني الحياة الفُضلى لهم مرتكزاً على التدين والعبادة وأداء ما يريده الخالق، ويطلبه من عباده والرغبة بالموت في سبيل الله وامتلاكهم دوراً رئيساً في بناء مجتمع جديد.[17]

ويأتي السؤال والبحث عن الهوية دافعاً آخر لانتماء المرأة الى التنظيمات الإسلامية العنيفة بسبب السياسات المتبعة تجاههن سواءاً من الغرب أم من السياسات الداخلية، كحالة فتحية محمد طاهر الحسني المغربية وزوجها عبد الكريم المجاطي، وفرض حالة خلع الحجاب كقانون معترف به من الفرنسيين في الأماكن التي يديرونها سواءاً في بلادهم ام في البلاد العربية، ومن ثم الهجرة الى اوربا وما ينجم عنها، وكذلك التعرف على أوضاع المسلمين المضطهدين وحالات التعاطف معها والإلتحاق بصفوف المجاهدين والسلفيين للدفاع عن المسلمين المقهورين.[18] ويؤشر الشعور بعدم الإنتماء ونتيجة الشعور بالغربة داخل الوطن ومفارقة المنضمين الى الجماعات الإسلامية العنيفة من الرجال والنساء هويتهم وفقدان الشعور بالرضا بشأن أهدافهم بالحياة خصائص تجمع المنضمين الى الجماعات أعلاه كتنظيم داعش مثلاً، اذ عند غياب الشعور بالانتماء يتجسّد لدى الفرد شعوره بالوحدة والرفض والغربة ونقصان الشعور بالحب والأمان، فالحاجة الى الشعور بالانتماء تُعدُّ من الحاجات الجوهرية التي تولد مع الإنسان ولا يمكنه الاستغناءُ عنها، وعدم تلبيتها تؤدي الى اضطرابات كبيرة، وهو لا ينطبق على بلد دون آخر، ويستقطب تنظيم داعش من يبحث عن مجتمع ينتمي له متخذاً من الخطاب الديني الشمولي آلية لبيع حلم الجماعة والمجتمع بغض النظر عن الجنسية وعد الرباط بينهم الدين الإسلامي من دون تمييز على أساس القومية او الجنس او العرق.[19]

ان السياسة الخارجية لدول الغرب صنعت دوراً اساسياً في وجود السلفية الجهادية وفشل هذه الدول في دمج الجاليات المسلمة في بلدانهم، ودعم الأنظمة المستبدة وإسرائيل والتدخل العسكري في المنطقة العربية.[20] ذلك ان ازدواجية المعايير للحكومات الاوربية تساهم في ظهور جماعات التطرف كالقاعدة وتنظيم داعش، فالتمييز ضد المسلمين يلعب دوراً هاماً للانخراط في التنظيمات الإسلامية العنيفة لاسيماأنهم لن يحصلوا على الدعم الكافي وانقاذهم من الإحباط في المجتمع الذي يعيشون فيه، والنتيجة الشعور بالإغتراب عن أسرهم وعن المجتمع بالكامل، وعندها يبدأ الشباب ببناء مجتمع موازٍ يجدون فيه من يشاركهم اغترابهم.[21] ويكون

(17) محمد الصحبي الخلفاوي، لماذا ينضم الشباب من الجيل الثاني في اوربا لجماعات العنف الراديكالية، مصدر سبق ذكره، ص44.

(18) محمد ابو رمان وحسن هنية، مصدر سبق ذكره، ص ص218ـ223. وسيزر اوزكان، دوافع الشباب الاوربيين للانضمام للجماعات المتطرفة: داعش مثالاً، في مجموعة باحثين، الشباب وجماعات العنف.. رؤى شبيابية، مصدر سبق ذكره ص55.

(19)مافي ماهر، اسباب التحاق الشباب بجماعات العنف الراديكالية داعش نموذجاً من منظور الثقافة والهوية، في مجموعة باحثين، الشباب وجماعات العنف.. رؤى شبيابية، مصدر سبق ذكره، ص ص 180ـ181.

(20) جيروم دريفون، الحشد السلفي الجهادي في الصراعات المسلحة: وضع الاسس المنطقية الايديولوجية والسياسية في سياقات متعددة، في مجموعة باحثين، الشباب وجماعات العنف.. رؤى شبيابية، مصدر سبق ذكره، ص 157.

(21) حازم فؤاد، لماذا ينظم الشباب الاوربيون للجماعات الاسلامية المتطرفة: الاسباب والمفاهيم الخاطئة، مصدر سبق ذكره، ص 62 وص 64.

التفكير بالجهاد وسيلةً للإنتقام من مجتمع يميّز بين أفراده من الأصليين والوافدين ولا سيما في المجتمعات الأوربية ويتعامل معهم أجانبَ ويوقعهم تحت الكثير من الضغوط، فضلاً عن مساهمة التمييز الذي يعاني منه المواطنون المنتمون الى الجالية الإسلامية وخاصة بعد تصاعد وتيرة العداء الموجّه الى الإسلام وهو ما « يسهّل من إنتشار الفكر المتطرف للجماعات التي ترغب في تجنيد مقاتلين جدد. كما ان الطريقة التي يَتِمُّ بها النظر للجاليات المسلمة في اوربا لا تساعد على الإندماج بل تخلق المزيد من الإغتراب»[22]

تمثّل البواعثُ الواردة أعلاه مجالاً لصراع الأفراد والجماعات كرد فعل عن الإذلال والاحتقار والإقصاء والإبعاد والحرمان من الحقوق، ولغرض بناء هوية إيجابية لأنفسهم، للحصول على الإحترام والتقدير المناسبين من الآخرين، عندها يُفهَمُ العنفُ[23] الذي تمارسه الجماعات الشبابية ومن ضمنهم النساءُ في التنظيمات الإسلامية العنيفة بأنه شكل نضالي مشروع للحصول على الإعتراف تبرّرُه النصوصُ الدينية المسوؤلة من حيث تكيفه مع الواقع المعاش وفق معنى العنف الديني المقدس.[24] فضلاً عن ذلك نظرة المجتمع للعنف الموجّه تُجاه المرأة التي تتأرجح بين القبول والرفض والتبرير والإدانة، وبين المفهوم للحق الإنساني والديني، ومن هنا تظهر ملامحُ موقفين مختلفين للعنف الموجّه للنساء، أحدهما إيجابي يُنْكِرُ العنفَ ضد النساء وعدّه مشكلة إجتماعية ونفسيَّة وصحيَّة، والآخر سلبي يفيد بأن العنفَ الممارسَ تُجاه المرأة في النواحي الأسرية والجنسيَّة شأنٌ خاصٌ يتعلق بالعائلة، ولا يشكّل خرقاً للقانون او مشكلة إجتماعية حقيقية تستحق البحث والتحليل.[25] وعليه تكون مواجهة العنف بالعنف المضاد والتفكير في شرعية استخدامه من المرأة ذاتها لكونه ممارساً تُجاهها أصلاً، فلماذا لا تمارسُه هي تُجاه الآخرين كرد فعل لها عمّا يُوجَّه إليها؟!!. وتنشأ النقمة على المجتمعات العاجزة عن إحتواء الشباب والشابات وعن حل مشاكلهم، فيكون سلاحُهم في مواجهته استعمال العنف وعن طريق الولوج في تنظيمات تدعمه قدسياً وتبرره دينياً.[26] ومن الدوافع الفكرية الموضوعية هو الانتقام بإقدام المرأة على الإنتحار عن طريق الإنضمام الى الجماعات (الجهادية) بعد موت زوجها فتقود عمليات إرهابية مسوقةً له، إذ تؤشر عملية الإنتقام من آليات الأخذ بالثأر.[27] وفي سياق البحث عن دوافع المرأة للنخراط في التنظيمات الإسلامية العنيفة نجد أن للعنف الموجّه ضدها دوراً كبيراً في مسألة إختيارها بين الوجود في ساحة العنف الموجّه ضدها ام في ساحة توجيهها هي للعنف تُجاه الآخرين. فالآثار النفسية التي تنتج عن تعرضها

(22)سيزر اوزكان، دوافع الشباب الاوربيين للانضمام للجماعات المتطرفة: داعش مثالاً، مصدر سبق ذكره، ص ص 53ـ54.

(23) في سياق فهم العنف ومصدره واسباب لجوء المرأة اليه وفق تنظيمات اسلامية ترتكز عليه وتستند اليه، من حيث ان مصدر العنف ليس طبيعياً وانما هو نتاج الثقافة، خلقته الطبائع والمكتسبات الفردية الناتجة لمن يملك السلطة والقوة موجه نحو الاخرين، وكما يشير اليه ماركس في كتابه «مقدمة في نقد الاقتصاد السياسي» بعد العنف نتيجة للتوزيع غير المتساوي للثروات والسلطة، وكذلك نتيجة لتقسيم العمل الاجتماعي بين مالكي وسائل الانتاج ولمن لا يملكها، وبين النساء ذوات العمل اليدوي والرجال المهتمين عادة بأعمال الفكر فالعنف لا يأتي من الطبيعة بل من الثقافة، ووضع الحدود والقوانين والممنوعات وما ينتج عنها من امراض عقلية وكبت وتسامٍ وحلم وابداع حتى. ينظر:ميسون العتوم، المرأة المعنفة في الاردن: دراسة سوسيولوجية في منطقتي الزرقاء والمفرق، مجلة اضافات، (الجمعية العربية لعلم الاجتماع بالتعاون مع مركز دراسات الوحدة العربية، عدد 40، خريف2017)، ص ص 41ـ42. وعلى ذلك فأنه لابد من اعادة النظر بضرورة تغيير الثقافة الاجتماعية ولاسيما في المجتمعات الاسلامية والعربية والسياسات الموجه نحو المرأة.

(24)ماجد قروي، دور الاقصاء الاجتماعي في تنامي انخراط الشباب التونسي في الحركة السلفية:دراسة سوسيولوجية ميدانية، مجلة المستقبل العربي، (مركز دراسات الوحدة العربية، عدد 467، يناير 2018)، ص ص 113ـ 114.

(25) عصام عدوني، العنف والتمييز ضد المرأة في المغرب: مقاربة سوسيولوجية، في مجموعة باحثين، المرأة العربية من العنف والتمييز الى المشاركة السياسية، سلسلة كتب المستقبل العربي (70)، (بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، 2014)، ص ص 35ـ36. وسميرة موسى البدري وجميلة رحيم عبد وسهام كاظم نمر، العنف الاسري وعلاقته ببعض المتغيرات لدى المرأة العراقية، مجلة كلية التربية للبنات، جامعة بغداد، المجلد 20(2)، 2009، د.ص.

(26) امال قرامي ومنية العرفاوي، مصدر سبق ذكره، ص 99.

(27) Alias stack o connor piced last: women and terrorism, jfq/ issue 44,1st, 2007quarterq

للعنف تؤشر لنا أحد أهمّ الدوافع لتبني العنف منها تجاه الآخر، ومن هذه الآثار هي معاناتها النفسية تُجاه ذاتها وتُجاه مَن حولها والمتمثلة بـ « تدمير آدمية المرأة وإنسانيتها، فقدان الثقة بالنفس والقدرات الذاتية للمرأة إنسانة، والتدهور العام في الدور والوظيفة الإجتماعية، وعدم الشعور بالآمان اللازم للحياة والإبداع، وعدم القدرة على تربية الأطفال وعدم القدرة على تنشئتهم بشكل تربوي سليم وبغض المرأة للرجل، كره الزواج وفشل المؤسسة»[28] وتعاني المرأة المُعَنَّفَة من الإكتئاب والقلق والخوف وتدني تقدير الذات وهو ما يقُدنهنَّ إلى الإدمان على العقاقير او الكحول او الإنتحار، وتعدُّ النساء المُعنَّفَات في خطر متزايد لمحاولات الإنتحار.[29] لا سيما ان هذه الآثار قد تكون غير جليَّة على المرأة نفسها، انما نجده يؤثر في آلية تفكيرها وكطريقة للخلاص مما هي فيه ونظراً للايديولوجيا المنبعثة من التنظيمات الإسلامية العنيفة المستندة الى المقدس وهو (الدين) تجد في الإنظمام إليها خلاص روحها وجسدها من معاناتها.

ولبيب شائف محمد اسماعيل وبليغ احمد علي النخلاقي، اسباب انضمام الشباب للحركات الراديكالية الاسلامية المسلحة، مصدر سبق ذكره، ص227.

(28) ريموندا اشعيا، المشكلات النفسية الناتجة عن العنف ضد المرأة، مجلة كلية التربية الاساسية، جامعة دهوك، العدد السادس والستون، 2010، ص 536.

(29) المصدر السابق، ص 537.

المبحث الثاني: الدوافع (السياسيَّة والإقتصاديَّة والإجتماعيَّة) لإنخراط المرأة في التنظيمات الإسلاميَّة العنيفة

إن إلتحاق النساء بالتنظيمات الإسلامية العنيفة بات من المسلَّمات المألوفة لكون غالبية هذه التنظيمات الإسلامية تضمُّ عدداً من النساء في صفوفها، كما وعمدت هذه التنظيمات الى تشكيل كتائب نسائية خاصة بها.[30] وعلى سبيل المثال يُقدّر عدد النساء في تنظيم داعش بـ (10%) من عدد المقاتلين، وتمثّل النسبةُ العليا لنساء فرنسا المقدرة بنسبة (25%) من عدد النساء في التنظيم المذكور، وصرَّحت مصادرُ بريطانية أمنية أن ما يقارب من (50) فتاة وإمرأة بريطانية إنضمت بالفعل الى داعش، وأشار مصدر أمني ألماني آخر الى تقدير عدد مواطناته النساء المُنظّمات إلى التنظيم بـ (40) امرأة.[31] فضلاً عن ذلك فإن فكر التنظيم وأنصاره قد أباح وأجاز هجرة النساء إليه لكون دارهم هي دار إسلام وتمكين، وبالاستدلال لقوله تعالى: ﴿إذا جاءكم المؤمنات مهاجرات﴾[32][33] على ضوء ما ذكر أعلاه فما الدوافع الموضوعية التي تدفع بالمرأة للإنخراط في تنظيمات إسلامية تنتهج العنفَ في أسلوب فكرها وحركتها ؟وللإجابة على هذا التساؤل بالإمكان تقسيم تلك الدوافع على مطلبين وكما يأتي:

(30) أحلام النصر شاعرة داعش تثير جدلاً حول جهاد النكاح متاح على: «http://www.sahafi.jo» 18/أكتوبر/2014.

(31) اماني بهجت، من اين يأتي مقاتلو داعش وكيف يسافر كل منهم من دولته لداعش؟، 11/ابريل/ 2015 متاح على: «http://www.sasapost.com»

(32) سورة الممتحنة الآية: 10.

(33) أحلام النصر شاعرة داعش تثير جدلاً حول جهاد النكاح، مصدر سبق ذكره.

المطلب الأول: الدوافع السياسية لإنخراط المرأة في التنظيمات الإسلامية العنيفة.

المطلب الثاني: الدوافع الإجتماعيَّة والإقتصاديَّة لإنخراط المرأة في التنظيمات الإسلاميَّة العنيفة.

المطلب الأول: الدوافع السياسيَّة لإنخراط المرأة في التنظيمات الإسلاميَّة العنيفة.

تُعدُّ الدوافعُ السياسية عاملاً مُهمّاً لتشكيل الفكر في المجتمعات الذي على غراره يُبنى السلوك ليُنتهج نمطاً لأفراده منطلقاً من الماسكين بزمام السلطة والاديولوجية المرتكزين عليها (متطرفة ام معتدلة) ، فإذا ما كانت المجتمعات متمتعة بالإستقرار السياسي المبني على التوازن في إتخاذ القرار المرتكز على حاجات الشعب وأفراده والمشاركة في العملية السياسية من غير الإحتكار لفئة على حساب فئات أخرى، وقيام السلطة على أسس فكرية (معتدلة وسلمية) عندها سيكون تشكّل الفكر ومن ثم تكوين نمط السلوك للفرد والمجتمع على أساسه، ناتجاً عن أسس صحيحة وسلمية. وهو يكون غطاءاً ذا وجهين: الوجه الأول المتمثل بشعب ومجتمع الدولة نفسها وسياستها المنعكسة على أفرادها، والوجه الآخر المتمثل بالسياسة الخارجية لهذه الدولة تجاه البلدان الأخرى وسياستها نحوها، وهو ما يعزز سبل التعاون والسلام الدولي.

إلَّا ان الواقع الذي نشهده يختلف عن هذا التحليل بنسبة كبيرة جداً، وما الممارسات - التي تنتهجها الولايات المتحدة الأمريكية في سياستها تجاه البلدان الأخرى وخصوصاً المنطقة العربية بشكل عام وفلسطين المحتلة بشكل خاص وإنحيازها الى (الكيان الصهيوني)، والسياسة التي اتبعت تجاه العراق عامةً وفي المعتقلات والسجون خاصةً بعد احتلاله عام 2003، - الا مثال عن تشكل الدوافع نحو الإنخراط في التنظيمات الإسلامية العنيفة. فضلاً عن سياسة بعض الدول الاوربية تُجاه المهاجرين من العرب والمسلمين على اختلاف جنسياتهم يشكّل سبباً آخر في تلك الدوافع السياسية وتكوينها.

والقرارات التي يتّخذها بعض الدول تجاه شعوبها المتمثلة بالحد من حرية التعبير وتجريمها كما هو الحال في دولة تشيلي لسنها قانوناً يعاقب على الاحتجاج السلمي دون مسوغ قانوني، ورصد منظمة العفو الدولية ما لا يقل عن 6 حالات محتملة لعمليات إعدام خارج القانون في نيكاراغوا. فضلاً عن ممارسات الدول العربية والإسلامية تجاه شعوبها، كحالات الإعدام السري وقمع المعارضة ومطاردتها، كحالة إخفاء جمال خاشقجي الإعلامي السعودي مؤخراً، في القنصلية السعودية في تركيا وملابسات الإخفاء وانشغال الرأي الخاص والعام بها، وإعلان موته قتلاً بعد اسبوعين من إخفائه من السلطات السعودية. وقرار واشنطن بضم قنصليتها الى

سفارتها في القدس والذي يعدُّ مخالفة للقانون الدولي، هذه السلوكيات تكون جزءاً من المشكلة وليس من الحل ولا يمكن ان تكون أمريكا داعية للسلام كما تدعي بهذه الممارسات وغيرها التي تحضُّ على الكراهية والعدوان.[34] هذه الحالات ذكرت على سبيل المثال وليس الحصر، تشكل دوافع قوية للإنضمام لتنظيمات إسلامية عنيفة بعدّها حلاً او بديلاً لما تطرحه الأنظمة السياسية الحاكمة.

(34) قناة ار تي الاخبارية العربية التلفزيونية، 2018/10/19. وقناة france24 التلفزيونية الاخبارية العربية، 2018/10/20.

ان الدول الضعيفة من ناحية مؤسساتها والخدمات التي تقدمها، وهي حالة معظم الدول العربية والإسلامية، تكون وعاءاً حاضناً لانتشار التطرف والإرهاب، وتعمل النظم السياسية على إبقاء واستمرار التطرف لجعل المواطنين يختارون بينها وما بين الفوضى، لعدّه من تلك النظم سلاحاً يحميها ويعزز شرعية بقائها في السلطة، كما وان هذه السياسة قد تكون على شكل تحالفات مع الدول القوية والكبرى، كما هو الحال بالمساعدات التي تقدمها الولايات المتحدة الأمريكية لبعض الدول التي ينتشر فيها الت والإرهاب، بالوقت الذي يشكّل خدمة لمصالحها في هذه الدول وتدخلاً في شؤونها الداخلية لإحكام سيطرتها عليها خدمةً لمنفعتها.[35] هذه السياسيَّة تكون دافعاً لإنخراط المرأة في التنظيمات الإسلاميَّة العنيفة نتيجةً لإندفاع أحد أفراد الأسرة الى الإنخراط بذات التنظيمات مُسبّقاً عنها، وهو ما نستطيع ان ندركه من خلال ملاحظة الدوافع الفكرية الموضوعية المذكورة بالمبحث الأول آنفا. نجد ان حالة الإعتقالات على سبيل المثال التي خضع لها البعضُ من الشباب والرجال مع السياسيَّة المتّبعة تُجاههم في مدة الإعتقال قد شكّلت دافعاً قوياً للإنخراط في التنظيمات المذكورة كوجهٍ للإنتقام او إستعادة الحق المسلوب. والى ذلك نشير الى ما رواه أبو أسامة الغريب[36] أثناء إعتقاله من القوات التركية هو وزوجته بتاريخ 2007/12/9 قائلاً: ((في اليوم الأول من الإعتقال وضعوني في زنزانة ودخل عليَّ سبعة جنود من ضمنهم أربع شرطيات ثم قاموا بتكبيلي وضربي ثم نزعوا عني ثيابي تماماً وجلسوا يضحكون وهم يقولون نحن نعرف ما هو أكثر شيء يُهينكم أيها المسلمون الملاعين... لقد عُوملنا بعنصرية وعداوة لم يسبق لها مثيل... وبعد ستة أشهر من المعاناة والتفنن في أساليب التعذيب البدنيَّة والنفسيَّة بدأت المحاكمة وكان فيها من المهازل مما يُعدُّ وصمةَ عار من القضاء النمساوي فمنذ اليوم الأول قام القاضي بطرد زوجتي من قاعة المحكمة وحرمانها من الدفاع عن نفسها بسبب إرتدائها النقاب، وفي آخر جلسات المحكمة قام القاضي بسبّ النقاب وتحقيره....)).[37] وهو ما أكّده الفكرُ الغربي بالإشارة الى تورط النساء في أعمال التعذيب في سجون أبي غريب وخليج جوانتانامو عن طريق وجود النساء

(35) عمر سمير خلف، الابعاد المحلية لانضمام الشباب لحركات العنف الراديكالية، في مجموعة باحثين، الشباب وجماعات العنف.. رؤى شبابية، مصدر سبق ذكره ص 238.

(36) ابو اسامة الغريب: « نمساوي من اصل مصري هو محمد محمود شوقي محمد الملقب بأبي اسامة الغريب، انتقل من النمسا التي نشأ فيها الى المانيا وكان احد رموز مسجد ملة ابراهيم في مدينة سولنجين التابعة لمحافظة ديسلدورف عاصمة ولاية الراين غرب المانيا، وساهم في توحيد صفوف الشباب السلفيين في تلك الولاية، واستطاع السفر الى تركيا رغم الملاحقة له في المانيا وتعرض للسجن عدة مرات تمهيداً لدخوله الى سوريا الا ان السلطات التركية اعتقلته قبل ان يطلق سراحه على اثر تبادل رهائن اتراك مع تنظيم الدولة مقابل افراج تركيا عن عدد من الجهاديين». ينظر: القيادي ابو اسامة الغريب ينكح شاعرة داعش السعودية احلام النصر متاح على:.twensamedia.blogspot.com وتركيا تعتقل ابو اسامة الغريب النمساوي المصري بمعرفة المخابرات الامريكية، 2013/3/24، متاح على: marsadpress.net .

(37) المصدر السابق.

في الجيش الغربي واستخدام أدوات كـ «دم الحيض بعدّه سلاحاً حربياً» في متناول الشرطيات الأجنبيات لإخضاع ـالسجناء غير المتعاونين وتهيئتهم للإستجواب، واستخدام هذه الوسيلة ناتج عن ما تعدُّه الثقافة الذكورية من نجاسته والتقزز منه. ان ضلوع النساء في الإعتداء الجنسي والتعذيب وَصَفَته صاحبةُ العمود الصحفي عضو النقابة كاثلين باركر:ان الانتهاكات التي جَرِت في أبي غريب هي نتيجة لما تسميه أسطورة المساواة بين الجنسين».[38] هذه الممارسات بالتأكيد تشكّل دافعاً قوياً إذا ما تمَّ تعزيزه بدوافع فكرية او موضوعية أخرى لإنخراط المرأة في التنظيمات محل البحث. ويعلّل التداخلُ ما بين الجانب السياسي بالديني كدافع آخر للإنخراط في التنظيمات الإسلامية العنيفة، من حيث التبرير الديني لممارسات النظام السياسي وتسلطه بمنع وجود المؤسسات الدينية المستقلة ونشر فكرها في مراحل الدولة قبل الربيع العربي إبان عام 2011، وما جرى بعد الربيع العربي من حالة الفوضى بالمرحلة الإنتقالية مما ساعد التيارات السلفية والمتطرفة لملء الفراغ الديني وحشد الجمهور حولها والعمل على نشر فكرها.[39]

(38) كيلي اوليفر، مصدر سبق ذكره، ص ص 43ـ45.

(39) جورج فهمي، لماذا لم تستطع الديمقراطية ان تمنع التطرف في تونس، في مجموعة باحثين، الشباب وجماعات العنف.. رؤى شبابية، مصدر سبق ذكره ص 80.

إن الصراع مع السلطة ذات التوجهات القمعية وفي ظل غياب الحقوق والحريات يُعدُّ دافعاً آخر للإنخراط في التنظيمات الإسلامية العنيفة، إذ تظهر في مثل هذه الأجواء التربة الخصبة لنشوء الجماعات المتطرفة وإلتفاف الشباب حولها لأنّها تعبّر عن طموحه، وفي محاولة لمواجهة النظام السياسي المتشدد او الذي لا يعبّر عن مطامحهم وحاجاتهم، وهو بداية لتحول الأنشطة السلمية المدنية الى عمليات مسلحة. اذ إن غياب العدالة يُنشئ الشرعيةَ لما تقوم به الجماعات المسلحة التي لا تُعدُّ ما تقوم به عنفاً، وانما وسيلة لمقاومة الطاغية، ويرى العديد من الشباب الأعضاء في هذه الجماعات أنفسَهم أبطالاً ، وتصبح الايديولوجيات المتبناة منهم جذابة ويكون الإنخراط إليهم محبباً.[40]

(40) كريستينا كازابون، دور الظروف المعيشية في انضمام الشباب للجماعات المتطرفة: الراديكالية في سياق اقليمي، في مجموعة باحثين، الشباب وجماعات العنف.. رؤى شبابية، مصدر سبق ذكره، ص ص 215ـ217.

وفي سياق المشاركة السياسية فإن دور الشباب مغيّبٌ إن لم يكن معدوماً ويكون ذلك إما عَبْرَ آليَّات تمارسها السلطةُ السياسية التي تحدُّ من مشاركتهم فيها، او عن طريق عزوف الشباب إنفسِهم لعدم وجود ما يبثُّ الأملَ فيها من أجل التغيير. وعند وجود المشاركة السياسية فإنها تتّخذُ شكلَ المظهر دون الجوهر، خالية من المكانة الحقيقية لصناعة القرارات السياسية الملامسة لحياة المجتمعات والمرتبطة بهموم الناس اليومية، وهو ما يجعل الشبابَ يشعر بالإغتراب في أوطانهم، ويهيئ الإستعداد العقلي للشروع باستخدام العنف والإيمان به بديلاً عن الوسائل السلمية التي لم تحقّق المطلوب، فيكون الإلتقاء بين هذا الاستعداد العقلي وبين الفكر

المتطرف لدى الجماعات الإسلامية العنفية الداعية الى محاربة المظلومية والظلم والفساد فيخلق أمل الانتقال لدى الشباب من حالة المفعول به الى حالة الفاعل للبحث عن الوجود والمعنى والموقع، وقد لا يكون الإنضمام الى هذه التنظيمات بدافع الدين وإنما بدافع المطالب السياسية والدوافع العرقية التي يتّخذها بعض الحكومات العربية لتوطين نفوذها السياسي، ومن الجانب الآخر يُعدُّ إنخراط الشباب في المجموعات المتشددة طريقاً للدفاع عن طائفتهم على الارض وتلاعب التنظيمات الإسلامية العنيفة بمهارة بمفهوم الطائفية وتغتنم الإحساس بشعور الضحية المتصاعد لدى الشباب.[41]

وفي سياق الحديث عن الدوافع السياسية لإنخراط الشباب الأوربي عامة الى الجماعات الإسلامية العنفية والنساء خاصة، هو التمييز الذي يعاني منه مواطنو الجالية الإسلامية، وبالتحديد مع تصاعد العداء ضد الإسلام وهو ما سهّل انتشارَ الفكر المتطرف، وطريقة التعامل مع هذه الجاليات في اوربا لا تساعد على الإندماج في هذه المجتمعات، وانما تنشئ مزيداً من الإغتراب، وما الهجمات المتكررة التي تعرضت لها الفتيات في اوربا بسبب الحجاب إلَّا دليلٌ على ذلك، بالإضافة الى ان العائلات العلمانية الاوربية ايضاً إنخرطت بناتهم في التنظيمات الإسلامية العنيفة بعد إسلامهن نتيجة لقناعتهن بفكر التنظيم اولاً ولسياسة بلدانهن تجاه المسلمين العنصرية ثانياً.[42] يلعب دور السياسة الخارجية لبعض الدول الغربية والعربية دوراً كبيراً في الإنخراط للانضمام للتنظيمات الإسلامية العنيفة، ويأتي قرار الولايات المتحدة الأمريكية بعد أحداث الحادي عشر من ايلول/ سبتمبر عام 2001 لمحاربة ما يسمى محور الشر وغزو العراق وافغانستان شاهداً على كونها دافعاً سياسياً لمقاومته لتقديم العنف بعدّه وسيلة وحيدة لتحقيق التوازن في عالم يكون فيه المسلمون والعرب ضحايا للسياسات الغربية، فضلاً عن تصدير الفكر السلفي من بعض الدول العربية كالسعودية وقطر التي دعمت الإخوان المسلمين وفكرهم في مصر والنهضة في تونس.[43] يأتي دور التنظيمات الإسلامية العنيفة وما تقدّمه للشباب عامة وللنساء خاصة مكانة متميزة لتعويضهم عن الشعور بالإقصاء الذي لاقوه من حكومات دولهم التي يعيشون فيها، لتمكينهم من القيام بأدوار فعالة في هذه التنظيمات، وإحساسهم معهم بالأمان، والاهتمام الغائب عنهن سواء في وجودهن بين اسرهن ام في وجودهن بالمجتمع، ومما تجدر الإشارة اليه في هذا الصدد هو قضية تبادل الأسرى الموجودين لدى التنظيمات الإسلامية العنيفة بالمعتقلات لدى نظام الدولة، وعلى سبيل المثال ما حدث بإفراج تنظيم داعش

(41) سارة سوجار، كيف تؤدي السياسات المحلية لالتحاق الشباب بجماعات العنف، في مجموعة باحثين، الشباب وجماعات العنف.. رؤى شبابية، مصدر سبق ذكره، ص ص 251ـ 252. وعلي عبد الهادي المعموري، الشباب العربي والحركات الراديكالية –ملاحظات حول الحضارة والسلوك والعنف، اوراق سوسيولوجية، ص 5، متاح على: iraqiaconmistis.net، ومها يحيى، الجاذبية القاتلة: خمسة اسباب لانضمام الشباب الى داعش، متاح على: carnnegieendowment.org.

(42) سيزر اوزكان، دوافع الشباب الاوربيين للانضمام للجماعات المتطرفة: داعش مثالاً، مصدر سبق ذكره، ص ص 53ـ55.

(43) عمر فسطاوي، دور السياسات الخارجية في انضمام الشباب للجماعات المتطرفة، في مجموعة باحثين، الشباب وجماعات العنف.. رؤى شبابية، مصدر سبق ذكره، ص ص 209ـ211.

عن ستة من الرهائن الـ (27) الذين خطفهم خلال هجومه في محافظة السويداء جنوبي سوريا مقابل إفراج الحكومة السورية عن نساء معتقلات لديها طالب التنظيم بالإفراج عنهن ودفع فدية كصفقة تمَّ التوصلُ اليها، قضت بتسليم أكثرَ من (60) معتقلة لدى الحكومة السورية وتسليم مبلغ قدره (27) مليون دولار.[44] وهو ما يشكّل إهتمام التنظيمات الإسلامية العنيفة بالعنصر النسوي التابع له والاهتمام الذي يسجّل في هذا الجانب بهن من حيث المطالبة بالإفراج عنهن لقاء فدية وإطلاق سراح أسرى مخطوفين لديه الذي يعدُّه سلاحاً ذا حدين.

(44) كريستينا كازابون، دور الظروف المعيشية في انضمام الشباب للجماعات المتطرفة: الراديكالية في سياق اقليمي، مصدر سبق ذكره، ص 216. وقناة france24 التلفزيونية الاخبارية العربية، 2018/10/20.

المطلب الثاني: الدوافعُ الإجتماعيَّةُ والإقتصاديَّةُ لإنخراط المرأة في التنظيمات الإسلاميَّةِ العنيفة.

تحتلُّ الدوافعُ الإجتماعية والإقتصادية مكانةً وأهمية بارزة لإنخراط المرأة في التنظيمات الإسلامية العنيفة وتتفاعلُ والدوافعُ الفكرية بدرجة كبيرة جداً حتى نكاد نفقد التمييز ما بين الخط الفاصل بينهما للتداخل الكبير. وتنطلق هذه الأهمية من المساحة التي تشغل حياة المرأة بالناحية الإجتماعية والاقتصادية والمرتبطة بدورهما بالتنشئة الإجتماعية وما تمرُّ به أثناءها وما تعانيه فيها نتيجةُ لتماسها المباشر في حياتها والسير بموازاة إهتمامها.

إذ تختلف المجتمعات والشعوب، وهذا الإختلاف ينسحب على المجتمع الواحد في بيآته المتنوعة، من حيث المحلة والمحافظة والأقاليم في الدولة الواحدة فضلاً عن الدول الأخرى وتنوعاتها، باختلاف أساليب التربية والأعراف السائدة ومدى قوّتها في المجتمع ضمن بيآته المختلفة، وهذا التنوع والإختلاف نَتَجَ عنه تنوعٌ وتعددٌ مماثلٌ للدوافع المبحوثة المتماثلة فيما بين المجتمعات والشعوب على الرغم من اختلافها لتوحد إهتمام المرأة باختلاف ثقافتها.

وإلى ذلك يقودنا الأمر الى ضرورة التعرف على مجموعة الدوافع (الإجتماعية والإقتصادية) التي تجعل من هذا المخلوق الناعم والمحب للتعاون والسلام ان ينخرط في تنظيمات إسلامية عنيفة، كون المعرفة بالأسباب لها أهمية كبيرة لإيجاد الحلول وطرح المعالجات وسد حاجات المرأة وتعزيزها.

ومن الدوافع الإجتماعية لانضمام المرأة لتنظيمات إسلامية تتبنى العنف فكراً وسلوكاً، هو العنف الموجّه لها والممارس ضدها في بيئتها الصغيرة (الأسرة)، إذ أن تَعَرُّضَ المرأة للعنف سواء كانت متزوجة ام لا وتعامل أسرتها مع العنف الموجّه

ضدها عامل يدفعها للتفكير بضرورة الخروج منه وايجاد حل للتخلص منه، لاسيما عندما يكون موقف أسرتها غير داعم لها بوجه من يقوم بتعنيفها، فأسر النساء تميل لان تكون إما حيادية ولا تتخذ موقفاً لما يحصل لبناتهن، وإما عدائية تجاههن، وهو موقف سلبي في كلتا الحالتين ومن بين حالات العنف هو القتل من أجل شرف العائلة الذي لايزال موجوداً في فكر العوائل ولاسيما الشرقية وهو ما يسمى بجريمة الشرف.[45] وعلى ذلك يكون هروب المرأة من أسرتها وبيئتها التي تؤويها، الى بيئة وحياة اخرى جديدة تخلّصها مما تعانيه وتضطرب به نفسيتها وعدّه سبيلاً للتخلص من العنف الموجه ضدها.

(45)عــزة شــرارة بيضـون، الثبات والتحول في ادوار النساء النمطية: التصورات والاتجاهات (حالة لبنان)، مجلة اضافات عدد 25، (بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، شتاء 2014)، ص 74.

إن عدم المساواة التي تتعرّضُ لها المرأة في حياتها الى جانب الرجل سواء من حيث النظرة التي تشغل فكرهم عنها كالاتكالية والإقرار بحاجة المرأة الى حماية الرجل ورعايته، وآرائه المتحفظة تجاه قضاياها ومعاداته لها في أحيان اخرى، فضلاً عن ما تعانيه من مسألة الميراث لدى بعض المجتمعات القائمة على إعطاء الرجل حقاً أكثر مما يجب ومما نصَّ عليه القرآن الكريم، ، كحالة المرأة السلالية في المغرب وهي التي لها الحق في الانتفاع من الأراضي السلالية او ما يطلق عليه بأراضي الجموع التي تكون ملكيتها عامة ترجع للقبيلة دون الفرد، والتي ترثها عن آبائها واجدادها، فالمرأة ليس لها حق الانتفاع من هذه الأراضي إذا ما كانت ارملة، إلاَّ في حالة ان يكون لها ابن ذكر، وتُحرَم من هذا الحق إذا كان لها أبناء بنات فقط، وهو تنظيم يرتبط بالعرف وبالبنية الثقافية القبلية التي يتشكل منه بناء النظام السياسي في المغرب، فالمرأة لا يحق لها ان ترث هذه الأراضي التي تنتج رأسمالاً جيداً للحفاظ على نسبية الارض.[46] وهو امر نجد له مثيلاً في مجتمعات اخرى عندما تحرم المرأة تعسفاً من حقها في الميراث وتفضيل أعطائه للذكر على حسابها وهو ما يجعلها تشعر بالإضطهاد والتمييز، وهي عوامل إجتماعية تحدّد دوافع المرأة للإنخراط في تنظيمات إسلامية عنيفة وعن طريق تفاعلها مع الدوافع الفكرية المذكورة آنفا.

(46) المصدر السابق، ص 67 وادريس الـغـزوانـي، مقـاربـة جـنـدريـة للـمرأة السلالية بالمغرب بين التشريع القانوني وتحديات التمكين، مجلة اضافات عدد 25، (بيـروت، مركـز دراسـات الـوحدة العربية، شتاء 2014)، ص ص ـ87 89.

يلعب المحيط العائلي دورَه في بيان تلك الدوافع من خلال الأب، الأخ، الأخت، الزوج والابن وكذلك دور وسائل التواصل الاجتماعي وأثاره في التغيير الفكري ومجاراة الأقران والاصدقاء في سلوكياتهم، وللفضاءات العامة والجامعات، وللمساجد دور لا يقل أهمية عن أدوار الفئات المذكورة، فمواقع التواصل الإجتماعي يكون دورها تحريضياً ومروجاً للأفكار، ويؤكد بعض الدراسات ان (40%) من مواقع عائدة لجماعات الفكر المتطرف تديرها نساء تتراوح أعمارهن ما بين (18- 25) عاماً، ولهن الدور الكبير في التأثير في الزوج والأخ للانضمام

الى أصحاب الفكر المتطرف، وتَدَخُّل دوافع الطائفية بالإنحياز للطائفة السنية ضد الطوائف الأخرى كالشيعية، من حيث ترويج تعرض المسلمين من السنة للتصفية والإبادة من الشيعة في سوريا والعراق وهو ما جعل النساء تندفع بالقتال جنب تنظيم داعش على سبيل المثال «ليس من باب القناعة بفكر التنظيم بقدر ما هو من باب (الجهاد) من أجل الدفاع عن عقيدة أهل السنة بالإضافة الى قناعتهن بأن تنظيم داعش صار يمثل الطريق الوحيد الى قيام دولة إسلامية سنية»[47] وتدخل الأسباب الذاتية المتعلقة بالنساء من الناحية العاطفية والنفسية، التي تعانيها عند وقوعها في حب شخص ما ومن ثم يتخلى عنها لتدخل في ازمة نفسية كبيرة، ولاسيما اذا كانت تنحدر من اسرة محافظة وفقيرة وبغض النظر عن الموقع الاجتماعي لهذه المرأة او تلك.[48] وهو ما تؤكده الأحداث التي حصلت لعدد لا بأس به من النساء عن طريق إغرائهن لجهاد النكاح وللزواج العرفي من رجال (جهاديين) يتبنون الفكر السلفي التكفيري بوسائل الخداع والإيقاع بهن في حبهم والوعد بالزواج منهن بعد عودتهن من الجهاد وهو ما لا يحدث عند عودتهن اذ تبحث النساء عنهم ولا يجدن مَن غرر بهن لأنه في الأساس لا يعرفن الكثير عنهم وعن حياتهم وتصل محاولات البحث عنهم بالفشل. وعلى الرغم من المستوى العلمي لهن فإن محاولات التغرير بهن تجدي نفعاً للسفر الى سوريا والعراق والمشاركة في جهاد النكاح، كما ولا يقتصر الامر على الشاب نفسه وانما يلعب هذا الدورَ عددٌ من الجمعيات الخيرية غير الحكومية والتي لا تمتلك مقرات رسمية وانما تعتمد على المقاهي والجوامع ومراكز الانترنيت لتكون وسائل للتواصل مع الضحايا وهنالك طريقة اخرى اعتمدت في هذا المجال عن طريق الصديقات المرتبطات بعلاقة زواج عرفي من الشباب التكفيري السلفي ويلتقين في الجوامع.[49] وعلى ذلك يتمُّ استدراج النساء عاطفياً للتخلص من الضغوط النفسية والإجتماعية والمعيشية متخذين من الفكر السلفي التكفيري غطاءاً شرعياً لهذه الممارسات، اذ يبيح هذا الفكرُ هجرةَ النساء من أجل (الجهاد) ومن دون محرم بالإشارة الى ان الشرع لم يفرق بين الرجل والمرأة في الهجرة، وعدم ورود نص شرعي واحد يمنع النساء من الهجرة بدون محرم، وهو ما بيّنه أبو اسامة الغريب.[50] يتّخذ التنظيمُ من النساء اللاتي يشعرن بالإحباط في عالم الغرب ايضاً هدفاً له عن طريق إقناعهن بأن الذي يقمن به له دور بطولي لنصرة المستضعفين، ونصرة الإسلام لمواجهة الكفار والطغاة ويقدم لهن نموذج الرجل غير المعتاد عليه في مجتمعاتهن الغربية، لكون الرجل ضمن فكر داعش هو البطل الذي يضحي بحياته من اجل تحقيق هدف انساني وغاية سامية والتضحية بنفسه في سبيل تحقيق هذا الهدف، وتصويره بأنه الزوج المثالي، مقارنة

(47) امال قرامي ومنية العرفاوي، مصدر سابق، ص 86 وعبد اللطيف الخماشي، المرأة التونسية في التنظيمات السلفية التكفيرية المقاتلة، 2017/1/5 متاح على: ar.lemaghreb.nt.

(48) المصدر السابق.

(49) معن خليل العمر، مصدر سبق ذكره، ص ص 152ـ153.

(50) غراميات داعش اسلوب تجنيد النساء عبر مواقع التواصل 27/ اكتوبر/2015 متاح على: //https mz_mz.net وhttps//aawsat.com ««http://www.almarjie_paris.com وامانى بهجت، من اين يأتي مقاتلوا اعش وكيف يسافر كل منهم من دولته لداعش، مصدر سبق ذكره.

بالرجل الغربي الفاقد لملامح البطولة في نظر المرأة الاوربية وبالتالي، فهذا الرجل يكون معطاءاً ومضحياً لزوجته، في مقابل الرجل الغربي والعلاقات التي يقيمها مع النساء في مجتمعه التي لا تتصف بالاستقرار وتعبر عن الهشاشة والإنحلال، وعلى ذلك يتهيَأ الاستعدادُ لدى المرأة بالقبول بمساواتها مع الرجل في مجتمع تنظيم داعش مثلاً مقابل عيش علاقة زواج مستقرة وتحقق لها شعوراً بالأمان والثقة تحت عباءة رجل يعرف كيف ينتصر على أعدائه ويحمي زوجته.[51] والرغبة بالتخلص من الحرية المفرطة لهن لكونها عبءاً ومصدراً للقلق، ومنهن من يرى ان الحمل مع العمل وواجبات الأسرة ثقيل ومتعب للغاية، وتوجههن الافضل نحو عائلة مقننة ومقيدة، وقبولهن تعدد الزوجات على ان ترى احداهن، زوجها يخونها كل الوقت مع نساء أخريات.[52]

(51) مافي ماهر، مصدر سبق ذكره، ص ص 186ـ187.

(52)نساء داعش يكشفن سر لجوء الفتيات المسلمات في المغرب للتنظيم المتطرف، 15/اكتوبر/2015، متاح على:wwwarabstoday.net.

تحرص التنظيمات الإسلامية العنيفة على دخول النساء اليها وانضمامها لعدّه ضرورة لإدامتها وتكوين العائلة التي عن طريقها تنبثق الخلافة الإسلامية، وللإثبات أنه تنظيم حقيقي له غايات وأهداف يسعى الى تحقيقها بارتكازه على فكر رصين وثابت لا يمكن زعزعة من يؤمن به ويعتقده. ونجد الحرص على نسائهم ومن تريد الانضمام لهم بالتغريدات المبثوثة عبر مواقع التواصل من القياديين بالتحذير من المخاطر التي قد تتعرض لها المرأة المهاجرة اليهم، بعد الملاحقات التي تمَّ رصدها لهم من أنظمة الدول السياسية المعادية والمناهضة لهم، بالعدول عن هجرتهن بدون محرم لتحقيق الأمن والحماية لهن من المخاطر التي قد تتعرض لها اثناء تلك الهجرة خوفاً عليهن من الإعتقال لكون مرافقة المحرم يدخل في باب التعقل والذكاء والأمن وبحسب التصرف والاخذ والرد منه في المواقف التي يتعرضون لها.[53]

(53) داعش يعترف بتجنيد النساء عبر الغراميات، 27/اكتوبر/2015 متاح على: www.assakina.com.

يلعب النظام التعليمي دوراً آخر في الاندفاع نحو تبني العنف عندما يكون قائماً على التحريض ورفض الآخر والعنف معه، كما هو الحال في مجموعة من الدول العربية كالسعودية واليمن والأردن ومصر وبقية دول الخليج العربي ،لا سيما عندما يسمح في مثل هذه البلدان بإنشاء أماكن تستقطب العديد من الشباب معتمدة أنظمة خاصة للتعليم، كمراكز تقوية الإيمان والمدارس الدينية التي تمجّد المجاهدين في افغانستان وتعطي دروساً للجهاد في المجتمعات الفاسدة، واعتماد أساليب التلقين وليس النقد والتفاعل وتعزيز عقلية «نحن» لمواجهة «هم « وفق اسس ايديولوجية وطائفية وعرقية وهو ما ساعد على انتشار الايديولوجيات المتطرفة والتلقين المبكر للأطفال عقائدياً والشباب.[54]

(54) لبيب شائف محمد اسماعيل وبليغ احمد علي النخلافي، مصدر سبق ذكره، ص 229.، ومها يحيى، مصدر سبق ذكره.

تتضمن الدوافع الاقتصادية ادواراً لا يمكن الاستهانة بها للاندفاع نحو التنظيمات الإسلامية العنيفة، فمثلما تتفاعل الدوافع الاجتماعية مع الفكرية، تتفاعل الدوافع الاقتصادية مع الدوافع السياسية مؤطرة ببوابة الإقصاء والتهميش الإجتماعي والظلم وعدم العدالة في توزيع الثروات الاقتصادية، والمجتمع القائم على أإساس الطبقات ذات المستوى المعيشي العالي والمتدني، هذه الظروف تجعل الشباب يتجهون الى من يوفر لهم سبل الكرامة والحرية والاستعداد للمواجهة والبدء في اخذ الثأر لمن لم يعطِهم استحقاقاتهم، في الدولة ومؤسساتها، وتكون التنظيمات الإسلامية المتطرفة الملجأ لهؤلاء الشباب بالأفكار التي يؤمنون بها ويسعون الى نشرها وتعويضهم عما عجزت عنه الدولة توفيره لهم، لشحذهم بآمال جديدة تجعلهم في المراتب العليا من السلم الاجتماعي، اذ يشار الى ان ما يقارب 44% من الشباب السلفي يعمل في مهن هشة تجعلهم على حافة المجتمع، وهو ما يزيد من نقمتهم على الدولة وينمّي الشعور لديهم بالثأر والمواجهة، عن طريق عبارات «الفرقة الناجية» و«أنصار الشريعة» و«فرقة التوحيد» او «فرسان الأمة» والإدراك بأنهم من الفرقة الناجية التي يقع على أيديهم إعادة مجد الامة.[55] وهذه الفئة من الشباب تؤمن بالفكر المتطرف ابتداءاً فلا يبقى لديهم إلاَّ إتّخاذُ القرار بالتوجّه نحو التنظيمات الإسلامية العنيفة التي تتّخذ مبدأ الاستقطاب بالمال كوسيلة لتأليف قلوب الناس، ومن على الحياد، للتغرير بهم وكسب ولائهم، بعدّه أسلوباً لدخول الناس الى الإيمان وإن كان عن طريق المال لأنهم عندما يخالطون أهل الإيمان ويعايشون أحوالهم ويرون الكرامات والنور وبشاشة الإيمان، تلينُ قلوبُهم للحق ويعملون عندها لأجل الدين فقط ويقدّمون أرواحهم لأجله، مشيرين الى ان الصحابة قادة الدنيا قد ساروا على هذا النهج من بعد الرسول (ص)، وبالإشارة الى السياسة الشرعية في عهد النبي التي كان فيها وقائع عديدة تمَّ استخدام المال لتأليف القلوب بضوابط معينة وانسحاب هذا التأليف لديهم الى المناصب السياسية ولا يقتصر على المال فقط لإعطائهم نوعاً من الجاه بين قومهم وعشيرتهم، في مقابل ان يُدْخِلُوا أتباعَهم ومَن معهم تحت حركة الجهاد وفي إمرة قادته لتحقيق أهدافه.[56] وتعمل التنظيمات التكفيرية الجهادية على استهداف فتيات وشبان من فئات إجتماعية معدمة وفقيرة ومستويات تعليمية متدنية ويقعون تحت تأثير عمليات غسل الأدمغة فكرياً واقناعهم والتغرير بهم لتصوير طريق الجهاد هو الطريق السليم لتجاوز الواقع، ومن دون غض النظر عن الدوافع الأخرى التي تجعل نساءاً وشباباً ينتمون الى التنظيمات المذكورة من مستويات اجتماعية وتعليمية جيدة وميسورة، فالتنظيم يلبي حاجات مقاتليه بشرط الطاعة.[57] وهنالك من الباحثين من يربط بين العنف الموجّه ضد النساء وما

(55)ماجد قروي، دور الإقصاء الإجتماعي في تنامي انخراط الشباب التونسي في الحركة السلفية: دراسة سوسيولوجية ميدانية، مجلة المستقبل العربي، عدد 467، (بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، كانون الثاني 2018)، ص ص 110 ـ 113. وللاستزادة ينظر: مجموعة باحثين، الشباب وجماعات العنف.. رؤى شبابية، مصدر سبق ذكره ص 40 وص 125 وص ص 117 ـ 118 وص 123 وص ص 182 ـ 184 وص 214 وص 224 وص 244 وص ص 253 ـ 254.

(56) ابو بكر ناجي، مصدر سبق ذكره، ص 49 وص 109.

(57) عبد اللطيف الخماشي، مصدر سبق ذكره. وشريف درويش اللبان قراءة في الاستراتيجية الإعلامية والثقافية لتنظيم داعش، متاح على:.www.arabmediasociety.com

بين الفقر والبطالة وعدّها أسباباً محرضة على العنف، ونتيجةً لذلك يعود لتبعية الاقتصاد المحلي للاقتصاد العالمي لكون العولمة قد قضت على الملكية الصغيرة للحرفيين والمزارعين، وأنهت فرص العمل الموفرة للنساء والرجال من هذين القطاعين، وانتجت بطالة متفاقمة يعاني منها الرجل والمرأة على حد سواء، والنتائج المترتبة عنه من فقدان الأمن الغذائي اليومي للمواطنين في العديد من الدول النامية وانعدام وجود الضمان الإجتماعي فيها.[58] ذلك يدلّل على مدى النقمة المتصاعدة من النساء والرجال تُجاه سياسات دولهم والدول الغربية ويعزّز توجهاتهم نحو التنظيمات الإسلامية العنيفة التي توفّر لهم ما ينقصهم في مجال بناء الذات والهُوِيَّة وتوفير لقمة العيش من منظور فكرهم وقناعتهم.

(58) ميسون العتوم، مصدر سبق ذكره، ص ص 53 ـ 54.

الخاتمة والاستنتاجات:

تستخلصُ الدراسةُ جملةً من الإستنتاجات نردُّها كما يأتي:

1 - تتنوع الدوافع لإنخراط المرأة في التنظيمات الإسلامية العنيفة ما بين دوافع فكرية ودوافع موضوعية (سياسية وإجتماعية وإقتصادية).

2 - تنقسم الدوافع الفكرية لإنخراط المرأة في التنظيمات الإسلامية العنيفة الى (دوافع فكرية ذاتية) تتعلق بفكر المرأة نفسها وبمحيطها الصغير: أسرتها ومَن حولها من المؤثرين فيها بغير الشعور و(دوافع فكرية موضوعية) ترتبط بالظروف والأحداث التي تتعرّضُ لها المرأة أثناء حياتها وتنشئتها الإجتماعية ومن ثم تشكّل معززات للقناعة وتغيير الأفكار والمعتقدات على أساسها.

3 - تتفاعل الدوافعُ (الموضوعية /الإجتماعية) مع الدوافع الفكرية منبثقة منهما قوة لإنخراط المرأة للتنظيمات الإسلامية العنيفة كما وتتفاعل الدوافع (الموضوعية /السياسية مع الدوافع الإقتصادية) لتعزّز القوةَ المنبثقة من تفاعل الأولى مع الثانية في الانضمام للتنظيمات المذكورة، وهو ما يؤكد الترابط الوثيق بين الدوافع جميعها.

4 - البحث عن المثال المطلق (الله) وطريق الخلود الى الجنة وتحقيق الذات الفكرية لها.

5 - عدم التقيد بدور محدد ومرسوم للمرأة إذ وجدت في نفسها مؤهلات واستعدادات نفسية وبدنية تخطّت حـدود العرف والثقافة السياسية والإجتماعية، الأمر الذي اختلط مع فكر التنظيمات الإسلامية العنيفة الداعمة والمشجّعة على ذلك، بعدّها آليَّة لاستقطاب النساء الى صفوفه.

6 - دور السياسات الخارجية للدول الغربية والفشل في إحتواء وإدماج الأقليَّات المسلمة في مجتمعاتهم، فضلاً عن سياساتهم تُجاه الدول الإسلامية والعربية الأخرى، وهو ما ساعد على نجاح، وجود وإدامة التنظيمات الإسلامية العنيفة (السلفية الجهادية)، فضلاً عن التمييز الذي يتعرّضُ له المسلمون في دول الغرب، شكّل واقعاً لايمكن الإستهانة به لإنخراط المرأة الى هذه التنظيمات ولاسيما المرأة الغربية المسلمة حديثاً.

7 - ردُّ الفعلِ الناتج من فكر وسلوك المرأة تُجاه العنف الموجّه لها، الأمر الذي جعلها تغيّر موقفَها ومكانتها من المفعول به الى الفاعل، وتَدْخُلُ في هذا الإطار عواملُ عدم المساواة وعدم تحقيق العدالة في الوقت نفسه، والثأر لذويها في سياق ما يتعرضون له سواءاً من ملاحقة وإعتقال ام قتل أثناء المواجهة، والتعويض عن شعور الإهمال والإقصاء والتمييز.

8 - تحقيق قدرا من الاستقطاب العاطفي في ظل التنظيمات الإسلامية العنيفة التي تحرص على إستدراج النساء في صفوفها وتوجيه النصح والإهتمام بها، في مختلف النواحي، والرغبة في التمكن من الحصول على زوج وتكوين أسرة.

9 - الرغبة في التخلّص من الحرية المفرطة التي تعيشها النساء الغربيات، مع الأعباء الملقاة على عاتقها في إطار مسؤولياتها تُجاه الأسرة والعمل، وهي في هذا تشترك مع سائر النساء الأخريات اللواتي يتحملن أعباءهن وأعباء الأعمال المناطة بأزواجهن من حيث رعاية الأسرة (تربوياً ومالياً).

10 - النظام التعليمي القائم على التحريض ورفض الآخر، فضلاً عن البطالة والفقر التي تعاني منها غالبية الأسر في المجتمعات النامية.

11 - تعدُّ الآثار النفسية المترتّبة على كل ما ذكر أعلاه دافعاً كبيراً لانضمام المرأة الى التنظيمات الإسلامية العنيفة، لكونه دافعاً غير مرئي ومستقر في غير الشعور ومعتمداً على الفكر الذي من الصعوبة ازاحته وتغييره، إلَّا وفق سياسات وأنظمة مستديمة وامتدادها الى المجالات كافة (الإجتماعية، الإقتصادية، السياسية).

12 - تأثُر المرأة بالدوافع الفكرية والإجتماعية لإنخراطها في التنظيمات المذكورة أكثر بكثير من التأثر بالدوافع الإقتصادية والسياسية، لخصوصية المرأة وتكوينها البيولوجي والنفسي والعاطفي، وهو ما يتطلّب إيجادَ سياسات تعمل على إذابة وإزالة الدوافع الفكرية والإجتماعية، الأمر الذي ينعكس بالنتيجة على إزاحة الدوافع السياسية والإقتصادية تباعاً وإنهائها.

العلاقات العراقيةُ الإسبانيَّة بعدَ عامِ 2003

أ.د. ستار جبار الجابري*
مركزُ الدراساتِ الإستراتيجيّةِ والدوليّة/ جامعةُ بغداد
* باحث من العراق

المُقدِمة:

شكّلتِ الروابطُ التاريخيّةُ والثقافيّةُ العربيّةُ – الإسبانيّةُ المميزة التقليدية إطاراً لعلاقات طيبة ومثمرة بين إسبانيا والدول العربية عموماً، فضلاً عن تبادل المصالح الإقتصادية المُهمّة، كونها تقوم على حجم كبير من التبادل التجاري. ولم تكن علاقاتُ إسبانيا بالعراق حالةً إستثنائيةً، فقد حَافَظَ البلدانِ على علاقات ودّية طيبة حتى مطلع التسعينيات، لتتحدّد وفق العقوبات الدوليّة، ومن ثم شهدت بعد عام 2003 تحسناً ملحوظاً بعد تقديم إسبانيا المساعدةَ لدول الحلفاء التي قامت بإسقاط النظام العراقي آنذاك، إلا أن سَحبَ القوات الإسبانية من العراق من الحكومة الإشتراكية في اليوم الأول من تسلّمها الحكمَ شكّل بدايةَ مرحلةٍ جديدةٍ من الفتور الذي إستمر مدةً طويلة.

وسيحاولُ هذا البحثُ قراءةَ تاريخ وواقع العلاقات بين البلدين بعد عام 2003، لاسيما بعد زيارة الباحث للعديد من المؤسسات ومراكز البحث في إسبانيا، للإطلاع على وجهة النظر الإسبانية حول علاقات البلدين.

أولاً: إطلالة على تاريخ العلاقات العراقيَّة - الإسبانيَّة

أقام العراقُ وإسبانيا علاقاتٍ دبلوماسيةً في عام 1947، وقرر البلدان رفع مستوى تمثيلهما الدبلوماسي في عام 1953، وذلك بموجب إتفاقية صداقة وعلاقات ودية وُقّعت في عام 1951. ويمكنُ القولُ:إن هذه العلاقات كانت دائماً ودية، وتطورت بشكل جيد ومتواصل، إذ وقَّع البلدان إتفاقية ثقافية عام 1957، وإتفاقية تجارية عام 1965، تمَّ تجديدُها في عام 1972، لتَشْمَلَ جانبَ التعاون الفني، وتأسيسَ اللجنة

العراقية- الاسبانية المشتركة، فضلاً عن إتفاقيات تعاون في مجال السياحة 1979، والنقل الجوي عام 1980[1].

ومنذ إقامة العلاقات العراقية – الإسبانية، أوْلت إسبانيا إهتماماً مميزاً لعلاقاتها مع العراق، وتجسَّد ذلك من خلال تعيينها أحد الشخصيات الثقافية الاسبانية الأكاديمية البارزة، وهو المستعرب الإسباني الكبير اميليو غارثيا غوميث[2] أول سفير لها في بغداد منتصف القرن الماضي.

إنَّ اتفاقيةَ التعاونِ الثقافي التي أبرمت في عام 1957 بين العراق وإسبانيا تعدّ من أهم الاتفاقيات، وتمَّ التصديقُ عليها من الملك فيصل الثاني عن الجانب العراقي والجنرال فرانثيسكو فرانكو عن الجانب الإسباني. شملت إتفاقية التعاون الثقافي تبادلَ الخبرات والتقنيات والكوادر الثقافية والأستاذة في مجال التعليم الجامعي والمسرح والفنون المسرحية والموسيقية والترجمة والكتب الثمينة الخاصة بتاريخ وتراث البلدين والمنح الدراسية والتحفيزات الخاصة بهذه الجوانب، وإنشاء معاهد ومراكز ثقافية في البلدين، وفي هذا الجانب من الإتفاقية أُسس في مدريد المركزُ الثقافي العراقي الذي افتتح في عام 1976، واستمر حتى نهاية الثمانينيات، وكان قد افتتح من نائب رئيس الجمهورية العراقية طه محيي الدين معروف، فيما أُسس المركزُ الثقافي الإسباني في بغداد منذ مطلع السبعينيات حتى نهاية الثمانينيات[3].

وقّع العراق إتفاقاً مع حكومة الجنرال فرانكو يبيع بموجبه النفطَ لإسبانيا بسعر مُخفَّض مقابل استمرار إسبانيا بعدم الإعتراف بإسرائيل أو إقامة العلاقات معها وتأييدها للقضية الفلسطينية. وقد تجسَّد تثمينُ إسبانيا لموقف العراق بمواصلة تزويدها بالنفط العراقي خلال الأزمة الناتجة عن حرب 1973 عندما منحت الحكومةث الإسبانية نائبَ الرئيس العراقي صدام حسين أرفع وسام يمنح لمسؤولٍ أجنبي يقدّم خدمةً مهمّةً ومميزة لإسبانيا وهو وسام ايسابيل لاكاتوليكا، وذلك خلال حفل رسمي نُظِمَ في مدريد عام 1974، وترأسه رئيس الدولة الجنرال فرانكو ورئيس الحكومة كارلوس اريس نافارو وولي العهد انذاك خوان كارلوس الأول[4].

ونظراً للصعوبات الإقتصادية وللعزلة الأوروبية التي كان يعاني منها نظام فرانكو الدكتاتوري، فقد تركزت توجهات السياسة الخارجية الإسبانية آنذاك على التقارب مع الكثير من الدول العربية، لاسيما المُصدّرة للنفط والتي كانت تنظر بارتياح لعدم إقامة إسبانيا علاقات دبلوماسية مع إسرائيل، فضلاً عن وجود إسبانيا عضواً مراقباً في منظمة دول عدم الإنحياز قبل إنضمامها للحلف الأطلسي عام 1981[5].

(1) Roy, Joaquín y Domínguez Rivera, Roberto, Las relaciones exteriores de la Unión Europea, Plaza y Valdés S.A., 2001, p.37.

(2) اميليو غارثيا غوميث Emilio García Gómez (1905 ـ 1995) هو مستشرق اسباني لقب بـ شيخ المستعربين الإسبان. وصل إلى بغداد سفيراً لإسبانيا يوم 13 تموز 1958م، أي قبل يوم واحد من اندلاع الثورة في العراق. له العديد من المؤلفات حول التاريخ والأدب العربيين قديماً وحديثاً، وترجم الكثير من النصوص العربية إلى الإسبانية، منها: تحقيق وترجمة كتاب "رايات المبرزين وغايات المميزين» «لابن سعيد المغربي، وترجمة كتاب «طوق الحمامة" لابن حزم الأندلسي، ورسالة الشقندي في فضل أهل الأندلس الواردة في كتاب نفح الطيب للمقري، و"الأيام" لطه حسين، كما ترجم شعر العديد من الشعراء الأندلسيين مثل «ابن زمرك». كتب بحوثا مهمة حول قصر الحمراء في غرناطة مثل «قصائد عربية على جدران الحمراء» و«أضواء قديمة على قصر الحمراء». قام باحثون عرب بترجمة بعض كتبه مثل كتاب «شعراء الأندلس والمتنبي» الذي ترجمه إلى العربية «الطاهر أحمد مكي» و«الشعر الأندلسي» الذي ترجمه حسين مؤنس.

(3) أرشيف البيت العربي في مدريد (Casa Arabe) التابع لوزارة الخارجية الإسبانية، اطلع عليه الباحث أثناء زيارته لمقر البيت في 15 حزيران 2016.

(4) النشرة الدورية لمعهد (الكانو) الملكي الاسباني للدراسات الاستراتيجية الدولية، مدريد، 2004، اطلع عليه الباحث أثناء زيارته لمقر المعهد في 16 حزيران 2016.
Real Instituto Elcano, Madrid, ـ 2004.

(5) Sánchez Ramos, Belén, La Unión Europea como actor global, Edit. Tirant lo Blanch, Valencia, 2012, pp.220 ـ 221.

وضمن توجّه جديد للسياسة الخارجية الإسبانية بعد وفاة الجنرال فرانثيسكو فرانكو عام 1975، والبدء بالانتقال لنظام سياسي ديمقراطي، قام كلٌّ من ملك إسبانيا خوان كارلوس الأول ورئيس الوزراء أدولفو سواريث عامي 1977 و1979بزيارتين رسميتين للعراق، تركزتا حول تعزيز العلاقات الثنائية بين البلدين وسبل تطويرها لاسيما في المجال الإقتصادي[6].

(6) Aldecoa Luzárraga, Francisco, La Diplomacia Común Europea: el Servicio Europeo de Acción Exterior, Madrid, Edit. Marcial Pons, 2011, pp. 176 ـ 180.

تأثّر سيرُ العلاقات العراقية الإسبانية بالحرب العراقية – الإيرانية، إذ تقلّص الوجودُ الإسباني في العراق إلى مستويات محدودة من العلاقات الاقتصادية والثقافية، وأبرزُها التبادل التجاري التقليدي والمتمثل بصادرات النفط العراقي لإسبانيا، ومبيع الأسلحة والمعدات العسكرية الإسبانية للعراق، ولغرض كسب تأييد إسبانيا للعراق في حربه ضد إيران والحصول على المزيد من الأسلحة الإسبانية قام نائب رئيس الجمهورية العراقية الأسبق عزة الدوري بزيارة رسمية لإسبانيا عام 1981. ومع ان إسبانيا قد اتّخذت موقف الحياد في الحرب العراقية الإيرانية إلا أنها أبدت المزيدَ من التقارب مع الموقف العراقي الداعي لإنهاء الحرب، ومع ذلك، فقد قامت ببيع مختلف الأسلحة للبلدين المتنازعين[7].

(7) أرشيف البيت العربي في مدريد، اطلع عليه الباحث أثناء زيارته لمقر البيت في 15 حزيران 2016.

وفي التسعينيات أُصيبت العلاقاتُ بين العراق وإسبانيا بالتوقف شبه التام نتيجة العقوبات الدولية التي فُرضت على العراق بعد أحداث الكويت، والتي حدّدت مراقبةَ على جوانب العلاقات الخارجية كافة للعراق. وأدّت هذه الظروفُ الاستثنائيةُ إلى عدم تطور العلاقات العراقية الإسبانية بالشكل الذي كان يتطلَّع له البلدان في المجالات السياسية والاقتصادية والثقافية كافة، وبشكل خاص المجالات الإقتصادية المتمثلة في الكثير من مشاريع البناء في العراق[8].

(8) Pérez Villalobos, María Concepción: "La Política Exterior y de Seguridad Común en el Tratado Constitucional de la Unión Europea", Revista de Derecho Constitucional Europeo, 2005. N 3. pp. 229 ـ 252.

وكسائرِ دولِ العالم عارضتْ إسبانيا بشدة إحتلال الكويت في 1990 والتزمت بالقرارات الدولية في تعاملها مع العراق ليقتصرَ على بعض التبادلات التجارية. وفي نهاية التسعينيات وبعد سنوات من الحصار الإقتصادي على العراق بدأت إسبانيا تميلُ إلى موقف أكثرَ مرونة إزاءَ العراق، إذ أخذت تؤيّدُ المواقفَ الداعيةَ لتخفيف العقوبات الدولية على العراق كخطوة أولى لإزالتها في مرحلة لاحقة ولتفعيل العلاقات الإقتصادية معه.

وفي هذا السياق جاءت سلسلةٌ من اللقاءات والإتصالات الرسمية بين العراق وإسبانيا تمثلت في زيارة نائب رئيس الوزراء ووزير الخارجية العراقي طارق عزيز لمدريد في عام 1998، إلتقى خلالها رئيس الحكومة الإسبانية خوسي ماريا أثنار،

وزيارة وزير خارجية العراق آنذاك محمد سعيد الصحاف لمدريد في عام 2000 إلتقى نظيره في حكومة الحزب الشعبي ابيل ماتوتيس، إذ قررا تعزيزَ التعاون الثنائي في إطار قرار 1284 لمجلس الأمن الدولي في المجال الإنساني [9].

وفي عام 2001 قام سكرتيرُ الدولة للشؤون الخارجية بجولة لمنطقة الخليج العربي شملت العراق، وبحث إمكانية تعزيز العلاقات الإقتصادية بين العراق وإسبانيا والاتحاد الأوربي. كما وقعّت غرفةُ التجارة العراقية إتفاقية تعاون مع غرفة التجارة الإسبانية عام 2002، وشارك في العام نفسه (24) من رجال الأعمال الإسبان في معرض بغداد الدولي، فضلاً عن زيارة وكيل وزارة التجارة الإسبانية لبغداد في نهاية التسعينيات [10].

ثانياً: مشاركةُ إسبانيا في التحالف الأمريكي - البريطاني في حرب غزو العراق

بعد هجمات 11 أيلول 2001 في الولايات المتحدة الأمريكية انتهجت حكومة الحزب الشعبي اليميني[11] برئاسة خوسي ماريا أثنار سياسةً تعتمد على المزيد من التقارب مع إدارة الرئيس الأمريكي جورج بوش، من أجل تعزيز العلاقات الثنائية في إطار جديد للتعاون في مجال الدفاع الإستراتيجي، لا يقتصر فقط على البلدين، وانما يشمل المزيد من دول الحلف الأطلسي، وذلك لمواجهة الخطر الجديد المتمثل في التنظيمات الإرهابية الإسلامية، وفي مقدمتها تنظيم القاعدة وحركة طالبان.

في هذا الشأن، رأى الحزبُ الإشتراكي الإسباني[12] أن هذا التوجّه للحزب الشعبي قد شكّل اختراقاً واضحاً للخطوط والمبادئ الأساسية للسياسة الخارجية الإسبانية المتفق عليها بالإجماع منذ انطلاقة التغيير الديمقراطي في إسبانيا قبل أكثرمن ثلاثة عقود، والتي قامت على أساس التوازن والإعتدال في العلاقات الدولية، وتشجيع أفكار ومقترحات السلام في العالم، والمساهمة في عدم تصعيد النزاعات الدولية، واحترام الشرعية الدولية ومقررات منظمة الأمم المتحدة، والأخذ بعدّ العلاقات المتميزة سياسياً وثقافياً وجغرافياً لإسبانيا مع الكثير من دول العالم، وبشكل خاص مع دول شمالي أفريقيا والشرق الأوسط وأمريكا اللاتينية.

وبرَّر الحزبُ الاشتراكي الإسباني هذه الانتقاداتِ للحزب الشعبي في سياق ما يراه من أن إدارة الرئيس بوش كانت تتبع سياسةً متشدِدة، تتمثل في الهجمات الإستباقية

(9) النشرة الدورية لمعهد (الكانو) الاسباني للدراسات الاستراتيجية الدولية، مدريد، 2004.
Real Instituto Elcano, Madrid, 2004.

(10) تقرير صادر عن المعهد الاسباني للدراسات الخاصة بالنزاعات الدولية والنشاط الانساني، 2006.
Instituto de Estudios sobre conflictos y acción humanitaria, 2006.

(11) وهو من أكبر الأحزاب السياسية في إسبانيا وينتهج الفكر السياسي اليميني الليبرالي البرجوازي بكل جوانب تطوره التاريخي. يعود تأسيسه إلى عام 1976 باسم حزب التحالف الشعبي كحزب يميني صغير لم يتجاوز عدد نوابه العشرة برئاسة السياسي اليميني مانويل فراغا الذي شغل عدة مناصب وزارية في عهد الجنرال فرانكو أهمها مدير الإذاعة والتلفزيون ووزير الإعلام والداخلية وسفير لبلاده في لندن. وتعززت مكانة هذا الحزب في الساحة السياسية الإسبانية في انتخابات عام 1982 بعد أن انهار فيها ائتلاف اتحاد الوسط اليمين الديمقراطي الذي ترأس أولى الحكومات الانتقالية نحو الديمقراطية للمدة 1977 لغاية 1982، والتي فاز بها لأول مرة الحزب الاشتراكي. وفي عام 1989 شهد هذا الحزب تجديدا مهما في سياق عملية إعادة لتأسيسه لملائمة وتكييفه مع الأحزاب اليمينية الأوروبية من قبل مجموعة من السياسيين الشباب ذو التوجه اليميني الليبرالي والتكنوقراط، أبرزهم خوسي ماريا اثنار الذي ترأس الحزب وأصبح رئيسا للحكومة من عام 1996 حتى 2004، ونائبه ماريانو راخوي الذي يترأس الحزب حاليا بعد أن قرر خوسي ماريا أثنار عدم ترشيح نفسه لانتخابات عام 2004. وتمكن رئيس الحزب ماريانو راخوي من تعزيز موقعه داخل قيادة الحزب في مؤتمره السادس عشر في 2008 بعد أن فشل الحزب الشعبي في الفوز في انتخابات 2008، وهو الآن رئيس لوزراء اسبانيا للدور ة الثانية على التوالي. ينتمي الحزب الشعبي لكتلة الاحزاب اليمينية الأوربية وله علاقات مهمة مع كبار قادة اليمين الأوروبي في دول مثل ألمانيا وفرنسا وايطاليا ويحتفظ بعلاقات قوية مع الحزبين الديمقراطي والجمهوري في الولايات المتحدة.

(12) الحزب الاشتراكي العمالي الإسباني: وهو حزب عريق يعود تأسيسه إلى عام 1879 ويتمسك بنهج

والرد العسكري الأحادي دون استشارة الدول الحليفة لها، وهذا ما لا يجب أن تؤيده إسبانيا، وذلك التزاماً بمبادئ السياسة الخارجية المتفق عليها والمذكورة سلفاً، وعليه فإن تأييد الحزب الشعبي الإسباني غير المشروط لهذه السياسة الأمريكية يُعدُّ انتهاكاً لهذه المبادئ ويمكنُ أن يُلْحِقُ الضررَ بالمصالح الوطنية العليا لإسبانيا [13].

وبموجب هذا التوجّه للسياسة الخارجية الإسبانية قرّرت حكومةُ الحزب الشعبي برئاسة خوسي ماريا أثنار تأييد الولايات المتحدة الأمريكية وبريطانيا في إستعدادهما لغزو العراق وإسقاط نظام صدام حسين في عام 2003، إذ عبّرت عن هذا الموقف في جلسات خُصّصت لمناقشة الموضوع في مجلس النواب الإسباني، وكذلك خلال تبادل الزيارات للرئيس جورج بوش وتوني بلير وخوسي ماريا اثنار بين واشنطن ولندن ومدريد، واللقاء الذي جَمَعَ القادةَ الثلاثة في (جزر الأزور) البرتغالية الذي تمَّ فيه تأكيد قرارِ الغزو، فضلاً عن تصويت الحكومة الإسبانية المؤيّد للقرارات والمقترحات الأمريكيةِ كافة في مجلس الأمن الدولي بشأن العراق.

يَدخلُ هذا التوجّهُ في إطار الرؤية السياسية المحافظة للحزب الشعبي التي تشدّد على إنتماء إسبانيا للعالم الغربي، وضرورة مواجهة القوى والتنظيمات المتطرفة والمناهضة للغرب والولايات المتحدة كافة، لذا يمكن القولُ:إن موقف الحزب الشعبي المؤيّد للولايات المتحدة لا يُعدُّ مثيراً للدهشة، بل إنه سعى لتأكيد أهمية علاقات الصداقة والتحالف الإستراتيجي في المجالات السياسية والإقتصادية والعسكرية بين الولايات المتحدة الأمركية وإسبانيا، وبالتحديد بموجب إتفاقية التعاون الثنائية الموقّعة بين البلدين منذ منتصف الخمسينيات، والتي تنصُّ على وجود قواعد عسكرية أمريكية في الأراضي الإسبانية يمكنُ أن تستعملها القواتُ الأمريكية، بعد الحصول على موافقة السلطات الإسبانية، فضلاً عن وجود إسبانيا في الحلف الأطلسي والإتحاد الأوروبي [14].

وعلى الرغم من الانتقادات الشديدة التي تعرّضت لها حكومةُ أثنار من الحزب الاشتراكي في المعارضة آنذاك وأحزاب يسارية وإقليمية صغيرة أخرى لهذا الموقف، إلا أنها أصرّت على موقفها المؤيّد لقرار غزو العراق، وقرّرت إرسال قوات إسبانية مكوّنة من (900) جندي للمساهمة في إعادة استقرار وإعمار العراق، إنتشر جزء كبير منها في الديوانيَّة والجزء الآخر في البصرة وذلك بعد إنتهاء عملية الغزو في 12 أيار 2003 [15].

ومع أن القواتِ الإسبانيَّةَ لم تشارك في العمليات العسكرية للغزو، إلَّا أنها قدّمت

الاشتراكية الديمقراطية، استلم حكم إسبانيا منذ عام 1982 حتى عام 1996 بزعامة فيليب غونثاليث، ليعود مرة أخرى للحكم في عام 2004، وجدد فوزه في الانتخابات العامة في عام 2008 بزعامة خوسي لويس ثاباتيرو. وفي انتخابات 2011 خسر الانتخابات أمام الحزب الشعبي الذي حقق فوزاً بأغلبية ساحقة. وكان لنخبة الشباب في قيادة الحزب، في مقدمتهم فيليب غونثالث الدور الأساس في تعزيز وجود الحزب الاشتراكي العمالي الإسباني في الاشتراكية الدولية وإقامة علاقات وطيدة مع الأحزاب الاشتراكية الديمقراطية الأوروبية، وحظي بعلاقات مميزة مع الأحزاب الاشتراكية الديمقراطية الأوروبية والعديد من قادتها البارزين مثل الرئيس الفرنسي الأسبق فرانسوا ميتران والمستشار النمساوي برونو كريسكي. كما ارتبط بعلاقات شكلية منذ سبعينيات القرن الماضي متواصلة حتى الآن بشكل غير فاعل مع أحزاب اشتراكية ويسارية في العالم الثالث. أهم قادته في الوقت الحالي بيدرو سانجيث السكرتير العام الذي انتخبه المؤتمر العام التاسع والثلاثون الاستثنائي الذي عقد في 27 تموز 2014.

(13) Aldecoa Luzárraga, Francisco, op. cit, pp. 180.

(14) Barbe, Esther, La Unión Europea en las relaciones internacionales, Madrid. Tecnos, 2014, p.65.

(15) تقرير صادر عن المعهد الاسباني للدراسات الخاصة بالنزاعات الدولية والنشاط الانساني، 2006.
Instituto de Estudios sobre conflictos y acción humanitaria, 2006.

الدعم اللوجيستي للقوات الأمريكية من خلال إستعمال بعض القواعد العسكرية الإسبانية، فضلاً عن وجود ست طائرات مقاتلة من نوع (F 16) وطائرة تزويد وقود وثلاث بواخرَ حربيةٍ في منطقة الخليج بالقرب من ساحة العمليات، وذلك بموجب تفويض البرلمان الإسباني في شباط 2003 بعد طرح الموضوع لمناقشات حادة بسب المعارضة الشديدة من الكثير من الأحزاب، إذ وافق البرلمانُ على مقترح حكومة أثنار بتأييد (183) ومعارضة (164) عضواً[16].

(16) Aldecoa Luzárraga, Francisco, op. cit, pp. 182.

وإحتجاجاً على تأييد حكومة الحزب الشعبي اليميني الإسباني للحرب على العراق قدَّم القائم بالأعمال الإسباني في بغداد فيرناندو فاليرراما إستقالته قبل بدء العمليات العسكرية للغزو. وعدّ الدبلوماسي الإسباني حينذاك أن موقفَ حكومة بلاده يشكّل إنتهاكاً للشرعية الدولية، متهمّاً حكومة أثنار بالخضوع والطاعة لرغبات الولايات المتحدة الأمريكية [17].

(17) Barbe, Esther, op. cit, p.66.

ومع أن درجة القائم بالأعمال هي غير عالية، إلَّا أن استقالته أعطت تبريراً للمواقف المعارضة للحرب، ووضعت الحكومة الإسبانية أنذاك في موقف محرج وصعب أمام الرأي العام الإسباني.

ويتمثّلُ الإطارُ القانونيُّ الدولي لمشاركة القوات الإسبانية في العراق بالقرار ذي الرقم (1483) الذي أصدره مجلسُ الأمن في 22 أيار 2003 بعد انتهاء العمليات العسكرية رسمياً في العراق، وإعلان ذلك من قوات التحالف الدولي بقيادة الولايات المتحدة الأمريكية وإسقاط نظام صدام حسين، الذي تمَّ بموجبه العمل والتنسيق مع قوات التحالف لتنظيم المرحلة الجديدة في البلاد.

نصَّ هذا القرارُ على محاور مُهمَّة أهمُها: عَدُّ الولايات المتحدة الأمريكية وبريطانيا دولتين محتلتين تمثلان السلطاتِ الإداريةَ الرسمية للعراق، وبالتالي تتحملان مسؤولية إعادة الأمن والاستقرار، وتوفير الظروف المناسبة للشعب العراقي في المشاركة في تقرير مستقبله من خلال المشاركة في العملية السياسية، والتصويت على دستور جديد، واختيار حكومة جديدة في انتخابات ديمقراطية، فضلاً عن عدم منح اللجوء السياسي لمسؤولي النظام العراقي السابق المتورطين بجرائم ضد الإنسانية. وفي مرحلة لاحقة نصَّ قرارُ رقم 1511 الصادر من مجلس الأمن في 16 تشرين الأول 2003 على إنشاء قوات متعددة الجنسيات بقيادة الولايات المتحدة للمساهمة في إرساء الأمن والاستقرار في العراق، وأهاب القرارُ بالدول الأعضاء بالمشاركة في هذه القوات[18].

(18) النشرة الدورية لمعهد (الكانو) الاسباني للدراسات الاستراتيجية الدولية، مدريد، 2004. Real Instituto Elcano, Madrid, ـ 2004.

من هنا يمكنُ القولُ:إن حكومة أثنار وجدت في هذا القرارالإطار القانوني الدولي لوجود القوات الإسبانية في العراق، التي كانت في أمس الحاجة أمام الرأي العام الإسباني ولمواجهة انتقادات المعارضة. وفي هذا التوجّه رأى العديدُ من المراقبين الإسبان أن قرار حكومة أثنار كان قابلاً للجدل والنقاش من وجهة النظر السياسية حتى وإن كان مطابقاً للقوانين، إذ عَدَّ الحزبُ الاشتراكي المعارض آنذاك، وجود القوات الإسبانية تدخلاً في الحرب، وبالتالي انتهاكاً للمادة (63) من الدستور الإسباني التي تضع قيوداً مشددة للمشاركة في النزاعات الدولية، فضلاً عن إمكانية تعرّضِ مصالح إسبانيا للخطر نتيجة هذه المشاركة، فيما حاولت حكومة أثنار تبريرَ وجود القوات الإسبانية في العراق من خلال تأكيد أن قرارها ينسجم مع المادة (97) من الدستور الإسباني [19].

(19) مقابلة شخصية مع كريم هاوزر العسقلاني مدير برنامج الحوكمة في البيت العربي (Casa Arabe) في مدريد بتاريخ 15حزيران 2016.

ثالثاً: مواقفُ الأحزابِ السياسيَّةِ الإسبانيَّةِ من العراق قُبَيْلَ وأثناءَ الإحتلال الأمريكي

للأحزاب السياسية الإسبانية مواقفُ معلنةٌ من الكثير من القضايا في العالم كثيراً ما يتِمُّ تأكيدها عند ظهور مستجدات، مثل تطورات الأوضاع السياسية في دول الشرق الأوسط وشمالي أفريقيا، بما فيها الأوضاعُ في العراق قبل وبعد عام 2003، فضلاً عن القضايا الدولية الراهنة، وأهمُّها الحفاظُ على البيئة والتسلّح النووي والأمن الدولي والهجرة غير الشرعية والإرهاب.

وفيما يخصُّ موقفَ الأحزاب الإسبانية من العراق تحديداً، لا بدَّ من تحديد موقف كل حزب من تلك الأحزاب على حدّة:

1- الحزبُ الإشتراكيُّ العماليُّ الإسباني:

إرتبط الحزبُ منذ سبعينيات القرن الماضي بعلاقات جيّدة مع العراق، وقام كلٌّ من فيليب غونثاليث ونائبه الفونسو غيررا بزيارة العراق عام 1980 قبل تسلّم الحزب الإشتراكي الحكم في إسبانيا والتقيا الرئيس العراقي الأسبق صدام حسين.

وبما يخصُّ موقفَه من العراق، فقد عارض الحزبُ بشدّة عندما كان في المعارضة الغزوَ الأمريكيَّ للعراق في 2003، وقاد المظاهراتِ الواسعةَ ضد دعم حكومة الحزب الشعبي لها، وتمسَّكَ بهذا الموقفِ بعد فوزه في انتخابات 2004، والتزم بوعده بسحب القوات الإسبانية التي أرسلتها حكومة اليمين إلى العراق في أول ساعات من تسلّمه السلطة.

موقف الحزب من العملية السياسية في العراق تمثَّل بتأييدها بشكل سطحي، لكنه كان يندّد بالعمليات الإرهابية التي تقع في العراق بشكل واضح، وحاول الحزبُ إحتواءَ الغضب الأمريكي لسحب قواته، من خلال تسهيل بعض الدورات الفنية لعدد من رجال القضاء والأمن والإدارة والصحافة خلال السنوات التي أعقبت قرارَ الإنسحاب من العراق.

بيدَ أنه ليس لديه توجّهٌ ملموسٌ ومعلنٌ نحوَ تعزيزِ العلاقات مع العراق في بعض المجالات ومنها الإقتصادية، وما يؤكد ذلك هو عدم تشجيعه الشركات الإسبانية للعمل في العراق، فضلاً عن عدم تبادل أي زيارة رسمية بين البلدين على مستوى وزير خارجية منذ تولي الحزب الاشتراكي الحكم عام 2004، إذ إن أعلى مستوى لزيارة مسؤول اسباني للعراق كانت لوكيل وزارة الخارجية انخل لوسادا نهاية تشرين الثاني 2008. كما إن الخارجية الإسبانية صنَّفت العراقَ منذ 2004 من بين المناطق الخطيرة في العالم[20].

(20) مقابلة شخصية مع السيد قاسم عبد الكريم عضو اتحاد الصحفيين العرب في اسبانيا، مدريد، 15 نيسان 2016.

2- **الحزب الشعبي:**

تتميّزُ السياسة الخارجية للحزب الشعبي الإسباني بالمواقف المؤيّدة لسياسة الولايات المتحدة الأمريكية في القضايا والأزمات الدولية، آخرُها الغزو الأمريكي للعراق عام 2003 والسياسة الأمريكية المنتهجة مع كوبا وقضايا الشرق الأوسط والملف النووي الإيراني وسباق التسلّح النووي والتشدّد في محاربة التطرف الإسلامي.

بما يخصُّ موقفَه مع العراق، يمكن الإشارة إلى أن الحزب الشعبي عندما كان في السلطة أعلنَ عن تأييد إسبانيا التام لإستعدادات الولايات المتحدة الأمريكية لغزو العراق وإسقاط النظام العراقي، إذ عَقَدَ رئيسُ الحكومة آنذلك خوسي ماريا أثنار إجتماعاتٍ عدّةٍ مع الرئيس الأمريكي جورج بوش ورئيس الوزراء البريطاني توني بلير في مدريد ولندن وواشنطن أُختتمت باجتماع لهؤلاء القادة في جزيرة الأزور البرتغالية بحضور رئيس الوزراء البرتغالي السابق خوسي باروسو.

في هذا الصدد إحتضنت حكومةُ اثنار اجتماعات مع عدد من زعماء المعارضة العراقية في العاصمة مدريد قبل أشهر من الغزو الأمريكي، معلناً لهم دعمَ حكومته وحزبه لجهود إسقاط النظام العراقي وإقامة نظام ديمقراطي جديد. وجدير بالذكر أن الحزب الشعبي كان قد بدأ اتصالاته مع المعارضة العراقية السابقة مطلعَ التسعينيات، ونظّم إجتماعاً مهماً لقادتها في مدريد عام 1992[21].

(21) مقابلة شخصية مع السيد علاء الهاشمي سفير جمهورية العراق في اسبانيا في مبنى السفارة بمدريد، 15 حزيران 2016.

3 - الحزب الشيوعي الإسباني(*):

يُعرَف عن الحزب الشيوعي الإسباني تعاطفُهُ مع قضايا دول العالم الثالث وتأييده لها ومناهضة سياسة الولايات المتحدة الأمريكية، وله علاقاتٌ مع العديد من الأحزاب الشيوعية والحركات اليسارية في الكثير من مناطق العالم بما فيها الأحزاب الشيوعية في العراق وسوريا ولبنان وحركات التحرر في العالم الثالث، مثل منظمة التحرير الفلسطينية وجبهة البوليساريو.

عارضَ الحزبُ الشيوعي بشدة الغزو الأمريكي للعراق، وانتقد حكومةَ اثنار لتأييدها الغزو، وساهم في حملة واسعة لتحريك الرأي العام الإسباني ضد الغزو، تجسَّدت في تظاهرات شعبية واسعة[23].

(23) مقابلة شخصية مع السيد قاسم عبد الكريم عضو اتحاد الصحفيين العرب في إسبانيا، مدريد، 15 نيسان 2016.

4- إئتلاف الوفاق والإتحاد في إقليم كتالونيا(**):

شكَّل إقليم كتالونيا الذي يبلغ عددُ نفوسه ثمانية ملايين نسمة تقريباً، أهميةً بارزة في مجمل الحياة السياسية وعلى مختلف مراحل التاريخ الحديث والمعاصر لإسبانيا، كونه يشكّل أحد الأجزاء الحيوية في الاقتصاد الإسباني لما يمتلكه من قدرات وإمكانيات عالية في مختلف قطاعات الصناعة والزارعة والسياحة، إذ يُعدُّ اقتصادُ إقليم كتالونيا أكبرَ اقتصادات أقاليم إسبانيا.

وفيما يخصُّ موقفَه من العراق، ومع أن مواقف هذا الائتلاف تُعدُّ قريبة للمواقف الأمريكية لكنَّه تحفَّظ كثيراً على الغزو الأمريكي للعراق، وصوَّت في مجلس النواب

(*) الحزب الشيوعي الإسباني: تأسس في عام 1921 بعد انشقاقه عن الحزب الاشتراكي العمالي الإسباني للتأكيد على تمسكه بالنهج الماركسي اللينيني. ولعب دوراً مهماً في تطور الأوضاع السياسية في إسبانيا، إذ كان أحد الأطراف الرئيسة في الحرب الأهلية التي اندلعت في عام 1936 وانتهت عام 1939، وكان له دور مميز في مرحلة الانتقال إلى الديمقراطية، إذ ساهم بشكل فعال من خلال تعديل مواقفه نحو تقبل نظام ديمقراطي برلماني ضمن ملكية دستورية، وتخليه عن مواقفه التقليدية الداعية لإقامة جمهورية. ولغاية نهاية عقد الثمانينيات كان يحتفظ بنسبة عالية من المقاعد في البرلمان تراوحت بين 20 إلى 23 مقعداً في الحقبتين التشريعيتين الأولى والثانية من مجموع 350 مقعداً في مجلس النواب، وكان لديه أكثر من مئتي ألف عضو. ومنذ ذلك الحين وحتى الآن يعاني من تراجع في مكانته السياسية، فقد أخذت أصواته تتناقص في الانتخابات التشريعية والمحلية، حتى انخفض تمثيله البرلماني إلى خمسة مقاعد في انتخابات 2004، وإلى مقعدين في انتخابات عام 2008. وحاليا له وجود محدود جدا في المجالس البلدية. وربما يعود ذلك إلى عدم إعادة النظر في مبادىء الحزب وتمسكه بأفكاره التقليدية حتى بعد انهيار المعسكر الاشتراكي عام 1991. أمينه العام الحالي هو خوسي لويس ثينتيا.

(**) ائتلاف الوفاق والاتحاد في اقليم كتالونيا: تأسس في عام 1980 بين حزبي الاتحاد الديمقراطي الكتلاني وحزب الوفاق الديمقراطي الكتلاني. يتميز الحزبان بالتوجه القومي المحافظ واليمين الوسط، ويطالبان بوضع خاص لإقليم كتالونيا كقومية لها خصوصيات ثقافية وتاريخية تختلف عن إسبانيا، وإن كانت ترتبط معها بروابط تاريخية وسياسية مشتركة، ويسعى لتحقيق ذلك سلمياً، ويرفض وسائل العنف لتحقيق مطالبه القومية، ويلتزم بالدستور الاسباني المعمول به منذ عام 1978. هيمن الائتلاف القومي الكتلاني على إدارة الحكم الذاتي منذ عام 1980 حتى عام 2006 عندما خسر الانتخابات الإقليمية أمام الحزب الاشتراكي الكتلاني الذي يترأس حكومة الإقليم الحالية. وتمكن من المحافظة على نسبة جيدة من المقاعد في مجلس النواب الاسباني تتراوح بين 10 إلى أثنى عشر مقعدا من مجموع 350 مقعد. وفاز الائتلاف في الانتخابات الاقليمية التي جرت في تشرين الثاني 2010 وتمكن من العودة حكومة الاقليم برئاسة مرشحه أرتور ماس. عارضت قيادة حزب الاتحاد الديمقراطي الكتلاني التوجه الانفصالي لشريكه الأكبر، وتم فسخ الشراكة السياسية بين الحزبين منتصف 2015.

ضد مقترح الحكومة السابقة بدعم الحرب، ولم يشارك في التظاهرات المناهضة للحرب التي شَهِدَها الكثيرُ من الأقاليم الإسبانية بما فيها إقليمُ كتالونيا الذي يتمتّع فيه بشعبية واسعة [24].

5- الحزب اليساري الجمهوري الكتلاني (*):

كان موقفُ الحزبِ من العراق واضحاً، إذ يمكن الإشارة إلى أنه إذا ما نُظِرَ إلى توجهاته كقوة يسارية متشدّدة، فهو عَارَضَ علانيةَ وبشدّة الغزوَ الأمريكيَّ للعراق، وشارك في تظاهرات الإحتجاجات الواسعة ضد الحرب [25].

6- الحزب القومي الباسكي (**):

تمثّل موقفُ الحزب من العراق بأنه تحفَّظَ على الغزو الأمريكي، وصوَّت ضد مقترح الحكومة في مجلس النواب لتأييد الحرب، لكنَّه لم يشارك في التظاهرات المناهضة لها.

7- الحزب الكناري (***):

موقفُه من العراق تمثَّل بموقف قريب من الحزب الشعبي اليميني الذي أيَّد التدخلَ الأمريكي عام 2003 [26].

8- حزب إتحاد الشعب في إقليم نافارا الواقع شمالي إسبانيا (****):

عارضَ الحزب الغزوَ الأمريكي للعراق [27].

(24) مقابلة شخصية مع السيد علاء الهاشمي سفير جمهورية العراق في إسبانيا في مبنى السفارة بمدريد، 15 حزيران 2016.

(25) مقابلة شخصية مع السيد علاء الهاشمي سفير جمهورية العراق في اسبانيا في مبنى السفارة بمدريد، 15 حزيران 2016.

(26) مقابلة شخصية مع السيد قاسم عبد الكريم عضو اتحاد الصحفيين العرب في إسبانيا، مدريد، 15 نيسان 2016.

(27) مقابلة شخصية مع السيد قاسم عبد الكريم عضو اتحاد الصحفيين العرب في إسبانيا، مدريد، 15 نيسان 2016.

(*) تأسس في عام 1931 في إقليم كتالونيا، ويتبنى التوجه اليساري، ويدعو لانفصال الإقليم سلمياً، ولإقامة نظام جمهوري مستقل عن اسبانيا، ويعارض النظام الملكي في اسبانيا، ويعدّ من القوى السياسية القومية في الإقليم الأكثر تشدداً في المطالب الانفصالية. يعارض العنف كوسيلة لتحقيق مشروعه الانفصالي، مع عدم استبعاد اللجوء اليه إذا تطلبت الضرورة. يعدّ من الأحزاب المهمة والمؤثرة في الإقليم، إذ حافظ خلال العقود الثلاثة الأخيرة على نسبة جيدة من عدد المقاعد في البرلمان المحلي تتراوح بين 20 و23 مقاعد، وفي بداية عهد الديمقراطية نهاية السبيعينيات وحتى مطلع التسعينيات حافظ على وجود مهم في البرلمان الإسباني بلغ ما يقارب 15 مقعداً، سكرتيره الحالي اوريولس جونكيراس.

(**) يعدّ من الأحزاب التاريخية في إسبانيا، إذ تأسس عام 1895، وهو حزب برجوازي قومي، يطالب باستقلال إقليم الباسك عن إسبانيا وفرنسا، إذ يقع الإقليم جغرافياً بين هاتين الدولتين، ويقع الجزء الأكبر منه في إسبانيا. ويتمتع الحزب بالسيطرة على الحياة السياسية في الإقليم، إذ تمكن من ترؤس الحكومات المحلية التي تشكلت منذ تطبيق مشروع الحكم الذاتي وإجراء أول انتخابات في عام 1980 وحتى 2009، فضلاً عن وجوده المهم في العديد من المجالس البلدية. وللحزب القومي الباسكي تمثيل مهم في البرلمان الإسباني، فمنذ الانتخابات الأولى التي جرت عام 1977 وحتى انتخابات 2008 حافظ الحزب على نسبة بين خمسة إلى عشرة مقاعد من مجموع 350 مقعد في مجلس النواب وحاليا له ستة مقاعد.

(***) تأسس عام 1982 في جزر الكناري الواقعة في المحيط الأطلسي قبالة شواطئ المغرب والصحراء الغربية، متأثراً بحركة القوميين الإنفصاليين الكناريين التي تأسست في عشرينيات القرن الماضي لمدة وجيزة. منذ تأسسه، تمتع الحزب بحضور سياسي مهم في الجزر وبتأييد شعبي لتبنيه نهج الديمقراطية في توجهه القومي للدفاع عن قضايا الإقليم وخصوصياته، ورفضه العنف، الأمر الذي سهل فوزه في انتخابات الإقليم عام 1999 ووصوله لرئاسة الحكم الذاتي فيه واستمراره حتى الآن، وله نسبة جيدة في مجلس النواب الإسباني تتراوح بين مقعدين وثلاثة مقاعد.

(****) وهو حزب إقليمي تأسس عام 1979 له شعبية واسعة في الإقليم تمكن من خلالها السيطرة على الحكومة الإقليمية وبلدية عاصمة الإقليم بامبلونا منذ مطلع التسعينيات.

9- حزب الكتلة القومية في إقليم غاليثيا الواقع شمالي غرب إسبانيا [28]:

عارضَ الحزبُ الغزوَ الأمريكي للعراق، وانتقد حكومة الحزب الشعبي لتأييدها له [29].

10- حزب إتحاد التقدم والديمقراطية [30]:

عارضَ الحزبُ الغزوَ الأمريكي للعراق [31].

رابعاً: العلاقاتُ بين البلدين بعد التاسع من نيسان 2003

إقتصر التمثيلُ الدبلوماسيُّ لإسبانيا في العراق على مستوى قائمٍ بالأعمال للمدة 1990، حتى سقوط النظام في التاسع من نيسان 2003، وذلك بسبب العقوبات الدولية التي أثَّرت أيضا في مستوى التمثيل الدبلوماسي الأجنبي في بغداد.

واستمر مستوى التمثيل الدبلوماسي الإسباني في بغداد كما هو حتى عام 2005، وقد عيَّنت الحكومةُ الإسبانيةُ اغناثيو روبيريث سفيراً لإسبانيا في العراق للمدة 2005 حتى 2008، وفي عام 2008 عيّنت فرانثيسكو الياس تيخادا سفيراً جديداً في بغداد، إذ أخذت بعين لإعتبار خَبرَتْهُ الدبلوماسيةُ والسياسية، فقد كان يشغل منصب المدير العام للدائرة السياسية في وزارة الخارجية الإسبانية، لذلك تمَّ اختيارُه سفيراً في بغداد.

بعد تغيير النظام في العراق عام 2003، شَمِلَتْ برامجُ التعاونِ الإسبانية في إطار برامج الإتحاد الأوروبي مع العراق مجالاتِ الصحة، والتربية، والبنى التحتية، وصيانة الإرث التاريخي، والبيئة، والنقل، وفي محافظات العراق كافة وعلى مستوى القطاعين الخاص والعام [32].

قرارُ سحبِ القوات الإسبانيَّة من العراق

شكّلت إعتداءات الحادي عشر من آذار 2004 في مدريد حدثاً سياسياً مهماً، ليس فقط على المستوى الداخلي لإسبانيا، وإنما على مستوى الأحداث السياسية العالمية، لما نتج عنها من تأثيرفي سير الإنتخابات التشريعية التي جَرَت بعد ثلاثة أيام من وقوع الإعتداءات من جهة، وتغيير مهم في توجّه السياسة الخارجية الإسبانية مع الولايات المتحدة الأمريكية من جهة أخرى [33].

وحسب آراء الكثير من المراقبين الإسبان والدوليين فإن وقوع العمليات الإرهابية التي نفذتها مجموعات جهادية إسلامية في مدريد قبل ثلاثة أيام من إجراء

(28) يتمتع هذا الحزب بثقل سياسي مهم وشعبية كبيرة في الإقليم، إذ يشكل القوة الثالثة في البرلمان الإقليمي، وله مقعدان في مجلس النواب الإسباني.

(29) مقابلة شخصية مع السيد علاء الهاشمي سفير جمهورية العراق في إسبانيا في مبنى السفارة بمدريد، 15 حزيران 2016.

(30) تأسس هذا الحزب في عام 2007 من عضوة الحزب الاشتراكي الإسباني فرع إقليم الباسك روسا ديث بعد انشقاقها عن الحزب احتجاجاً على قيام الحكومة الاشتراكية المركزية بمفاوضات مع منظمة ايتا، احتفظ الحزب بمقعد واحد في مجلس النواب، ومقعد في برلمان اقليم الباسك في الدورات التشريعية السابقة. وتم حل الحزب بعد فشله في انتخابات عام 2015.

(31) مقابلة شخصية مع السيد قاسم عبد الكريم عضو اتحاد الصحفيين العرب في إسبانيا، مدريد، 15 نيسان 2016.

(32) Herrero de la Fuente, Alberto A., "Las relaciones exteriores de la Unión Europea en el Tratado de Lisboa", Revista de Derecho de la Unión Europea, Nº 18 ـ 1er Semestre 2010, p.163.

(33) Arteaga, Félix. "Oriente Próximo, perdido en el laberinto islamista", Revista Expansión, 2014, nº9, p. 47.

الانتخابات في 14 آذار، والتي خلَّفت (192) قتيلاً ومئات الجرحى، كان لها الأثر البالغ في إحداث تغيير واضح في توجهات ونيات المصوتين الإسبان، وقَلَّبَ التوقعاتِ ليتحقَّقَ فوزا بأغلبية بسيطة للحزب الاشتراكي الإسباني، إذ كانت كلُّ التوقعات تشير إلى احتمال فوز الحزب الشعبي واستمراره في الحكم لمدة ثالثة متتالية في الحكم، وإن كان ذلك ربما بإمكانية فقدان الأغلبية الساحقة التي كان يتمتع بها نتيجة فقدان بعض التأييد الشعبي بسبب الموقف المؤيّد للحرب ولغزو العراق، الذي روَّج له الحزب الاشتراكي واستخدامه انتخابياً، وكذلك إصرار وتأكيد حكومة أثنار أن هذه الإعتداءات هي من فعل منظمة ايتا الإنفصالية الباسكية وليس لها علاقة بموضوع العراق، لتفادي إمكانية تأثيره سلبياً في الناخب الإسباني، كما حصل الأمرفيما بعد[34].

لقد انتقد الحزبُ الاشتراكي الإسباني خلال وجوده في المعارضة بشدة استعدادات الولَايات المتحدة الأمريكية لغزو العراق مما دفعه للمواجهة مع حكومة الحزب الشعبي اليميني الحاكم أنذاك، التي انتهجت سياسةً مؤيدةً لإدارة الرئيس بوش فيما يتعلق بالشأن العراقي. وتمكن الحزب الاشتراكي من الإفادة من تأييد الأوساط الشعبية والشخصيات الآكاديمية ومنظمات المجتمع المدني لموقفه الرافض لقرار الحرب، وتزامن ذلك مع قرب موعد الانتخابات العامة من خلال مشاركته في مظاهرات الإحتجاج كافة ضد الحرب التي شهدها العديد من المدن الإسبانية وكذلك في نقاشات مجلس النواب الإسباني حول الموضوع[35].

ومع أن الحزب الإشتراكي الإسباني كان قد وعد خلال الحملة الانتخابية بالانسحاب الفوري للقوات الإسبانية من العراق في حال فوزه في الانتخابات التي جرَت في 14 آذار 2004، إلاَّ أن إعلان الرئيس الجديد خوسي لويس ثاباتيرو في اليوم الأول من تسلّمه مهام الحكم في البلاد عن سحب القوات الإسبانية الموجودة في العراق، وبالتحديد في مدينة الديوانية وأم قصر في البصرة، قد أثار الدهشة لدى الأوساط السياسية وحتى الرأى العام الإسباني المعارض لموقف حكومة الحزب الشعبي، إذ كان من المنتظر والمتوقع أن يكون الانسحابُ من العراق خلال مزيد من الوقت وبشكل تدريجي يسمح بالمحافظة على صورة إسبانيا الخارجية، وبشكل لايؤثر سلبياً في علاقتها مع العراق ومع الولايات المتحدة الأمريكية، وفي هذا التوجّه يمكنُ الإشارةُ إلى رأي رئيس الحكومة الإسبانية الأسبق فيليب غونزاليث الذي ترأّس عدّةَ حكومات خلال المدة 1982- 1996، الذي أشار فيه إلى عدم إتفاقه مع التسرع في تنفيذ قرار الإنسحاب[36].

(34) تقرير صادر عن المعهد الإسباني للدراسات الخاصة بالنزاعات الدولية والنشاط الانساني، 2006.
Instituto de Estudios sobre ـ conflictos y acción humanitaria, 2006.

(35) Muñoz Rodríguez, María del Carmen, Democracia y derechos humanos en la acción exterior de la Unión Europea, Madrid, REUS, S.A., 2010, pp. 102 ـ 103.

(36) Herrero de la Fuente, Alberto A., "La Política Exterior y de Seguridad Común en el Tratado de Lisboa", Anuario de Derecho Europeo, Nº 5, 2008, pp. 37 ـ 65.

وقدِ انتقد الحزبُ الشعبي الذي أصبح في المعارضة قرارَ حكومة ثاباتيرو بالانسحاب الفوري من العراق، وعدم طرح الموضوع للمناقشة في البرلمان للحصول على الموافقة اللازمة، حتى وأن هذا القرار كامل الشرعية لاستجابته مع وعد انتخابي قطعه الحزب الاشتراكي خلال الحملة الانتخابية. كما ركز الحزب الشعبي في مجمل انتقاداته على أن التسرع في تنفيذ قرار الانسحاب كان مدروساً من الحزب الاشتراكي لتفادي الالتزام بقرار كان سيصدّق عليه مجلس الأمن في حزيران 2004 يشرك دول الإتحاد الأوروبي في عملية إعادة إعمار العراق [37].

(37) النشرة الدورية لمعهد (الكانو) الإسباني للدراسات الإستراتيجية الدولية، مدريد، 2004.
Real Instituto Elcano, Madrid, ـ 2004.

وكان بعض المراقبين يرون أن وقوع العمليات الإرهابية في مدريد قبيل إجراء الانتخابات كان يمكن أن يستثمر من الحكومة الاشتراكية الجديدة لعدم المضي قدماً في تنفيذ وعدها الانتخابي بسحب القوات من العراق والتراجع عنه ولو جزئياً، بالاستناد إلى أن البلد قد تعرَّض لهجمة إرهابية شرسة تلزم الحكومة الإسبانية أن لا تكون بعيدة عن ساحات مواجهة الإرهاب وعن حلفائها في الحلف الأطلسي. إلا أن المخاوف من انتقادات الرأي العام الداخلي وإمكانية توجيه الإتهام لها بالتخلي عن وعدها الانتخابي كان له تأثير بالغ، ودفعتها لاتخاذ قرار الانسحاب الفوري، بعد أن وجدت حكومة الحزب الاشتراكي نفسَها أمام خيارين في غاية الصعوبة، إما تنفيذ وعد الانسحاب الفوري، أو إبقاء القوات الإسبانية في إطار قرار الأمم المتحدة الخاص باستقرار وأمن العراق. وبقيت هذه المخاوف نفسُها تمنع إقدامَ الحكومة الإسبانية الاشتراكية من دفع وتفعيل العلاقات مع العراق، إذ كانت تخشى أن تتعرض لانتقادات القوى المعارضة للحرب داخل وخارج الحزب الاشتراكي، فضلاً عن أن المعارضة اليمينة التي تحاول وضع الحكومة في حرج أمام الرأي العام لتناقضها مع مواقفها السابقة من الموضوع والتي عارضت فيه دعم حكومة الحزب الشعبي للتدخل العسكري في العراق [38].

(38) تقرير صادر عن المعهد الإسباني للدراسات الخاصة بالنزاعات الدولية والنشاط الإنساني، 2006.
Instituto de Estudios sobre ـ conflictos y acción humanitaria, 2006.

وترتَّب على هذا القرار فتورٌ في علاقات إسبانيا ليس فقط مع العراق، وإنما مع الولايات المتحدة، استمر طوال مدة حكم الحزب الاشتراكي. تمثَّل هذا الفتورُ في إحداث تباعد في المواقف والرؤى المشتركة مع الولايات المتحدة الأمريكية وهي حليف قوي لإسبانيا منذ منتصف القرن الماضي، وكذلك في الابتعاد عن عملية إعادة بناء العراق والعملية السياسية فيه، بعد أن كان متوقعاً أن تشهد دفعاً نحو تطويرها في المجالات كافة، على أثر تأييد حكومة الحزب الشعبي لعملية تغيير النظام السياسي في العراق والعملية السياسية لإقامة نظام ديمقراطي، وليس من المبالغة الإشارة إلى أن إسبانيا كان متوقعاً لها أن تأتي بعد أستراليا في الحصول

على جزء كبير ومهم في مشاريع البناء وإعادة الإعمار في العراق، لاسيما في قطاعات الطاقة والبنى التحتية [39].

(39) Sánchez, Víctor Manuel, (Dir.), Derecho de la Unión Europea. Barcelona, Edit. La Costa, 2010, p.273 ـ 274

على الرغم من تأكيد حكومة خوسي ثاباتيرو استعدادها لتقديم المساعدات اللازمة لإعادة إعمار العراق، وفي هذا الصدد حاولت حكومة ثاباتيرو استمالة موقف إدارة الرئيس بوش، إذ قامت باستضافة دورات تدريبية تأهيلية في إسبانيا وخارجها لعدد من الفنيين والإداريين العراقيين في مجال القضاء والإدارة والصحافة وتقنيات إبطال مفعول المتفجرات خلال عامي 2005 و2007 [40].

(40) Villalba Fernández, Aníbal, "El Tratado de Lisboa y la política común de seguridad y defensa" en Panorama Estratégico 2010/2009, págs. 153 ـ 184.

ويمكن القول إن هذا الموقف يأتي منسجماً مع رؤية الحزب الاشتراكي الإسباني للوضع السياسي في العراق بأنه في غاية التعقيد، وأن مشاكله الداخلية آخذة في التعقيد، نتيجة لوجود الاحتلال، وذهب بعيداً في هذه الرؤية ليشكك في شرعية الحكومة العراقية كونها مُنَصَّبة من المحتل حسب ما ورد على لسان مسؤولين في منظمات سياسية مرتبطة بالحزب الاشتراكي الإسباني [41].

(41) مقابلة شخصية مع السيد قاسم عبد الكريم عضو اتحاد الصحفيين العرب في إسبانيا، مدريد، 15 نيسان 2016.

ولم تساهم زيارة وزير الخارجية العراقي هوشيار زيباري لإسبانيا عام 2006 في دفع العلاقات الإسبانية العراقية نحو التطور، كونها لم تكن زيارة رسمية بمفهومها الشامل، إذ لم يجتمع برئيس الحكومة الإسبانية خوسي لويس رودريغيث ثاباتيرو، كما لم يقُمْ وزير الخارجية الإسبانية ميغيل أنخل موراتينوس بزيارة العراق، على الرغم من جولاته المتواصلة في الشرق الأوسط.

وضمن تطلعات الحكومة الإسبانية الإشتراكية إلى فتح صفحة جديدة في العلاقات الاسبانية-الأمريكية لا سيما بعد وصول باراك اوباما إلى البيت الأبيض، سعت حكومة ثاباتيرو لدفع، ولو بشكل محدود، العلاقات مع العراق. في هذا الصدد قام انخل لوسادا سكرتير الدولة للشؤون الخارجية الإسبانية نهاية عام 2009 بزيارة رسمية لبغداد إجتمع خلالها مع وزير الخارجية العراقي هوشيار زيباري، كما إلتقى رئيس الوزراء العراقي نوري المالكي وعدد خر من المسؤولين العراقيين. وعلى الرغم من الإعلان عن إمكانية قيام وزير الخارجية الإسبانية بزيارة للعراق لم تتمّ هذه الزيارة، ربما لأسباب كانت تتعلق بقرب موعد الانتخابات العراقية والتأخر في تشكيل حكومة عراقية جديدة.

عقدت لجنةُ العلاقات العراقية – الإسبانية اجتماعاً في 12 نيسان 2011 برئاسة وزير النقل هادي العامري بمقر الوزارة وبحضور ممثلين عن الوزارات العراقية لبحث تطوير العلاقات بين البلدين وكيفية الإفادة من القدرات الإسبانية، وتضمَّن الاجتماعُ

طرحَ مشاريع ومقترحات من ممثلي الوزارة لتفعيل اللجنة والإستفادة من الخبرات والقدرات والإمكانيات الإسبانية، لاسيما أن إسبانيا تحتلُّ المركزَ التاسعَ عالمياً في مؤشرات الدول الاقتصادية الكبرى والسادس أوربيا وثالث أكبر مستثمر في العالم.

وأضاف أن المجتمعين اتفقوا على ضرورة توفير أجواء ومناخات مناسبة تشجع الشركات الإسبانية على الاستثمار في العراق، لما تمتلكه إسبانيا من خبرات وقدرات سيكون لها دور كبير في تطوير الاقتصاد العراقي إن هي أقدمت على المساهمة بقوة في الفرص الاستثمارية المتوفرة في العراق [42].

إلتقى السفيرُ العراقي في مدريد وديع بتي حنا في مقر السفارة في 9 نيسان 2015 مع كريستينا برميخو (Cristina Bermejo) نائب رئيس وعدد من أعضاء الهيأة الإدارية في منظمة الإنقاذ الدولية (Rescate Internacional) غير الحكومية[43]، واستعرض السفيرُ وضع اللاجئين والنازحين في العراق جراء الجرائم والعنف الذي مارسه تنظيم «داعش» الإرهابي. موضحاً أن التنظيم الإرهابي لا يستهدف العراق فقط، إنما العالم بأسره، لذا ينبغي تكثيف الجهود الدولية لمساعدة هؤلاء اللاجئين والنازحين في عموم العراق. كما أثنى خلال اللقاء على موقف حكومة وشعب إسبانيا الداعم للعراق. وأوضحت كريستينا برميخو أن المنظمة على استعداد للتعاون وتقديم الدعم للمنظمات غير الحكومية في العراق. مشيرةً إلى أن المنظمة تعمل في عدة دول عربية منها الأردن وسوريا ولبنان، وأن المنظمة ستدرس السبل الممكنة لتقديم المساعدات للاجئين والنازحين في العراق بالتعاون مع الوكالة الإسبانية للتعاون الدولي التابعة لوزارة الشؤون الخارجية والتعاون الإسبانية[44].

والتقى السفير وديع بتي حنا في 13 حزيران 2015 خسوس بيفنتاخيل مدير عام شركة ايندرا الإسبانية المتعاقدة مع المفوضية العليا للانتخابات في العراق بخصوص تجهيز البطاقة الالكترونية للناخب العراقي، تقديراً لعمل الشركة وسمعتها الطيبة في السوق الإسبانية، معرباً عن أمله في دخول الشركة إلى السوق العراقية بمشاريع كبيرة، من خلال العمل مع وزارات الدولة وفي مجال الاستثمار. من جانبه أبدى رئيس الشركة عن سعادته في اللقاء والعلاقة الطيبة التي تربطهم مع المفوضية العليا للانتخابات، وأشاد بدور السفارة في تسهيل كافة الإجراءات الخاصة بالشركة كافة، والحصول على سمات دخول بوقت قياسي [45].

وعُقِدَ في العاصمة الإسبانية مدريد الإجتماعُ الاستثنائيُّ للجنة مكافحة الإرهاب (CTC) التابعة لمجلس الأمن في منظمة الأمم المتحدة للمدة 27 - 28 تموز

(42) تنظر: وكالة الأنباء العراقية، على الرابط
http://www.al ـ iraqnews.com/news/newwss/political ـ news/56981html

(43) وهي منظمة غير حكومية تأسست عام 1960 وتخصصت في تقديم المساعدات للاجئين والنازحين والمتضررين جراء الصراعات المسلحة على الصعيدين الوطني والدولي.

(44) ينظر موقع السفارة العراقية في مدريد على الرابط:
http://mofamission.gov.iq/ab/SpainMa&article=1849

(45) ينظر موقع السفارة العراقية في مدريد على الرابط:
http://mofamission.gov.iq/ab/SpainMa&article=2803

2015، الذي تركز على وقف تدفق المقاتلين الإرهابيين الأجانب إلى مناطق الصراع، للإنضمام إلى صفوف التنظيمات الإرهابية. شارك في الاجتماع العديدُ من الوزراء وممثلي المنظمات والهيآت الدولية فضلاً عن عدد من الخبراء المختصين في مكافحة الارهاب. ومَثَّلَ الجانبَ العراقيَّ كلٌّ من وزير الداخلية محمد سالم الغبان ووكيل وزارة الخارجية نزار عيسى عبد الهادي الخيرالله، وسفير جمهورية العراق لدى إسبانيا وديع بتي، ورئيس أركان الجيش العراقي الفريق الركن عثمان الغانمي [46].

وألقى رئيس الحكومة الاسبانية ماريانو راخوي (Mariano Rajoy) كلمة افتتاح الاجتماع، وشدّد خلالها على ضرورة تكاتف المجتمع الدولي في محاربة التنظيمات الإرهابية. مؤكداً دعم وتضامن حكومة إسبانيا مع الشعب والحكومة الشرعية في العراق في حربها ضد الإرهاب. مشيداً بانعقاد هذا الاجتماع المهم الذي يمثّل خطوة مميزة نحو فتح آفاق التعاون الدولي في وقف تدفق المقاتلين الإرهابيين الأجانب. من جانبه ألقى وزير الداخلية العراقي محمد سالم الغبان كلمة في الاجتماع أشار خلالها إلى جهود العراق في محاربة التنظيمات الإرهابية، وما يقدّمه الشعب العراقي من تضحيات ضد هذه التنظيمات التي تستخدم القتل والتهريب والعنف. موضحاً أن هذه التضحيات ليست لحماية العراق فقط إنما العالم بأسره. مؤكداً أن العراق عازم ومصمم على القضاء على هذه التنظيمات الإرهابية، وإن تحقيق ذلك يتِمُّ عن طريق التعاون والدعم الدولي [47].

والتقى وزير الداخلية محمد سالم الغبان على هامش الإجتماع الاستثنائي للجنة مكافحة الإرهاب (CTC)، برفقة سفير جمهورية العراق لدى إسبانيا، المديرَ التنفيذيَّ للجنة مكافحة الإرهاب جان بول لابورد (Jean-Paul Laborde) في 28 تموز 2015. وتناول الوزير خلال اللقاء الوضع في العراق والانتصارات التي حقّقها القوات الأمنية والقوات المسلحة على تنظيم (داعش) الإرهابي، وأكد ضرورة دعم المجتمع الدولي للعراق ضد هذه الهجمة الإرهابية الشرسة، والقضاء على جذور هذه التنظيمات من خلال تجفيف منابع التمويل ووقف تدفق المقاتلين الإرهابيين الأجانب.

من جانبه، أكد (جان بول لابورد) أن لجنة مكافحة الإرهاب في الأمم المتحدة تعي الخطر الذي تمثّله هذه التنظيمات الإرهابية ليس على العراق فحسب، إنما العالم بأسره. مشيراً أن الدول الأعضاء في اللجنة الأممية تدعم جهود الحكومة العراقية في حربها ضد الإرهاب، وهناك إجماع على وجوب التحرك الدولي لمساندة العراق

(46) Hollis, Rosemary, "No friend of democratization: Europe's role in the genesis of the Arab Spring", International Affairs, vol. 88, n. 1, 2012, pp. 81 ـ 94.

(47) ينظر موقع السفارة العراقية في مدريد على الرابط:
http://mofamission.gov.iq/ab/SpainMa&article=3132

في تجفيف منابع التمويل ووقف تدفق المقاتلين الأجانب، وقد قامت اللجنة بإدامة اتصالات دولية مكثفة بشأن هذه الموضوعات. مؤكداً أن الإجتماع المنعقد في مدريد يُعدُّ خطوة مهمة نحو تحقيق هدف القضاء ودحر التنظيمات الإرهابية[48].

(48) ينظر موقع السفارة العراقية في مدريد على الرابط:
http://mofamission.gov.iq/ab/SpainMa&article=3133

فضلاً عن ذلك إلتقى على هامش المؤتمر نفسِه نائب وزير الخارجية الإسباني نظيرَه العراقيَّ، وأصدر مكتب الإعلام الدبلوماسي في وزارة الشؤون الخارجية والتعاون في مملكة إسبانيا بياناً في 27 تموز 2015 حول الإجتماع جاء فيه: «عَقَدَ سكرتيرُ الدولة للشؤون الخارجية، السيد اغناثيو ايبانيث، إجتماعَ عملٍ اليومَ في مركز وزارة الشؤون الخارجية والتعاون ونظيره العراقي السيد نزار الخيرالله الذي يحضر الإجتماع الخاص للجنة مكافحة الإرهاب الخاصة بـ»كشف تدفق المقاتلين الإرهابيين الأجانب» المنعقد حالياً في مدريد. وأكد اغناثيو ايبانيث لوكيل الوزير العراقي تضامن الحكومة الاسبانية ودعمها الثابت للشعب العراقي وللسلطات العراقية في مواجهة تنظيم «داعش» الذي يشكّل تهديداً عالمياً لم يسبق له مثيلٌ من خلال أعماله وانتهاكه الخطيرة لحقوق الانسان. كما أكد المسؤولان أهمية محاربة تنظيم «داعش» بشكل مشترك في إطار إستراتيجية متعددة الأبعاد. وشدداً على أهمية فهم ظاهرة «داعش» بشكل أفضل وذلك من منظور استخدام وسائل إعلامية جديدة. من جانبه، شكر وكيل الوزارة العراقي دعم إسبانيا لحكومته في محاربة تنظيم «داعش» من خلال القيام بمهمة المستشارين العسكريين في العراق في إطار التحالف الدولي. كما نقل سكرتير الدولة لنظيره العراقي الدعم الإسباني للحكومة العراقية برئاسة رئيس الوزراء حيدر العبادي، وشجع السلطات العراقية على مواصلة عملية الإصلاحات اللازمة للمصالحة الوطنية وللتكامل بين مختلف الطوائف، موضّحاً أن مواجهة التهديد الإرهابي فقط يمكن أن تتِمَّ من خلال مؤسسات راسخة وجامعة. وفيما يخصُّ العلاقات الثنائية، أكد المسؤولان المستوى الممتاز للعلاقات بين البلدين التي يتِمُّ الإحتفالُ بالذكرى السنوية الـ(70) لها في عام 2016. كما أكدا التزامهما لتعميق التعاون في مجالات المصالح المشتركة وفي مقدمتها السياسية والاقتصادية والثقافية. وفي نهاية الإجتماع تَبَادَلَ المسؤولان وجهات النظر حول قضايا المنطقة، وعبرا بشكل خاص عن قلقهما للصعوبات المترتبة على السلام والإستقرار في المنطقة»[49].

(49) ينظر موقع السفارة العراقية في مدريد على الرابط:
http://mofamission.gov.iq/ab/SpainMa&article=3117

وعلى هامش المؤتمر، إلتقى رئيس أركان الجيش العراقي الفريق الركن عثمان الغانمي نظيرَه الإسبانيَّ فرناندو غارثيا سانجث في مقر رئاسة أركان الجيش الإسباني في 28 تشرين الأول 2015. وفي بداية اللقاء رَحَّبَ رئيسُ أركان الجيش الإسباني

بالفريق الغانمي، وأثنى على الجهود المبذولة في محاربة تنظيمات داعش الإرهابية، مؤكداً موقف إسبانيا الثابت في دعم العراق في معركته ضد الإرهاب، لأن هذا الإرهاب يمثّل خطراً على هذا العالم أجمع، وبحث الجانبان سبلَ التعاون للقضاء على هذه التنظيمات الإرهابية، وآلية تحقيق الإفادة القصوى للقوات العراقية من خلال المستشاريين العسكريين الإسبان الذين تمَّ إرسالهم الى العراق لتدريب القوات العراقية [50].

(50) ينظر موقع السفارة العراقية في مدريد على الرابط: http://mofamission.gov.iq/ab/SpainMa&article=3900

وإلتقى السفيرُ العراقي وديع بتي حنا في 27 تشرين الأول 2015 خايمه غارثيا لغاث سكرتير الدولة لشؤون التجارة الإسباني بمناسبة قرب انتهاء أعماله في مملكة إسبانيا. وتناول اللقاء استعراض مجمل القضايا والأحداث التي تخصُّ البلدين خلال مدة عمل السفير في المملكة، وعبَّرَ السفيرُ عن شكره متمنياً أن يتمَّ عملُ المزيد في المستقبل من أجل المزيد من الإزدهار في العلاقات العراقية الإسبانية. وفي نهاية اللقاء عبَّر سكرتيرُ الدولة لشؤون التجارة عن شكره وإمتنانه لتعاون السفير في فتح آفاق التعاون كافة بين البلدين، وفي مختلف المجالات طوال مدة عمله في المملكة، متمنياً له المزيد من النجاح والتقدم في مهامه الجديدة [51].

(51) ينظر موقع السفارة العراقية في مدريد على الرابط: http://mofamission.gov.iq/ab/SpainMa&article=3909

إستضاف المعهدُ الملكيُّ الكانو (Real Instituto Elcano) الإسباني للدراسات السياسية والإستراتيجية السفيرَ العراقيَّ الجديدَ في مدريد علاء مجيد الهاشمي يوم 8 نيسان 2016 في لقاء عمل تحت عنوان (العلاقات العراقية الاسبانية: آفاق التطور والتحديات) وبحضور مدير المعهد جارلوس بوول (Charles Powell)، وعدد من المختصين والباحثين في الشؤون السياسية والإقتصادية والإجتماعية من مختلف المؤسسات الإسبانية ووزارة الخارجية والتعاون الإسبانية، ومؤسسة البيت العربي. وألقى السفير مداخلة تناولت نبذةً عن تاريخ العراق والعلاقات المتميزة بين العراق وإسبانيا وآفاق تطورها، مشيراً إلى الإمكانيات والفرص الكبيرة المتاحة أمام البلدين لتعزيز العلاقات في المجالات كافة، لاسيما في مجال التعاون الاقتصادي والاستثمارات. كما تطرَّق السيدُ السفيرُ خلال المداخلة إلى العملية الديمقراطية في العراق، والتحديات التي تواجهها، وأبرزُها الإرهاب المتمثلُ بتنظيم (داعش) الإرهابي، مشيراً بهذا الخصوص إلى أن الإرهاب لا يقتصر على منطقة الشرق الأوسط بل يشمل العالم بأسره، وينبغي على المجتمع الدولي دعم العراق بهدف القضاء عليه بشكل نهائي [52].

(52) ينظر موقع السفارة العراقية في مدريد على الرابط: http://mofamission.gov.iq/ab/SpainMa&article=5615

إلتقى سفيرُ جمهورية العراق لدى مملكة إسبانيا علاء الهاشمي في 12 نيسان 2016، بخوسيه مانويل غارثيا مارغايو(José Manuel Garcia Margallo) وزير الخارجية

الإسباني في مركز الوزارة، وذلك بمناسبة تقديم السفير أوراقَ إعتمادِه رسمياً إلى ملك إسبانيا فليب السادس. وتناول اللقاءُ بحث العلاقات الثنائية وسبل تعزيز التعاون لتعميق المصالح المشتركة بين البلدين في المجالات السياسية والإقتصادية والثقافية، فضلاً عن عدد من القضايا المهمة الراهنة التي تخصُّ البلدين في منطقة الشرق الأوسط، ولاسيما العراق وجواره، إذ أكدا أهمية محاربة تنظيم «داعش» الإرهابي بشكل مشترك في إطار إستراتيجية متعددة الأبعاد.

من جانبه قدَّم السفيرُ الهاشمي شرحاً وافياً لمستجدات الأوضاع الأمنية في العراق والإنتصارات المتلاحقة التي تحققها القوات الأمنية ضد تنظيم «داعش» الإرهابي، وأكد السفير أهمية الدعم المعنوي للعراق من خلال ضرورة تبادل الزيارات على مستوى عالٍ بين البلدين. كما تقدَّم السفير بالشكر والإمتنان لمملكة إسبانيا لما تقدَّمه من دعم للحكومة العراقية في إطار محاربة تنظيم «داعش» الإرهابي، والمتمثلة بمهمة التدريب وزيادة الخبرة القتالية للقوات العراقية المسلحة الجارية في العراق من قبل المستشاريين العسكريين الإسبان ضمن إطار التحالف الدولي [53].

(53) ينظر موقع السفارة العراقية في مدريد على الرابط:
http://mofamission.gov.iq/ab/SpainMa&article=5710

وإلتقى السفيرُ علاء الهاشمي في 24 حزيران 2016 رئيس أركان الجيش الإسباني، الادميرال فرناندو غارثيا سانجث (Fernando García Sánchez) في مقر رئاسة الأركان، وأعرب السفيرُ عن شكر وامتنان حكومة وشعب العراق لموقف ممكلة إسبانيا الثابت في دعم العراق في معركته ضد الإرهاب من خلال إرسال الخبراء العسكريين الإسبان إلى العراق لتدريب وتأهيل قوات الجيش والأجهزة الأمنية العراقية.

وتطرَّق السفيرُ إلى الانتصارات الكبيرة التي تحققها القوات العراقية المسلحة ترافقها قوات الحشد الشعبي والعشائر العراقية في الفلوجة، والروح المعنوية العالية التي يتمتع بها المقاتل العراقي وهو يدافع عن ارضه والتضحيات الكبيرة التي يقدّمها للمضي قدماً لتحرير مدينة الموصل وكل شبر من الأرض العراقية دنس هذا الكيان الارهابي. وأشار إلى أن تنظيم داعش يمثل خطراً ليس على العراق والمنطقة فحسب، إنما على العالم بأسره، لذا ينبغي تكاتف الجهود وتعاون الجميع في القضاء على هذه المنظمات الإرهابية. كما ناقش الطرفان آليات تحقيق الإفادة القصوى للقوات العراقية من خلال الخبراء العسكريين الإسبان الذي تمَّ إرسالهم إلى العراق لتدريب القوات العراقية.

من جانبه، أكد رئيس أركان الجيش الإسباني موقف مملكة إسبانيا الداعم للعراق

في المجالات كافة، وبالأخص الجانب العسكري في الوقت الحاضر من خلال الخبراء الإسبان في العراق وكذلك إقامة دورات تدريبية للقوات العراقية في سبيل القضاء على تنظيم داعش الإرهابي وإستعادة الأراضي العراقية كافة [54].

(54) ينظر موقع السفارة العراقية في مدريد على الرابط: http://mofamission.gov.iq/ab/SpainMa&article=6684

وبعد إنتهاء زيارة وزير الشؤون الخارجية الإسباني خوسيه مانويل غارثيا إلى العراق، زار السيد خوسيه ماريا فرري ديلابينيا سفير مملكة إسبانيا في بغداد السفير علاء الهاشمي في مقر السفارة في مدريد لتقديم الشكر والامتنان لإنجاح هذه الزيارة، وترتيب اللقاءات مع المسؤولين في بغداد. وخلال اللقاء تمَ التداول في الشؤون المتعلقة بين العراق وإسبانيا وبحث سبل تطويرها وزيادة الدعم للعراق، لاسيما بعد الاتفاق على تشكيل الحكومة الإسبانية الجديدة[55].

(55) ينظر موقع السفارة العراقية في مدريد على الرابط: http://mofamission.gov.iq/ab/SpainMa&article=8338

إلتقى السفير علاء الهاشمي وبمناسبة انتهاء مهام عمله سفيراً مفوضاً وفوق العادة في مملكة إسبانيا سكرتير الدولة للشؤون الخارجية الإسباني اغناثيو يبانيث في 16 كانون الثاني 2017. وعبَّر السفيرُ عن شكره وتقديره لسكرتير الدولة والعاملين على ملف العراق، لما أبدوه من تعاون مع السفارة طوال المدة التي عمل فيها، وعبَّر عن رغبته في ان تبقى أواصر التعاون بين السفارة والوزارة. وتطرق السفير إلى ضرورة إنهاء الملفات العالقة مع الوزارة بعد أن إنشغلت الحكومة الاسبانية نهاية عام 2016 بإجراءات تشكيل الحكومة الجديدة، وحثهم على انعقاد أعمال الدورة الثالثة عشرة للجنة العراقية –الإسبانية المشتركة في بغداد، وتوقيع مذكرة المشاورات السياسية، والتي أبدى العراق استعداده على توقيعها بعد أن أكمل الجانبان الإجراءات القانونية كافة. كما عبَّر السفيرُ عن امتنانه لقرار الحكومة والبرلمان الإسباني بزيادة عدد المستشارين العسكريين لمساعدة وتدريب القوات العراقية في حربها ضد تنظيم داعش الإرهابي، والذي يحقق خطوات مهمة جداً وفي المراحل الأخيرة لتحرير مدينة الموصل بالكامل من دنس هذه العصابات الإجرامية. وفي نهاية اللقاء عبَّر سكرتير الدولة عن خالص أمنياته للسفير في مهام عمله الجديد[56].

(56) ينظر موقع السفارة العراقية في مدريد على الرابط: http://mofamission.gov.iq/ab/SpainMa&article=9588

وإلتقى السفيرُ العراقي علاء الهاشمي في مدريد في 24 كانون الثاني 2017 رئيس أركان الجيش الإسباني فرناندو غارثيا سانشيز، وأثنى السفيرُ على قرار الحكومة الإسبانية بشأن زيادة عدد المستشارين العسكريين والخبراء الإسبان بعد ان نال القرار تصديق البرلمان الإسباني، وهذا يدل على مدى الرغبة الحقيقية في مساعدة العراق والوقوف إلى جنبه في محاربة داعش من خلال تدريب عناصر الجيش العراقي والقوات الأمنية، كما أشار السفير إلى الانتصارات التي حققتها القوات المسلحة العراقية بصنوفها كافة في عمليات (قادمون يا نينوى) التي تميّزت بالمهنية

العالية والتدريب والتسليح الجيد، والدور الإنساني الذي تقوم به الوحدات القتالية في الحفاظ على أرواح المدنيين الذين يستخدمهم «داعش» دروعاً بشرية.

من جانبه أكد رئيس أركان الجيش الإسباني مساندة مملكة إسبانيا للجهود التي تبذلها الحكومة العراقية في محاربة الإرهاب، وأبدى إعجابه وتقديره العالي للروح المعنوية التي يتمتع بها المقاتل العراقي، وحرصه الكبير على حماية المدنيين على الرغم من شراسة المعركة وتعقيداتها. كما وأشار إلى أن مملكة إسبانيا تشكّل جزءاً مهماً من التحالف الدولي المشارك في العمليات الحربية ضد داعش، وستستمر في دعمها لتدريب القوات العراقية حتى تحقيق النصر [57].

(57) ينظر: موقع السفارة العراقية في مدريد على الرابط: http://mofamission.gov.iq/ab/SpainMa&article=9729

وإلتقى السفيرُ العراقي في مدريد بتاريخ 25 كانون الثاني 2017، السيدة آنا باستور خوليان (Ana Pastor Julian) رئيسة مجلس النواب الإسباني في مكتبها بمبنى البرلمان.وشكر السفير رئيسة البرلمان الإسباني على حسن استقبالها، وتمنى لها النجاح في أداء عملها بعد ان تشكلت الحكومة الإسبانية، وحل الأزمة السياسية التي كانت قائمة لأكثر من عام. كما شكرها على مواقفها الإيجابية إزاء العراق عندما كانت وزيرة الأشغال العامة خلال المدة 22 كانون الأول 2011 – 19 تموز 2016، وطالب بمواصلة دعمها ومواقفها الإيجابية إزاء العراق من خلال عملها رئيسة البرلمان الإسباني. وذكر السفير نبذة عن التجربة الديمقراطية العراقية التي بدأت بعد عام 2003، والتي تمَّ استهدافُها من جهات عديدة وبجميع الوسائل، إلا إن ذلك لم يُثنِ العراقَ من المضي في التوجّه الديمقراطي الذي رسمه لنفسه رغم جميع التحديات. وشرح السفير الوضع الراهن في العراق وآخر مستجدات الحرب على الإرهاب، لاسيما معركة تحرير الموصل، آخر معاقل التنظيم الإرهابي في العراق.

وشكرت رئيسة مجلس النواب الإسباني السفير على هذه الزيارة وعدّتها مبادرة قيمة لتعزيز أواصر التعاون بين البلدين، وأبدت استعدادها للتعاون مع المسؤولين العراقيين، كما أكدت التزام بلدها بمساندة العراق في حربه على الإرهاب، وهنأت الشعب العراقي وحكومته بتحرير الجزء الشرقي من مدينة الموصل. كما أشارت إلى أن زيادة عدد الخبراء الإسبان لتدريب القوات العراقية هو دليل واضح على التزام واستمرار إسبانيا بدعم العراق في حربه على الإرهاب [58].

(58) ينظر: موقع السفارة العراقية في مدريد على الرابط: http://mofamission.gov.iq/ab/SpainMa&article=9764

وبعد مغادرة السفير علاء الهاشمي لإسبانيا، إلتقى القائم بالأعمال المؤقت علي شمران حاجم بتاريخ 1 آذار 2017 السفيرَ (انريكا فيغيرا) مدير المدرسة الدبلوماسية الإسبانية[59] التابعة لوزارة الخارجية، في مبنى المدرسة في مدريد. وأشاد القائم

(59) تعدّ المدرسة الدبلوماسية الإسبانية إحدى أهم وأعرق المدارس الدبلوماسية في العالم.

بالأعمال بتاريخ وسمعة المدرسة الدبلوماسية الإسبانية، والمكانة الجيدة التي تحتلها بين المدارس الدبلوماسية لدى وزارات خارجية الدول العريقة في العمل الدبلوماسي، وأبلغه بالرغبة الكبيرة لدى معهد الخدمة الخارجية العراقي في فتح آفاق تعاون للإفادة من خبرة وتجربة المدرسة الدبلوماسية الاسبانية من خلال التوقيع على مذكرة تفاهم بين الجانبين، بما يساهم في خلق فرص كبيرة لتبادل الخبرات والمعلومات، إذ تبقى الحاجة إلى المدارس الدبلوماسية للدول الصديقة وأهمها إسبانيا، ولاسيما في مجال المفاوضات الدبلوماسية والبروتوكول والقانون الدولي، فضلاً عن الموضوعات الأخرى ذات الاختصاص التي تساهم في تعزيز القدرات الوظيفية والعلمية للموظفين الدبلوماسيين العراقيين.

من جانبه عبَّر السفيرُ انريكا فيغيرا عن شكره للثناء الذي قدّمه القائمُ بالأعمال عن المدرسة الدبلوماسية وقال: «نحن حريصون على الحفاظ على سمعة ومكانة مدرستنا وفخورون بأنها أيضاً خرَّجت عدداً كبيراً من الدبلوماسيين الذين تبوؤا مناصبَ سياسيةً عاليةً من مختلف دول العالم من الذين حصلوا على فرصة للدراسة فيها من خلال الدورات الدراسية (شهادة الدبلوم العالي والماجستير)، التي يتمُّ الإعلانُ عنها سنوياً لقبول عدد من مرشحي الدول التي لدينا إتفاقيات معها». كما وأعلن عن ترحيبه وإستعداده بإبداء أنواع التعاون كافة مع المعهد الدبلوماسي العراقي وقال:» نحن لدينا مذكرات تفاهمٌ مع دول مختلفة ونرغب في تقديم الدعم لمعهدكم»، في نهاية اللقاء سلّم القائمُ بالأعمال المؤقَّتُ مُسَوَّدةَ مذكرةِ التفاهمِ المرسلةَ من معهد الخدمة الخارجية إلى السيد مدير المدرسة الدبلوماسية[60].

(60) ينظر موقع السفارة العراقية في مدريد على الرابط: http://mofamission.gov.iq/ab/SpainMa&article=10217

زارَ القائمُ بالأعمال المؤقَّتُ علي شمران حاجم في 23 آذار 2017 السفيرَ بيدرو أنطونيو باينا مديرَ البيت العربي في مدريد، وأبدى القائمُ بالأعمال عن شكره وإمتنانه على تعاون البيت العربي مع السفارة في المجالات كافة، وتواصلهم المستمر في تنظيم الندوات والمؤتمرات، وكان آخرها تنظيمَ حفلٍ للفنان نصير شمه الذي أقيم في 12 آذار 2017 بالعاصمة مدريد، والذي كان له صدى كبير بين السفارات العربية والأجنبية، والمواطنين الإسبان، فضلاً عن عرضه فيلماً عراقياً بعنوان (EL CLASICO)، حضره كادرُ السفارة وعددٌ كبيرٌ من السفارات العربية والأجنبية والمواطنين الإسبان.

من جانبِه عبَّر السيدُ باينا عن خالص شكره وتقديره لهذه الزيارة والتي تعبّر عن تواصل السفارة مع المؤسسات المهمّة في مملكة إسبانيا، وقال: إننا على استعداد كامل للتعاون معكم وتنظيم الندوات والمؤتمرات السياسية والثقافية لتعكس

الدور الذي يقوم فيه العراق خلال هذه المرحلة الصعبة لاسيما العمليات العسكرية للقضاء على تنظيم داعش الإرهابي [61].

(61) ينظر موقع السفارة العراقية في مدريد على الرابط:
http://mofamission.gov.iq/ab/SpainMa&article=10703

زار إبراهيمُ الجعفري وزيرُ الخارجية العراقية مدريد في 30 أيار 2017، وإلتقى وزيرَ خارجيةِ إسبانيا ألفونسو داستيس، وجرى خلال اللقاءِ إستعراضُ أبرزِ القضايا التي تهمُّ بغداد ومدريد، وسُبل تعزيزها بما يخدم مصالح الشعبين الصديقين، وبحث الجانبان التطورات الأمنية، والسياسية، وجُهُود العراقيين، وانتصاراتهم المتحققة ضد تنظيم داعش الإرهابي وبدعم التحالف الدولي، كما وقَّعَ الجانبان مذكراتِ تفاهم بشأن تعزيز استمرار المشاورات السياسية، وتوقيع مذكرة تفاهم بين معهد الخدمة الخارجية، وتبادل الخبرات، وتدريب الكوادر الدبلوماسية بين البلدين.

وأكَّد الجعفريُّ أن العراق يتطلّع لإقامة أفضلِ العلاقات الثنائية مع إسبانيا، وتوقيع الإتفاقيات التي من شأنها زيادةُ حجم التبادل، والتنسيق في المجالات كافة، عادّاً أن البُعد الجغرافي ما عاد يمثّل عائقاً بوجه إقامة العلاقات بين الدول؛ لأنَّ العلاقاتِ اليوم تقومُ على أساس تعزيز المصالح المشتركة، ومواجهة المخاطر المشتركة، مبيّناً: أننا نتطلع لعمل اللجان الفنية، والتهيئة، والإسراع في عقد إجتماع اللجنة المشتركة العراقية-الإسبانية، لما لها من أثر كبير في تعميق العلاقات الثنائية بين بغداد ومدريد. مُعرباً عن تطلّع العراق لإستمرار دعم الدول الصديقة مالياً، وإنسانياً، وخدمياً، والمساهمة في إعادة إعمار البنى التحتية للمدن العراقية بعد القضاء على إرهابيي داعش، داعياً إلى أهمية تسهيل منح سمات الدخول «الفيزا» للطلبة، ورجال الأعمال العراقيين الراغبين في زيارة إسبانيا، وهو ما يعزز الجهود المبذولة لفتح خط طيران جوي بين بغداد ومدريد، مثمناً مواقف إسبانيا الداعمة للعراق في المحافل الدولية، والمساندة في الحرب ضد عصابات داعش الإرهابية.

من جانبه أكد وزيرُ خارجية إسبانيا ألفونسو داستيس أن اسبانيا دولة صديقة للعراق، ووقفت إلى جانبه في ظروفه الصعبة، وتسانده في حربه ضد الإرهاب، وبإمكان العراق الإعتمادُ على إسبانيا في مختلف المجالات، موضّحاً: نحن في خندق واحد في مواجهة الإرهاب، وسيكون لنا دور فاعل في إعادة إعمار البنى التحتية للمدن العراقية، وعودة العراق لأخذ دوره الكبير في المنطقة، والعالم، مضيفاً: سنحثُّ الشركاتِ الإسبانية على الاستثمار، والمساهمة في دعم المشاريع والبنية التحتـية في العراق، مبيناً: سنبحث آليَّة جديدة لتسهيل منح سمات الدخول «الفيزا» للعراقيين الراغبين في زيارة إسبانيا [62].

(62) ينظر موقع السفارة العراقية في مدريد على الرابط:
http://mofamission.gov.iq/ab/SpainMa&article=11881

فضلاً عن ذلك فقدِ التقى إبراهيم الجعفري وزيرُ الخارجية العراقية مع رئيسة لجنة العلاقات الخارجيةِ في مجلس النواب الإسباني بيلار روخو نوغيرا في العاصمة الإسبانية مدريد، وجرى خلال اللقاء بحث سير العلاقات الثنائية بين بغداد ومدريد، ومجمل الأوضاع السياسية، والأمنية، ومستجدات الحرب ضدَّ عصابات داعش الإرهابية، وجهود الحكومة العراقـية، ومساندة التحالف الدولي.

وبيّن الجعفري أن العراق يخوض حرباً شرسة ضد الإرهاب دفاعاً عن نفسه، ونيابة عن العالم كله، عادّاً حرب الإرهاب حرب عالمية: لأن إرهابيي داعش جاؤوا من أكثر من (120) دولة، وهذا ما يتطلب وقفة المجتمع الدولي بحجم يتناسب مع عولمة الإرهاب، واتساعه، وخطُورته، مضيفاً: إرهابيُّو داعش جاؤوا من خارج العراق، وتوحَّد العراقيون بانتماءاتهم كافة لمحاربته، ومواجهته، وتحرير الأراضي من قبضته، فضلاً عن مساندة القوى السياسية لحفظ الوحدة الوطنية، مؤكـداً: أن القوات العراقية حقّقت نجاحات باهرة في تحرير الأراضي من دنس عصابات داعش الإرهابية، ولم يتبقّ إلا جزءٌ بسيطٌ منها. مُقدّماً شكر وتقدير العراق لمواقف اسبانيا الداعمة للعراق، لافتاً إلى أن إسبانيا شريك قوي للعراق في حربه ضد عصابات داعش الإرهابية من خلال المستشارين العسكريين الإسبان في التحالف الدولي الذين ساهموا، وساندوا القوات المسلحة العراقـية في مواجهة إرهابيي داعش، كاشفاً: أن الحكومة العراقية وضعت خطة لتحرير الأراضي العراقـيَّة من عصابات داعش الإرهابية، كما أكد الجعفري أهمية التعاون، وتفعيل اللجان البرلمانية بين البلدين، وتبادل الخبرات، والتجارب البرلمانية بين البلدين.

من جانبها أعربت رئيسة لجنة العلاقات الخارجيَّة في مجلس النواب الإسباني بيلار روخو نوغيرا عن أن إسبانيا لديها أهدافٌ مشتركةٌ مع العراق في الجانب السياسي، والأمني، ولديها رغبة حقيقية في تعزيز التعاون؛ خدمة للشعبين الصديقين، موضحةً استمرار دعم إسبانيا للعراق في حربه ضدَّ عصابات داعش الإرهابية، والاستعداد للمساهمة في إعادة إعمار المدن العراقية، وتوفير الأمن، والاستقرار فيها، مؤكـدة: نقدّر عالياً ما يقوم به العراقـيون من تضحيات للحفاظ على التجربة الديمقراطية، ومحاربة الإرهاب، وأن إسبانيا تقف إلى جانب العراق، وتدعمه في كل المجالات، داعية إلى تبادل الزيارات بين مسؤولي البلدين لفتح آفاق التعاون المشترك، وتعزيز العلاقات الثنائية بين بغداد ومدريد[63].

(63) ينظر موقع السفارة العراقية في مدريد على الرابط: http://mofamission.gov.iq/ab/SpainMa&article=11879

كما إلتقى إبراهيم الجعفري وزيرُ الخارجية العراقية ماريا دولوريس دي كوستبذال وزيرةَ الدفاع الإسبانية في العاصمة مدريد، وجرى خلال اللقاء استعراض العلاقات

الثنائيَّة بين بغداد ومدريد، وسُبل تعزيزها بما يحقّـق مصالح الشعبين الصديقين، فضلاً عن بحث تطور الحرب ضد الإرهاب، والجهود التي يبذلها العراقيون في حربهم ضد عصابات داعش الإرهابيَّة، والجهود الدولية المساندة للعراق.

وبيّن الجعفري: أن العراق يسجّل انتصارات متتالية، وباهرة في حربه ضد عصابات داعش الإرهابية، مضيفاً: أبطالُ العراق يبذلون تضحيات أكبر، ودماً أكثر، من أجل سلامة الأبرياء، والحفاظ على أرواحهم لاسيما أن إرهابيي داعش يتحصنون بالمواطنين، ويجعلونهم دروعاً بشرية لعرقلة تقدم القوات العراقية، مؤكداً: أن الحرب ضد الإرهاب اليوم عالمية فلا توجد قارة، أو دولة، أو مدينة في مأمن من وحشيَّة الإرهاب، موضّحاً: العراق يدافع عن الإنسانية كلها، فالإرهابيون يستهدفون الأسواق، والمدارس، والجامعات، والمساجد، والكنائس، والمعابد، والأطفال، والنساء، والشيوخ، وكلَّ مظهر من مظاهر الحياة. لافتاً إلى أنَّ: وحدة القوات الأمنية العراقـية بصنوفها كافة من الجيش، والشرطة، والحشد الشعبي، وأبناء العشائر، والبيشمركة، ودعم القوى السياسية، ووحدة موقفها، ومساندة الدول الصديقة هي أهم العوامل التي ساهمت بانتصار العراق على الإرهاب. معرباً عن تطلع العراق لاستمرار دعم المجتمع الدولي، والدول الصديقة حتى القضاء على الإرهاب، والمساهمة في إعادة إعمار البنى التحتية للمدن العراقية، مقدماً شكر وتقدير العراق لمواقف إسبانيا الداعمة لأمنه، واستقراره، وقال: حان الوقت لجعل التنسيق الأمني والاستخباري على أعلى مستوى، ومنع انتشار الإرهابيين، لافتاً إلى أن العراق يسعى للتعاون الدولي لتجريم الفكر الإرهابي، ومحاربته على مستوى الفكر، والثقافة، والمناهج، ووسائل الإعلام التي تروّج للإرهاب، والدول التي تدرّب، وتساهم بعبور، وانتقال الإرهابيين، وتقع على عاتق المجتمع الدولي مسؤوليةُ تَبنِي معادلٍ فكريٍ، وثقافي لمنع تأثر الأجيال والمجتمعات بالإرهاب.

من جانبها أعربت ماريا دولوريس دي كوستبذال وزيرةُ الدفاع الإسبانية عن أن بلادها، وقواتها المسلحة داعمة بشكل مستمر للعراق في حربه ضد عصابات داعش الإرهابية، وهناك عدد كبير من المستشارين العسكريين الإسبان يقدّمون المساعدة في مجال تفكيك، وإزالة الألغام، وتدريب وتأهيل القوات العراقـية، موضّحة: «نتفهم حرصَ القوات العراقـية في الموصل، وتقدُّمها البطيء، حفاظاً على سلامة المدنيين، فالقوات العراقية اليوم هدفُها تحريرُ الأبرياء قبل تحرير الأرض ونحن نقدّر أنه مهما طال الوقت في محاربة الإرهاب، إلا أننا لن نتراجع بوجه الإرهاب، ومساعدة العراق، مضيفة: النموذج العراقي في الحرب ضد الإرهاب أعطانا درساً

بأن ما حصل في العراق قد يحصل في أي بلد آخر، مشدّدة على أن إسبانيا تبذل جهوداً كبيرة في مجال التعاون، والتنسيق المشترك، ومتابعة حركة الإرهابيين، ونحن مستعدون لعمل المزيد من أجل القضاء على الإرهاب، كاشفةً: ندعم مبادرة العراق في تجريم الفكر الإرهابي، ومحاربته على كل المستويات، ولن نتردد في دعمه حتى القضاء على الإرهاب»، مشيرة إلى أنها ستزور بغداد قريباً في إطار تعزيز التعاون المُشترَك بين البلدين [64].

(64) ينظر موقع السفارة العراقية في مدريد على الرابط: http://mofamission.gov.iq/ab/SpainMa&article=11878

أكد السفيرُ الإسباني في بغداد خوان خوسيه اسكوبار رغبةَ بلاده الكبيرة في تسهيل جميع الأمور الإدارية التي تساهم في إقامة المعسكرات واللقاءات التجريبية لجميع الأنشطة الرياضية العراقية، وفي مقدمتها كرة القدم، خلال استقباله المديرَ التنفيذيَّ للجنة الأولمبية الوطنية العراقية جزائر السهلاني وحسين الناجي منسق اللجنة الأولمبية العراقية في إسبانيا في 11 حزيران 2017.

وأعرب السفيرُ الإسبانيُّ عن ثقته بأن تكون الأرض الإسبانية أرضاً رحبةَ لرياضة الإنجاز العالي من خلال تنظيم العديد من المعسكرات التدريبية والمباريات الودية للمنتخبات الوطنية العراقية. مبيّناً أن بلده يتمتع بتاريخ رياضي مميّز في قارة أوروبا، وبالتالي فهذا الأمر سيساهم بشكل كبير في أن تكون فوائده إيجابية جداً للرياضة العراقية التي تحظى باهتمام كبير بين شرائح المجتمع العراقي.

من جانبه أعرب السهلاني عن شكره وتقديره للسفير على حُسن الضيافة والاستقبال مثمناً دعم ورعاية السفارة الإسبانية للرياضة العراقية من خلال تسهيل جميع الأمور التي تخصُّ إستضافة المنتخبات الوطنية في مدن إسبانيا المختلفة، مشيراً إلى أن اللقاء ناقش العديد من الأمور التي تخدم واقع الرياضة العراقية[65].

(65) ينظر: موقع اللجنة الاولمبية العراقية على الرابط: http://www.nociraq.iq/index.php?name=News&file=article&sid=1052

خامساً: العلاقاتُ الإقتصاديَّةُ بين العراق وإسبانيا

منذ نهاية عقد السبعينيات ولغاية مطلع التسعينيات كان للشركات الإسبانية وجودٌ مُهمٌّ في العراق في قطاعات مثل الهيدروكربون والبناء والكهرباء والمستلزمات الطبية، وكان لإسبانيا إهتمامٌ كبيرٌ بالسوق العراقية منذ حقبة طويلة.

ورغم القبول الذي تحظى فيه الشركات الإسبانية في أنحاء العراق كافة ووجود رغبة واضحة في تعزيز العلاقات التجارية الثنائية، إلا أن وجود الشركات الإسبانية في العراق هو ضعيف جداً. فحسب قاعدة المعلومات الخاصة بالتجارة الخارجية والصادرة عن وزارة الإقتصاد والمالية الإسبانية، بلغت الصادراتُ الاسبانية للعراق

677 مليون يورو للمدة 1995 إلى 2011 كانت منها 144 مليون يورو ضمن برنامج النفط مقابل الغذاء الموقّع بين العراق والأمم المتحدة عام 1996 والذي سمح للعراق خلال مدة الحصار بكميات من النفط خلال ستة أشهر تُخصّص منها 66% لتمويل عمليات شراء مواد غذائية وبعض الأجهزة والمعدات. وكانت تشمل التصديرات الاسبانية العديد من المكائن الصناعية والمنتجات الكيميائية والتجهيزات الطبية والمواد الغذائية مثل الحليب والتبغ [66].

(66) آنا غونثاليث سانتماريا، هل من الممكن القيام بأعمال تجارية في العراق، النشرة الاقتصادية للبيت العربي في مدريد، تشرين الأول 2011.

وما يؤكد إهتمامَ إسبانيا بالسوق العراقية، توقيعُ إتفاقٍ بين الغرف التجارية الإسبانية والعراقية في آيار عام 2002 لتشجيع التبادل التجاري بين البلدين، إذ نصَّ هذا الاتفاقُ على مشاركة (41) شركة إسبانية في معرض بغداد لعام 2002.

وبما يخصُّ الشركاتِ التي ساهمت في السنوات الأولى بعملية إعادة بناء العراق، يُشار إلى وجود شركات نفطية فيها، مثل: ثيبسا (Cepsa) وريبسول(Repsol)) التي تحتفظ بمشروع عمل في شمالي العراق، فضلاً عن شركات متخصصة في المواد الغذائية مثل شركة كورين (Coren) التي فازت بعقد من الصليب الأحمر لتزويد منتجات لحوم، كما قامت شركة (Ofme Grupo Cofares) بتزويد مستشفيات عراقية بمختلف المواد الطبية وتدرس حالياً هذه الشركة زيادة لتعزيز وجودها هناك [67].

(67) المصدر نفسه.

وقد وقّعت شركة (Soluciona) على عقد في عام 2003 مع الجيش الأمريكي لتجهيز محطة كهرباء في حديثة وقد حصلت على عقود أخرى في العراق. ومؤخراً ومنذ تشرين الثاني عام 2009 تمكنت محلات (magno) للملابس فتحَ فروعٍ عدّة لها في أربيل عاصمة إقليم كردستان، وتسعى شركة (Dandara) لفتح فروع مماثلة. وهناك شركتان لأعمال الهندسة وهما (GAM) و(Ines) لديهما مكاتب في مدينة أربيل، وقد فتحت الأخيرةُ مكتباً لها بعد أن حصلت على عقد من منظمة اليونيسكو لترميم الأمكان التراثية في مدينة أربيل [68].

(68) المصدر نفسه.

يضاف إلى ذلك العديدُ من الشركات الإسبانية التي تعمل مع العراق عن طريق أطراف أخرى مثل الأردن، لقربها الجغرافي منه، ولوجود العديد من رجال الأعمال العراقيين هناك، الذين يسهّلون إنجاز العمليات التجارية مع العراق.

وفي سياق الدعم الذي قدمته إسبانيا للولايات المتحدة في إسقاط نظام صدام كانت حكومة الحزب الشعبي برئاسة خوسي ماريا اثنار تتطلع لعلاقات مميزة، إذ كانت تخطّط لمساهمة واسعة وبارزة للشركات الإسبانية في عملية إعادة إعمار

العراق. وبعد شهر من تغيير النظام في العراق نظَّمت الحكومةُ الإسبانية اجتماعاً موسعاً للشركات الإسبانية لبحث فرص الإستثمار في مشاريع البناء في العراق، إذ وَقَعَ الإختيارُ على شركات إسبانية كبيرة متخصصة في البنى التحتية وأبرزُها: (ACS, FERROVIAL, SACYR VALLEHERMOSO, OHL).

وخلال مؤتمر الدول المانحة الذي عقد في مدريد في تشرين الأول 2003 تبرّعت إسبانيا بمبلغ 300 مليون دولار مخصصٍ لإعادة إعمار العراق نُفِذَ على الشكل التالي: 160 مليون دولار في 2003 و2004 و140 مليوناً في 2005 و2007، قُسّم المبلغُ بمقدار 30% من خلال أطراف متعددة و70% من خلال القنوات الثنائية. كما قررت إسبانيا إلغاء الديون العراقية والبالغة 600 مليون يورو[69].

(69) مقابلة شخصية مع السيد علاء الهاشمي سفير جمهورية العراق في اسبانيا في مبنى السفارة بمدريد، 15 حزيران 2016.

وهنا، يُشار إلى أن اسبانيا كانت من أهم الدول المساهمة في عملية إعادة بناء العراق بمساهمة بلغت 300 مليون دولار، إضافة إلى قبولها بإطفاء تدريجي لـ 80% من ديون العراق المستحقة لها في إطار نادي باريس، رغم أن هذه المساهمة تمَّ تنظيمها عبر قنوات مالية متعددة الأطراف وليس من خلال إشراك شركات إسبانية بشكل مباشر في عملية إعادة إعمار البلاد.

بيدَ أن مجيء الحكومة الاشتراكية وقرارها بسحب القوات الإسبانية، غَيَّرَ كثيراً في موقف إسبانيا ووجودها في العراق، وتمثّل موقفُها في تقديم الدعم لإستقرار العراق من خلال بعض البرامج التدريبية لإعداد الكوادر الأمنية والقضائية العراقية، لا يتجاوز حدود التعاون الفني سعياً منها للتقليل من نتائج سحب قواتها من العراق، وللمحافظة على شيء من وجودها في العراق لاسيما في الجانب الاقتصادي، وهنا تجدر الإشارةُ إلى الجهود الكثيفة التي بذلتها دون جدوى شركة النفط الاسبانية الكبيرة Repsol (ريبسول اي بي اف) للحصول على بعض من العقود لإستخراج النفط في العراق والتي نُظِمت في عام 2009 في مسابقات علنية في العراق.

وليس من المستغرب أن تقوم الحكومةُ الإسبانية بعدم تشجيع الشركات الإسبانية للاستثمار في العراق لخطورة الوضع الأمني فيه، على الرغم من توجّه الكثير من الشركات الأوروبية للعمل في مشاريع إعادة الإعمار في العراق، إذ قامت بوصف العراق في مقدمة الدول التي تفتقد الأمن.

تفيد معلومات ومؤشرات معهد الإحصاء الوطني الإسباني أن ميزان التبادل التجاري بين إسبانيا والعراق قد شهد تبايناً خلال سنوات العقوبات الدولية على العراق، إذ سجل أدنى مستوى في عام 1996 بقيمة 4.7 ملايين يورو، وأعلى مستوى في عام

2001 بقيمة 108.8 ملايين يورو. تؤكد هذه المعلومات أن الاستيرادات الإسبانية من العراق تشمل بشكل رئيس النفط، فيما تتنوع الصادرات الإسبانية إلى العراق على المكائن والمعدات والتجهيزات الطبية والمواد الغذائية.

ويتراوح حجمُ الاستيرادات الإسبانية من العراق بين 386 مليون يورو إلى 1297 مليون يورو في عام 2000. وقامت الشركات الإسبانية بالعمليات التجارية مع العراق خلال هذه المدة وفق قرارات وتوصيات الأمم المتحدة التي نصّت التأكد من عدم مخالفة نقاط الحصار. كما تفيد هذه المعلومات أن الصادرات الإسبانية إلى العراق في عام 2003 بلغت 45.5 مليون يورو، لتنخفض في عام 2004 إلى 38.4 مليون يورو. أما استيرادات إسبانيا من العراق في عام 2003 فقد بلغت 291.1 مليون يورو، لتصل إلى 1031.6 مليون في 2004. حسب المعلومات ذاتها فإن اسبانيا كانت في المرتبة السابعة عشرة بين الدول المصدرة للعراق في عام 2002، وفي المرتبة السادسة من الدول المستوردة من العراق[70].

(70) CIDOB (magazen), Fundación CIDOB, Barcelona, No. 168, 2006.

(71) Ibid.

ميزان التبادل التجاري بين العراق واسبانيا (بملايين اليورو) [71]

الميزان التجاري	1998	1999	2000	2001
الصادرات	45585	594.55	1.284,81	375.12
الاستيرادات	12.54	27.30	63.27	72.55
ناتج الفارق	443,31-	567.25-	1.221,54-	302.57
قيمة تغييرالصادرات بالنسبة للعام السابق	20.81	30.43	116.10	63.42-
قيمة تغييرالاستيرادات بالنسبة للعام السابق	179.01	117.63	131.77	84.18

وأشار تقرير اقتصادي صادر عن سكرتارية الدولة للسياحة والتجارة في وزارة الصناعة الاسبانية في شهر نيسان 2008 حول العلاقات الاقتصادية بين إسبانيا والدول العربية خلال عام 2007 وسيرها خلال السنوات الخمس الأخيرة، إذ أظهر العراق في المرتبة السابعة عشرة بين الدول العربية من حيث علاقاتها التجارية مع إسبانيا، بقيمة بلغت (21.92) مليون يورو، وهو موقع متأخر جداً[72].

(72) معهد الإحصاء الوطني الاسباني. Instituto nacional de Estadística ـ España.

نظّم معهدُ التجارة الخارجية الإسبانية بالتنسيق مع المكتب التجاري الإسباني في أنقرة ملتقى لممثلي الشركات في كردستان شاركت فيه (45) شركة إسبانية تمكنت

من اللقاء بمئة وأربعين شركة في الإقليم الذي يشهد نشاطاً تجارياً متزايداً أكثر من مناطق عراقية أخرى بسبب الاستقرار الأمني فيه، وإن كانت هناك بعض العوائق الإدارية التي تواجهها الشركات في الإقليم، أبرزُها إلزاميةُ وجود تمثيل رسمي ودائم للشركة في الإقليم [73].

(73) آنا غونثاليث سانتماريا، هل من الممكن القيام بأعمال تجارية في العراق، النشرة الاقتصادية للبيت العربي في مدريد، تشرين الأول 2011.

يضاف إلى ذلك العديدُ من الشركات الإسبانية التي تعمل مع العراق عن طريق أطراف أخرى مثل الأردن لقربها الجغرافي منه، ولوجود العديد من رجال الأعمال العراقيين هناك الذين يسهّلون إنجاز العمليات التجارية مع العراق.

من جانب آخر، يجب أن لا نستبعد التوصل لإتفاقات بين شركات اسبانية مع شركات لبلدان أخرى ذات وجود مهم لها في العراق مثل تركيا التي لها ما يقارب (1500) شركة في شمالي العراق للدخول في السوق العراقية.

ورغم القبول الذي تحظى فيه الشركات الإسبانية في أنحاء العراق كافة ووجود رغبة واضحة في تعزيز العلاقات التجارية الثنائية، إلا أن وجود الشركات الإسبانية في العراق هو ضعيف جداً. فحسب قاعدة المعلومات الخاصة بالتجارة الخارجية والصادرة عن وزارة الاقتصاد والمالية الإسبانية، بلغت الصادرات الإسبانية للعراق 677 مليون يورو للمدة 1995 إلى 2011 كانت منها 144 مليون يورو ضمن برنامج النفط مقابل الغذاء الموقّع بين العراق والأمم المتحدة عام 1996، والذي سمح للعراق خلال مدة الحصار بكميات من النفط خلال ستة أشهر تخصص منها 66% لتمويل عمليات شراء مواد غذائية وبعض الأجهزة والمعدات. وكانت تشمل التصديرات الاسبانية العديد من المكائن الصناعية والمنتجات الكيميائية والتجهيزات الطبية والموادالغذائية مثل الحليب والتبغ [74].

(74) المصدر نفسه.

ونظّمت السفارةُ العراقية في مدريد وبالتعاون مع غرفة تجارة إسبانيا في 15 حزيران 2015 في مقر الغرفة الملتقى التجاري العراقي-الإسباني وذلك على هامش مشاركة الوفد العراقي في أعمال المنتدى الإقتصادي الثاني (إسبانيا-الدول العربية) الذي عُقِدَ في 12 حزيران 2015، وقد شارك وديع بتي حنا سفيرُ جمهورية العراق لدى مملكة إسبانيا في أعمال الملتقى، وحضره الفريدو بونيت مديرُ العلاقات الدولية في غرفة تجارة إسبانيا، وزهير محمد رضا شربة رئيس غرفة تجارة النجف وحكمة جواد الدقاق عضو مجلس إدارة غرفة تجارة بغداد في أعمال المنتدى فضلاً عن عدد من رجال الأعمال وممثلي (40) شركة إسبانية.

ومثّل الملتقى فرصةً للتباحث بين الوفد العراقي المشارك والشركات ورجال الأعمال

الاسبان حول سبل تطوير التعاون التجاري ومجالات الإستثمار بين البلدين، وقد أكد السفير خلال كلمته حرص العراق لتعزيز التعاون التجاري والاقتصادي مع إسبانيا وفرص الإستثمار المتاحة في العراق، مشدداً على أن القوات العسكرية العراقية تحقّق النصرَ في حربها ضد تنظيم داعش الإرهابي، ومصممة على فرض الأمن والسلام في كل بقاع العراق [75].

(75) ينظر موقع السفارة العراقية في مدريد على الرابط:
http://mofamission.gov.iq/ab/SpainMa&article=2721

وإلتقى السفيرُ علاء الهاشمي في 26 أيار 2016 بسكرتير الدولة لشؤون التجارة الإسباني خيمه غارثيا وكرستيان كارما رئيس هيأة التوسع الاقتصادي الاسباني الخارجي في مقر وزارة الصناعة والاقتصاد الإسباني. وجرى خلال اللقاء بحث العديد من الملفات التي تخصُّ البلدين منها عقد اللجنة المشتركة بين العراق ومملكة إسبانيا، وملف الأموال المجمدة وتشجيع الشركات الإسبانية للمشاركة في معرض بغداد الدولي، وحثّ الجانبان على تبادل الزيارات رفيعة المستوى، وعمل زمالات دراسية للطلبة العراقيين في الجامعات الإسبانية [76].

(76) ينظر موقع السفارة العراقية في مدريد على الرابط:
http://mofamission.gov.iq/ab/SpainMa&article=6316

كما إلتقى السفيرُ العراقي في مدريد وزيرةَ الدولة لشؤون التجارة ماريا لويسا بونثيلا في مبنى الوزارة بتاريخ 31 كانون الثاني 2017. وعبَّر السفيرُ عن شكره وتقديره للوزيرة على هذا اللقاء وأهميته لغرض تعميق وزيادة التعاون المشترك بين السفارة والوزارة، وهنأها بمناسبة تسنم مهام منصبها الجديد وتشكيل الحكومة الإسبانية، متمنياً لها النجاح في إدارة الوزارة الجديدة، والإشادة بالجهود المبذولة من الحكومة الإسبانية في تعافي وصعود الإقتصاد الإسباني مرة أخرى لينافس اقتصادات باقي الدول بعد معاناة طويلة من الأزمات. وقدّم السفير عرضاً موجزاً عن الوضع الراهن في العراق وآخر مستجدات الحرب على الإرهاب، لا سيما معركة تحرير الموصل، آخر معاقل تنظيم داعش الإرهابي في العراق، وأهمية هذه المعركة من جميع النواحي، إذ وحدت الصف العراقي وأظهرت للعالم القيم الانسانية التي تتمتع بها القوات العراقية بجميع صنوفها والتي أثبتت قدرات ومهارات عالية، وأن الوقت أصبح قريباً للخلاص من عصابات داعش الإرهابية في العراق.

ودعا السفير وزيرة الدولة إلى ضرورة إعادة تفعيل أعمال الدورة الثالثة عشرة للجنة العراقية الإسبانية المشتركة، التي من المقرر عقدُها في بغداد، لاسيما أن وزيرة الدولة لشؤون التجارة ترأست اللجنة عن الجانب الإسباني، بعد أن أنجزت أغلب الوزارت العراقية مذكرات التفاهم وبانتظار رد الجهات الإسبانية المختصة، من ناحية أخرى أشار السفير إلى الحاجة الفعلية إلى مشاركة الشركات الإسبانية الرصينة في عملية إعادة إعمار العراق، ولاسيما المناطق المحررة، وحاجة العراق إلى مساعدة

الأصدقاء والإفادة من خبراتهم وتجاربهم في هذا المجال. كما أكد السفير الحاجة إلى إرسال ملحق تجاري إسباني إلى العراق أسوة بباقي الدول، ليساهم بدوره في تنشيط وتفعيل النشاط التجاري. وضرورة إقامة معرض إسباني في بغداد لكبريات الشركات الاسبانية تتمُّ فيها دعوةُ المختصين والمهتمين بهذا الشأن وإطلاع الجانب العراقي على المؤهلات والإمكانيات التي تمتاز بها تلك الشركات.

وشكرت ماريا لويسا وزيرة الدولة لشؤون التجارة السفير على هذه الزيارة وعدّتها مبادرة قيمة لتعزيز أواصر التعاون بين البلدين، وأبدت استعدادها للتعاون مع العراق في مختلف المجالات والقطاعات التي يحتاجها، وأعربت عن مساندتها الدور الذي تقوم به القوات العراقية في حربها ضد عصابات داعش متمنية للعراق حكومة وشعباً تجاوزَ هذه المحنة والإنطلاق نحو البناء والإعمار. وأشارت الوزيرة إلى إمكانية تفعيل الملفات وعقد اللجنة العراقية الإسبانية المشتركة في النصف الثاني من عام 2017 بعد الإتفاق على مكان عقدها، وإنها ستتابع شخصياً الموضوع للوصول إلى نتائج مرضية تصبُّ في مصلحة البلدين [77].

(77) ينظر: موقع السفارة العراقية في مدريد على الرابط: http://mofamission.gov.iq/ab/SpainMa&article=9821

إلتقى القائمُ بالأعمال المؤقتُ علي شمران حاجم في 28 شباط 2017 فيكتور أوديرا لوبيث مستشار وزارة الدولة لشؤون التجارة في مبنى السفارة. وعبّر القائم بالأعمال عن شكره وتقديره للجهود التي بذلتها مملكة إسبانيا وتقديمها الدعم اللازم وتعاونها المستمر في متابعة القضايا التي تهمُّ الجانبين، ودعا إلى ضرورة إعادة تفعيل أعمال الدورة الثالثة عشرة للجنة العراقية الإسبانية المشتركة، وتسهيل إجراءات إنعقادها، لاسيما بعد الإجتماع الذي جَمَعَ السفيرَ مع وزيرة الدولة لشؤون التجارة، التي عبّرت عن رغبتها في عقدها في النصف الثاني من عام 2017. كما قدَّم القائمُ بالأعمال عرضاً موجزاً عن الوضع الراهن في العراق، وآخرَ مستجدات الحرب على الإرهاب، لاسيما معركة تحرير الموصل.

وأكد مستشار وزارة الدولة لشؤون التجارة الإسبانية «أن اللجنة المشتركة ذات أولوية لنا، ومرَّ وقتٌ طويلٌ لعدم تحقيق الاجتماعات، وكان آخرها في مدريد بمشاركة وزير النقل العراقي حينها هادي العامري، وأشار إلى أن العلاقات بين البلدين متميزة جداً، ونسعى إلى الاستمرار في هذه العلاقات والعمل على تطويرها نظراً لما يربطنا من علاقات تاريخية والماضي المشترك، ولا بدَّ من الإسراع في إنعقاد اللجنة والعمل على إنجاحها» [78].

(78) ينظر موقع السفارة العراقية في مدريد على الرابط: http://mofamission.gov.iq/ab/SpainMa&article=10172

إفتتحت سكرتيرةُ الدولة لشؤون التجارة الاسبانية (وكيل الـوزارة) ماريا لويسا

المنتدى الإقتصادي العراقي الإسباني في 14 آذار 2017، الذي أقامته السفارةُ العراقية وبالتنسيق مع مؤسسة التجارة الخارجية ايثكس (ICEX) بحضور عدد كبير من رؤساء الشركات وممثليها الراغبين في العمل والإستثمار في العراق فضلاً عن الشركات العاملة في العراق.

وإفتتح المنتدى القائمُ بالأعمال المؤقتُ علي شمران، الذي عبَّر عن شكره وتقديره لسكرتيرة الدولة ولمؤسسة اثيكس التي نسَّقت بجهد كبير مع السفارة والإعداد الجيد لهذا المنتدى والذي حضره أكثر من (70) شركة إسبانية وعراقية مهمة التي لبت الدعوة رغبةً فيها للتعرف على إمكانية الفرص والعمل في العراق.

عبَّر القائمُ بالأعمال المؤقتُ عن عمق العلاقة التاريخية والسياسية التي تربط العراق وإسبانيا والتي مرَّ عليها (70) عاماً، إذ أعطت صورة متكاملة عن الحضور السياسي والإقتصادي التي تربط العراق، ولاسيما في الوقت الحاضر والدعوة إلى المساهمة في إعادة الإعمار في المناطق المحررة. وعبَّرت سكرتيرة الدولة عن شكرها للقائم بالأعمال وللوفد العراقي الذين شاركوا في هذا المنتدى، تناولت فيها الوضع الجديد في العراق بعد داعش لتنفيذ مشاريع كبيرة والمساهمة في إعادة الإعمار، وأن هناك تقدماً كبيراً تحرزه القوات المسلحة العراقية لتحرير المدن العراقية من سيطرة تنظيم داعش الإرهابي وآخرها مدينة الموصل، مما يعني توفّرَ مشاريع استثمارية لإعادة الإعمار بعد التحرير بمشاركة شركات أجنبية كبرى، ومنها إسبانيا، ونحن على استعداد للوقوف مع العراق وتقديم الدعم الكامل، وأشارت إلى ضرورة عقد اجتماعات اللجنة العراقية الإسبانية المشتركة لتكون فرصة لإعادة تفعيل العلاقات والنهوض بها وإمكانية عقدها نهاية عام 2017 في بغداد.

من جانب آخر كان للوفد العراقي الزائر إلى مدريد برئاسة حامد الجبوري رئيس الدائرة القانونية في وزارة الخارجية دورٌ مهمٌّ وبارز في المنتدى، إذ تطرّق الجبوري إلى التطورات الميدانية التي يشهدها العراق والاستقرار الذي تشهده أغلب المناطق، كما تطرق الوفد إلى الفرص الاستثمارية الواعدة في مجالات مختلفة مثل قطاعات النفط والطاقة والصناعات البتروكيمياوية والصناعات الغذائية، كذلك حث الشركات الإسبانية لتكون السباقة في الدخول إلى الأسواق وتنفيذ مشاريع تساهم في تنشيط التعاون الاقتصادي والتجاري بين البلدين [79].

وفي أثناء زيارته إلى مدريد في 30 أيار 2017، إلتقى إبراهيم الجعفري وزيرُ الخارجية العراقية مع ماريا لويسا سكرتيرة الدولة لشؤون التجارة الاسبانية في العاصمة مدريد،

(79) ينظر موقع السفارة العراقية في مدريد على الرابط:
http://mofamission.gov.iq/ab/SpainMa&article=10503

وجرى خلال اللقاء بحثُ العلاقات الثنائية بين بغداد ومدريد، وسبلُ تعزيز التعاون المشترك في المجالات كافة، خدمةً للشعبين الصديقين. وبيّن الجعفري أن: العراق تحمَّل مسؤولياته إزاء الحرب ضد عصابات داعش الإرهابية، وقدَّم تضحيات كبيرة لمواجهة الإرهاب، وتحرير الأراضي العراقية من قبضته، مؤكـداً: أن الانتصار الذي تحقـق في العراق انتصار لكل شعوب العالم لاسيما أن إرهابيي داعش يستهدفون دول العالم كافة، وقال: العراق بلد غني بالثروات، لكنه يمرُّ بظروف استثنائية تتمثل بالتحدي الأمني، والحرب ضد الإرهاب، والتحدي الاقتصادي، وانخفاض أسعار النفط، ويتطلع لوقفة الدول الصديقة لجانبه، ومساعدته في تجاوز ظروفه الصعبة، معرباً عن رغبة العراق في تعزيز العلاقات الاقتصادية، والتجارية مع إسبانيا؛ لأن من شأنَها المساهمة في إنشاء قاعدة واسعة من التعاون في المجالات كافة بين البلدين، داعياً: علينا تفعيل العلاقات التجارية، والاقتصادية عبر الإسراع في عقد اجتماع اللجنة المشتركة العراقـية-الإسبانية، كما دعا الشركات الإسبانية للاستثمار، وزيادة حجم التبادل التجاريِّ بين البلدين، مبدياً شكر وتقدير العراق للعمل على ملف إعادة الأموال العراقـيَّة المجمدة في البنوك الإسبانية، ووجهَ الدعوة لماريا لويسا لزيارة العراق.

من جانبها أعربت ماريا لويسا سكرتيرة الدولة لشؤون التجارة الإسبانية عن أن إسبانيا تتابع الانتصارات الكبيرة التي يحققها العراقيون في حربهم ضد عصابات داعش الإرهابية، موضّحة: الحكومة الإسبانية مستمرة في دعم وتدريب القوات العراقية حتى تحرير الأراضي كافة من قبضة الإرهاب، مبيّنة: نسعى لبناء علاقات اقتصادية متينة، وزيادة حجم التبادل التجاري، ومساهمة الشركات الإسبانية في الاستثمار، مضيفة: إسبانيا تستورد النفط من العراق، ونعمل على زيادة تصدير البضائع الإسبانية للعراق في إطار تعزيز العلاقات الثنائية بين بغداد ومدريد، لافتة إلى أن المنتدى الاقتصادي العراقي-الإسباني الذي عُقِدَ قبل أشهر ساهم في دعم التعاون التجاري، والاستثماري، وأن هناك الكثير من الشركات الإسبانية التي لها رغبة في العمل، وتقديم الخبرات لخدمة العراق، عادّة أن: عقد اجتماع اللجنة المشتركة العراقـية-الإسبانية في تموز 2017 بمدريد سيدفع بالعلاقات الاقتصادية إلى الأمام[80].

(80) ينظر موقع السفارة العراقية في مدريد على الرابط: http://mofamission.gov.iq/ab/SpainMa&article=11876

إلتقى القائمُ بالأعمال المؤقتُ علي شمران حاجم في 12 حزيران 2017 السيدة مارغاريتا غابويلا مديرةَ مكتب سكرتيرة الدولة للتجارة الإسبانية والسيدة مريم بيريث نوغيرا معاونة مدير عام السياسة الاقتصادية مع بلدان الشرق الأوسط

والبحر المتوسط في مقر وزارة الاقتصاد والصناعة والتنافس الإسبانية. وعبَّر القائم بالأعمال عن شكره لعقد هذا اللقاء وتقديره لتعاون سكرتارية الدولة للتجارة في متابعة التحضيرات لأعمال اللجنة العراقية الإسبانية المشتركة، ولمواقف التأييد والتضامن الاسبانية كافة مع العراق، ونقل تحيات وزير الخارجية إبراهيم الجعفري إلى سكرتيرة الدولة للتجارة لحسن الإستقبال خلال زيارته إلى مدريد والرغبة الحقيقية في الانفتاح على العراق، وإبداء الإستعداد لتقديم أنواع الدعم والمساعدة كافة في إعادة إعمار العراق، ولاسيما المناطق المحررة من تنظيم داعش الإرهابي، وكذلك استعداد الشركات الإسبانية للدخول إلى الأسواق العراقية لتلبية احاجات السوق العراقي. من جانبها عبرت مارغاريتا عن شكرها للتعاون الذي تبديه السفارةُ واستعدادهم لتقديم التسهيلات والمساعدات كافة والعمل مع السفارة وتذليل الصعوبات كافة لعقد اللجنة العراقية – الإسبانية المشتركة[81].

(81) ينظر موقع السفارة العراقية في مدريد على الرابط:
http://mofamission.gov.iq/ab/SpainMa&article=12195

ونظَّمت السفارةُ العراقيةُ في مدريد وبالتعاون مع غرفة التجارة والصناعة والخدمات والملاحة الرسمية في إقليم فالنسيا المنتدى الإقتصادي العراقي الإسباني للمدة 26-27 تشرين الأول 2017، وبمشاركة رئيس إتحاد الغرف التجارية العراقية جعفر الحمداني وعدد من رؤساء الغرف التجارية للمحافظات العراقية ورجال الأعمال، فضلاً عن حضور متميز من رجال الأعمال والشركات الإسبانية في إقليم فالنسيا، أسفر عن المنتدى توقيعُ مذكرةِ تفاهمٍ للتعاون التجاري والإقتصادي بين إتحاد الغرف التجارية العراقية وغرفة التجارة والصناعة والخدمات والملاحة الرسمية في إقليم فالنسيا.

وعبَّر خوسيه مورتا رئيسُ غرفة تجارة فالنسيا عن الرغبة الحقيقة في تعزيز التعاون التجاري والإقتصادي بين الغرفتين، وأن فرص الإستثمار المتاحةَ في العراق جيدةٌ، وفقاً للبيانات الصادرة من البنك وصندوق النقد الدوليين، وإن الغرض من الإجتماع هو تشجيعُ الشركات الإسبانية في الإقليم على العمل في العراق في قطاعات مختلفة.

كما ألقى القائم بالأعمال المؤقتُ كلمةَ أشار فيها إلى عمق العلاقات التي تربط البلدين والتي تمتد إلى خمسينيات القرن الماضي وبلغت في السبعينيات أوجَ مستوياتها، وحضور الوفد العراقي إلى فالنسيا، والتوقيع على مذكرة التفاهم هو بدايةٌ لفتح الطريق على النحو الصحيح لتطوير العلاقات التجارية نحو مستويات أفضل، وهناك لجنة عراقية إسبانية مشتركة تُعْقَدُ بصورة دورية بمشاركة عدد كبير من الوزارت العراقية والإسبانية وسيتمُّ خلالها التوقيعُ على العديد من مذكرات التفاهم

والإتفاقيات. وتمَّت الإشارة إلى مشاركة شركة ايثكس وعدد من الشركات الإسبانية وحضورها المتميز في معرض بغداد الدولي إلى جانب العديد من الشركات العالمية الكبرى[82].

(82) ينظر موقع السفارة العراقية في مدريد على الرابط: http://mofamission.gov.iq/ab/SpainMa&article=14345

الخَـاتِـمــة

تُعدُّ العلاقاتُ العراقية الإسبانية من العلاقات التي تتمتع بإرث كبير، كونها تمتد إلى سبعة عقود من الزمن، كانت في أغلبها علاقات متميزة ومتشابكة، على الرغم من بعض المدد التي ضمحلت فيها العلاقات.

وفي سياق التحول في نظام الحكم في العراق بعد عام 2003، يمكن الإشارة إلى إمكانية الإفادة من التجربة الناجحة لإسبانيا في الانتقال من الحكم الدكتاتوري إلى الحكم الديمقراطي، كنموذج مفيد لتجارب الديمقراطيات التي شهدها العديدُ من دول العالم في العقود الأخيرة. في هذا الصدد يجب الإشارة إلى عدم وجود أي إتصال على مستوى رسمي أو آكاديمي بين البلدين لتقديم ما يمكن أن يكون مفيداً للعراق من التجربة الديمقراطية الإسبانية على الرغم من وجود تباين بين الحالتين.

وعلى الرغم من شرعية قرار سحب القوات الاسبانية من العراق فإن بعض المراقبين الإسبان والأوربيين يرون أن التباعد الذي حصل بين إسبانيا والولايات المتحدة له تأثير سلبي في علاقات اسبانيا مع الدول العربية، إذا ما أخذنا بالحسبان الدور الذي يمكن أن تمارسه إسبانيا في دعم الديمقراطية في العراق كجزء من مشروع الديمقراطية الكبير في الشرق الأوسط، والمساهمة في إعادة إعماره لما تتمتع به إسبانيا من علاقات تاريخية وثقافية مميزة مع العالم العربي وقربها الجغرافي منه. هنا يشار إلى أن الحزب الاشتراكي لايتبنى هذا الطرح ويعارض بشدة سياسات التدخل العسكري وفرض الديمقراطية بتأثيرات خارجية.

ونرى أن تعمل إسبانيا على تعزيز علاقاتها مع العراق، من خلال تقديم الدعم لتطلعات العراقيين في تحقيق الحرية والديمقراطية ومواجهة الإعلام الذي يستهدف هذه التطلعات، وذلك من خلال استثمار وتطوير عمل المؤسسات الثقافية الإسبانية الرسمية وفي مقدمتها معهد ثيرفانتيس للغة الاسبانية التابع لوزارة الثقافة والبيت العربي التابع لوزارة الخارجية، فضلاً عن العديد من المؤسسات الثقافية الخاصة.

وما يدعو للتفاؤل بمستقبل العلاقات بين البلدين وجودُ إرادة من كلا البلدين لتعزيز العلاقات الثنائية، قد يسمح بالتوصّل إلى إطار رسمي لتقديم الدعم للمستثمرين والمصدرين ولتوسيع وجود إسبانيا التجاري في العراق.

ورغم هذه المعطيات الإيجابية، لا يمكن تجاهل صعوبات الظروف العامة للقيام بأعمال تجارية في العراق، في جوانبها الأمنية والشفافية القضائية وما يتعلق بالفساد وعمل المنظومة المالية العراقية، وضرورة تحسينها بقدر عالٍ لغرض تفعيل أعمال التجارة والإستثمارات بشكل طبيعي في هذا البلد، فضلاً عن ضرورة تعديل قوانين الإستثمار في العراق لتشجيع الشركات الأجنبية عموما، والإسبانية خصوصاً للعمل والإستثمار في العراق.

المفاوضاتُ التركيَّةُ الأوربيَّة

الباحثةُ: رؤى خليل سعيد*
باحثة في مركز حمورابي للبحوث والدراسات الإستراتيجيّة
*باحثة من العراق

المُقدمة

يمثّلُ انضمامُ تركيا للإتحاد الأوربي هدفاً إستراتيجياً لتركيا بعد الحرب الباردة خاصة وهي تسعى من خلال البوابة الأوربية لكي تلعب دوراً كبيراً على المستوى الدولي بما يوفّره الإتحادُ الأوربي لها من إمكانات سياسية واقتصادية وسمعة عالمية، تَخْدِمُ المصالحَ التركيةَ في عالم ما بعد الحرب الباردة. بيدَ أن ذلك الطموح يواجه العديدَ من التحديات، في مقدمتِها مشاكلُ تركيا السابقة الوريثةِ للدولة العثمانية ومنها مشكلةُ قبرص والأكراد ومذابحُ الأرمن ودورُ المؤسسة العسكرية التركية في الحياة السياسية والتي تُعدُّ مظاهرَ مرفوضةً من الأوربيين، فضلاً عن أن تركيا دولةٌ ذاتُ أغلبيةٍ مسلمةٍ وتمتلكُ تاريخاً حضارياً مُهمّاً وهو ما يشكّل خوفاً أوربياً من أن تتمكّن تركيا من إستعادة الدور السابق الذي لعبته الدولة العثمانية حسب وصف الأوربيين مما يدعو الى مطالبة تركيا بالعديد من الإصلاحات السياسية والمدنية حتى تتمكن من كسب العضوية في الإتحاد الأوربي الذي يُعدُّ من أهمِّ المنظمات الإقليمية في العالم.

فإن العلاقات بين تركيا والإتحاد الأوربي بدأت في إطار نظام الشراكة الذي كان أساساً لإتفاقية أنقرة التي وقّعت بين تركيا والتجمع الاقتصادي الأوربي بتاريخ 12 أيلول/سبتمبر 1963 ودخلت حيّزَ التنفيذِ بتاريخ 1 كانون الأول/ ديسمبر 1964.

وقد تضمنت اتفاقيةُ أنقرة ثلاثَ مراحلَ، يجب أن تمرَّ بها تركيا لتحقيق تكاملها مع الإتحاد الأوربي وهي المرحلةُ التحضيريةُ والمرحلةُ الانتقالية والمرحلة النهائية. وكان مقرراً أن يتمَّ استكمالُ الإتحاد الجمركي في نهاية المرحلة الانتقالية. وبنهاية المرحلة التحضيرية التي تضمنتها الاتفاقيةُ تمَّ بتاريخ 13 تشرين الثاني/نوفمبر

1970 التوقيعُ على البروتوكول الإضافي الذي حدّد أحكامَ المرحلة الانتقالية والالتزامات التي ستقع على عاتق الأطراف، إذ دخل هذا البروتوكول حيز التنفيذ في عام 1973. وقد أوضحت اتفاقية أنقرة في نفس الوقت وبكل صراحة، أن نظام الشراكة الذي أسسته ما هو إلا عنصر من شأنه أن يسهّل عملية انضمام تركيا إلى الإتحاد.

فشهدتِ العلاقاتُ التركية الأوروبية محطاتٍ كثيرةً شَابَهَا التوافقُ تارةً والإختلافُ تارة أخرى، فرغم قبول الإتحاد الأوروبي ترشحَ تركيا لعضويته عام 1999 وضع الأوروبيون العديدَ من الشروط والعراقيل أمام هذه الدولة لتتعثر مفاوضاتُ العضوية بين الطرفين، مما جعل الرئيس التركي رجب طيب أردوغان يقول في تصريح له عام 2016 إنه استنفد طاقةَ اللهاث وراء أوروبا.

المبحثُ الأوَّل: المفاوضاتُ التركيَّة الأوربيَّة من نهاية الحرب الباردة إلى عام 2002

توحّدت ألمانيا بعد سقوط جدار برلين سنة 1989، واندلعت حربُ الخليج الثانية سنة 1990، وانتهتِ الحربُ الباردةُ سنة 1991 بين العملاقين، الولايات المتحدة الأميركية والإتحاد السوفياتي، فتفكَّكَ هذا الأخيرُ وانهارتِ الشيوعيَّةُ، وخرجت الدولُ الأوروبية الوسطى والشرقية من دائرة السيطرة السوفياتية؛ كلُّ ذلك أثّر في العلاقة بين تركيا والجماعة الأوروبية التي إنشغلت بالإعداد لمقترح الإصلاح الداخلي الذي أفضى إلى معاهدة ماستريخت عام 1992 بهدف المساهمة في عملية إعادة بناء الدول الأوروبية بعد انتهاء الحرب الباردة.

كما أَقرّت قمةُ كوبنهاغن في عام 1993 الشروطَ والإجراءاتِ الواجبةَ على الدول الأوروبية الراغبة في الإنضمام إلى الاتحاد الأوروبي. من هذا المنطلق، استجابت تركيا لمتطلبات أوروبية عدّة بهدف الحصول على رضا الإتحاد الأوروبـي. واضطلع البرلمان الأوروبي بدورٍ متنامٍ في الحياة السياسية التركية، إذ طالبها بإدانة الانتهاكاتِ المتعدّدة للحريات السياسية، ودعمِ الحقوق الثقافية للكرد واحترامِها وفقاً للمقاييس المعتمدة في أوروبا، وإلغاءِ حكم الإعدام، وكفِّ يدِ العسكر عن التدخل في الشؤون السياسية، وإجراءِ إصلاحات اقتصادية.[1]

وبعد انتهاء الحرب الباردة، بدأت مسألةُ التحالفات تُطرَحُ من جديد، إذ واجهت تركيا حلفاً جديداً تَمثّل بين روسيا وبلغاريا واليونان وقبرص وصربيا بسبب المطامع

(1) محمد مصطفى كمال وفؤاد نهرا، صنع القرار في الاتحاد الاوربي والعلاقات العربية الاوربية، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 2001، ص 76.

الروسية في الادرياتيكي والمتوسط، بالإضافة إلى دعمها اليونانَ في مطالبها الإقليمية. في حين تقاطعت مصلحةُ تركيا ومسلمي كرواتيا والبوسنة وألبانيا ومقدونيا ومقاطعة كوسوفو. كما طُرِحَ مصيرُ حلفِ الناتو بعد انتهاء الحرب الباردة، لكنَّ نشاطَهُ تجدّد في الحرب التي جرت في يوغوسلافيا سابقاً بين عامي 1991 و1995، إذ تبيّن للولايات المتحدة وبريطانيا أن قيمة تركيا الرئيسة للحلف تظلُّ في كونها موقعاً أمامياً لتجميع القوات والمعدات على حافة الشرق الأوسط، لكنَّ هذا الأمرَ لا يُمثّل أولويةً للأوروبيين ولا للناتو ككل، ولا حتى لتركيا نفسِها التي اختلفت مع حلفائها في الناتو خلال أزمة البوسنة، وندّدت بحروب الإبادة التي وقعت بحق فئات ذات جذور تركية على أيدي الصرب. وبالتالي لم يكن الأمرُ مصادفةً أن يتصاعد الإيقاعُ الإسلاميُّ في تركيا العلمانية المتعاطفُ مع البوسنة في الوقت الذي تصعّد فيه أوروبا من اتهاماتها لتركيا بشأن حقوق الإنسان، وهي الاتهامات التي تطلقها أوروبا لتبرير رفضها لانضمام تركيا إلى الاتحاد الأوروبي، ما يدلُّ على الازدواجية لدى أوروبا. لكنَّ الولاياتِ المتحدةَ الأميركيةَ أبقت على الناتو ودعمت انضمامَ تركيا إلى الاتحاد الأوروبي، لأن باعتقادها أن تركيا قادرةٌ على حماية المصالح الإستراتيجية الأميركية والغربية في الشرق الأوسط وآسيا الوسطى والقوقاز. فالولاياتُ المتحدة الأميركية تخاف في حال عدم انضمام تركيا إلى الاتحاد الأوروبي، أن تلجأ تركيا إلى رد فعل معادٍ للغرب مما يعرّض مصالحه الأمنية والإستراتيجية للخطر.[2]

(2) لقمان عمر النعيمي، تركيا والاتحاد الاوربـــي، مـركـز الامـــارات للبحوث والـدراسـات الاستراتيجية، العـدد120، ابوظبي،2007، ص 90

في أواخر عام 1994 وبداية عام 1995، ضغطتِ الولاياتُ المتحدة الأميركية على الدول الأوروبية للموافقة على إدخال تركيا في اتفاقية الوحدة الجمركية كما أقرَّتها اتفاقيةُ أنقرة لعام 1963. غيرَ أنَّ تنفيذ هذه الإجراءات ظلّ متعثراً بسبب الرفض اليوناني بإعطاء أي مساعدات مالية أوروبية لتركيا وفقاً لما نصّت عليه اتفاقية أنقرة. فضلاً عن ذلك، استطاعتِ اليونانُ الضغطَ على شركائها لاعتماد سياسة مشتركة تعكس آثار القضية القبرصية على سير العلاقات بين تركيا والاتحاد الأوروبي، مما أدَّى إلى استياء تركي من هذه السياسة. عندها ضغطتِ الولاياتُ المتحدة على الأوروبيين من أجل تحييد النـزاعات التركية – اليونانية، وهؤلاء بدورهم ضغطوا على اليونانيين الذين أذعنوا للأمر وتمَّ التوقيعُ على الوحدة الجمركية بين تركيا والاتحاد الأوروبي في 6 آذار 1995، ونُفذّت ابتداءاً من 1 كانون الثاني 1996. كما عدّت الوحدة الجمركية بالنسبة لتركيا، الخطوة الأخيرة في الطريق إلى الاتحاد الأوروبي، أما هذا الأخير فقد عدّ العلاقات بين الفريقين قد بلغت مستوى أعلى،

يتعيّن أن يبقى مستقبلها مفتوحاً.

وفي نهاية المرحلة الانتقالية دخل الاتحادُ الجمركي الذي يشكّل أهمَّ مرحلة من مراحل تكامل تركيا مع الاتحاد الأوربي، حيّزَ التنفيذ بتاريخ 1 كانون الثاني/ يناير 1996. وبعد دخول هذا الاتحاد حيز التنفيذ وصل التكاملُ بين الأطراف إلى مستويات متقدمة، مما حدا بتركيا إلى بذل الجهود لتحقيق الهدف الذي حددته المادة 28 من اتفاقية أنقرة، ألا وهو نيل عضوية الاتحاد. ومازال الاتحاد الجمركي يشكّل البعد الرئيس للعلاقات بين تركيا والاتحاد الأوربي. وفي الوقت الحالي يمثّل مجلسُ الشراكة ولجنة الشراكة ولجنة التعاون الجمركي واللجنة المشتركة للتعاون الجمركي، الأجهزة الرئيسة لنظام الشراكة القائم حالياً.

ومن جهة ثانية، ازدادت وتيرة عَقْدَ اتفاقيات التجارة الحرَّة الثنائية على الصعيد العالمي في السنوات الأخيرة، وتعمَّقت وتوسَّعت بشكل شملت فيه أبعاد التجارة كافة. وتدخل اتفاقيات التجارة الحرَّة التي وقَّعها الإتحادُ الأوربي في الآونة الأخيرة مع بعض الدول مثلَ كوريا الجنوبية وكندا وسنغافورة، ضمن هذا النطاق.

وفي المرحلة الراهنة، يبرز تعزيزُ العلاقات التجارية بين تركيا والإتحاد الأوربي كضرورة لا بدَّ منها. وإذا ما نظرنا سوية إلى التجارب التي اكتسبتها تركيا من الإتحاد الجمركي القائم، وإلى النتائج الإيجابية لعملية مواءمة التشريعات التي نفذتها لغاية اليوم بصفتها دولةً مرشَّحةً لنيل العضوية الكاملة، فإنَّ تطوير وتعزيز العلاقات التجارية سيجعل كلاً من تركيا والإتحاد الأوربي من أهمِّ الشركاء التجاريين لبعضهما البعض. ومن المتوقَّع أنَّ مثلَ هذا التطورِ الذي سيحقّق المنفعةَ الإقتصادية المتبادلة لكل من الطرفين، سيساهم في تسريع عملية انضمام تركيا إلى الإتحاد.

وانطلاقاً من هذه الفكرة، مازالت المباحثاتُ مستمرةً بين تركيا والمفوضية الأوربية لتحديد الطريقة التي يجب إتّباعُها استناداً إلى قاعدة المنفعة المتبادلة من أجل تحديث الاتحاد الجمركي والعلاقات التجارية.

بعد شهر واحد من إطلاق الوحدة الجمركية، حصل توترٌ في العلاقات اليونانية التركية على إثْرِ مشاكلَ حدثت في قبرص، فطلب الاتحاد الأوروبي من تركيا في 15 تموز 1996، قبولَ التحكيم الدولي في المسألة القبرصية من محكمة العدل الدولية في لاهاي، وفقاً للمطالب اليونانية، ما زاد تعقيد العلاقات مع تركيا، التي غضبت أكثرَ عندما إتَّخذ الإتحادُ الأوروبي قراراً رسمياً في قمة لوكسمبورغ في 11 كانون الأول 1997، يقضي بعدم ضمّها إلى قائمة الدول المرشَّحة للانضمام إلى الاتحاد، لكنَّه

وَضَعَها في خانة خاصة بوصفها طالبة انتساب. وأقرَّ الاتحادُ تطبيق «استراتيجية أوروبية» خاصة بتركيا يمكن أن تؤدي إلى عضوية لاحقة في الاتحاد الأوروبي. إتَّهم رئيسُ الوزراء التركي آنذاك، مسعود يلماز، الاتحاد الأوروبي بممارسة التمييز ضد بلاده، واتهم أيضاً المستشار الألماني هيلمونت كول بالسعي سراً لتحويل الاتحاد الأوروبي إلى «نادٍ مسيحي» يستبعد تركيا التي يشكّل المسلمون الأغلبية الساحقة لسكانها، وإنه لا مجال لها بالانضمام إلى الاتحاد الأوروبي لأنها لا تشترك معه في الهُوِيَّة الدينيَّة. ومع إعلان الموقف الألماني، قرّرت الحكومة التركية في 14 كانون الأول 1997 قطع الحوار السياسي مع الاتحاد الأوروبي، وهدّدت بسحب طلب الانضمام ما لم يتراجع الاتحاد عن موقفه الرافض لضمّها، كما رفضت الولايات المتحدة الأميركية بقوة أن يكون الاتحاد الأوروبي «مشروعاً مسيحياً»، لأنَّها لا تريد أن تقوم علاقات تركيا مع أوروبا على أساس ديني أو عرقي، إنما على أساس المصالح[3]

(3) هيثم كيلاني، تركيا والعرب دراسة في العلاقات العربية التركية، مركز الامارات للبحوث والدراسات الاستراتيجية، دراسات استراتيجية، العدد6، 1996، ص 36.

وافقت دولُ أعضاء الاتحاد الأوروبي في قمة هلسنكي التي انعقدت في 10-12 كانون الأول 1999 على مبدأ قبول طلب تركيا، ومنحها وضع المرشح للانضمام إلى الاتحاد الأوروبي، ذلك بعد أن ألغت اليونان تحفظاتها بضغط أميركي. لكن تلك الدول وضعت شروطاً أساسية لبدء المفاوضات الرسمية مع تركيا، من بينها احترامُ الأقليات وحقوق الإنسان، بإلغاء عقوبة الإعدام، وتحسين علاقتها مع اليونان وكف يد الجيش التركي من التدخل في الشؤون السياسية. قد ساهم الموقف الفرنسي كثيراً في اتخاذ هذا القرار بسبب تأييد الرئيس جاك شيراك لمسار انضمام تركيا للاتحاد، إذ اعترف بالجهود التي بذلتها تركيا من أجل إصلاح الدولة والنظام السياسي، كما أصرّ على ضرورة تحقيق التقارب بين شطري المتوسط. كما وقّعت تركيا على وثيقة شراكة الانضمام في آذار 2001 والمتضمنة تنفيذ إجراءات عديدة على الصعيدين السياسي والاقتصادي، تتوافق مع معايير كوبنهاغن، شروطاً على تركيا من أجل الانضمام. وفي سياق تنفيذ الالتزامات والشروط، أقرّ البرلمان التركي سلسلة من الإصلاحات السياسية والديمقراطية والاجتماعية والاقتصادية بما يتفق مع معايير كوبنهاغن. من أهم هذه الإصلاحات[4]:

1 - تتعهد تركيا بتغيير قانون الانتخابات والأحزاب السياسية ونظامها من زاوية خفض نسبة التمثيل النسبي من 10% إلى 5% لإتاحة الفرصة لمزيد من الأحزاب للدخول في البرلمان، بخاصةٍ الأحزاب السياسية المتعاطفة مع القضية الكردية.

(4) طالب حسين حافظ، تركيا والاتحاد الاوربي، المجلة السياسية والدولية، العدد18، 2011، ص 80.

2 - إفساح المجال لحرية الرأي والتعبير وإنهاء حالة الاعتقالات السياسية بسبب

مقولات أو خطب أو أفكار سياسية معارضة، وإنشاء جمعيات ومنتديات. سياسية

3 - عدم حظر نشاط أي حزب سياسي وإغلاق مقاره بسبب آرائه السياسية.

4 - منح حقوق للأقليات الدينية غير المسلمة بامتلاك أوقاف وأموال خاصة بدور العبادة، وحرية التملك وشراء العقارات في البلاد

5 - فرض عقوبات رادعة في عمليات تهريب الأفراد، وهو ما يخفف من قلق الأوروبيين بالنسبة إلى تزايد ظاهرة الهجرة غير المشروعة والتي تتدفق عبر حدود تركيا وسواحلها الطويلة. إيقاف إجراء عمليات الدهم والتوقيف والاعتقال بدون أذون خاصة، وإعادة محاكمة من تحكم لصالحه محكمة حقوق الإنسان الأوروبية في تركيا.

6 - نتيجة انهيار سعر صرف الليرة التركية أمام الدولار بنسبة 50%، قدّم صندوق النقد الدولي لتركيا تسهيلات ائتمانية بقيمة 16 مليار دولار عام 2001، واشترط تعيين كمال درويش، من اللوبي الموالي للغرب، وزيرًا للاقتصاد، وضرورة رضوخ الحكومة لشروطه ولبرنامجه الإصلاحي، وهذا ما حصل فصل البنك المركزي عن سيطرة الحكومة التركية وتعويم العملة المحلية، لتستطيع البنوك تقديم التسهيلات، كما بيعت وخُصخصت بعض البنوك العامة وتمّ دمج البعض الآخر. وبالرغم من كل هذا، ظل الوضع الاقتصادي متدهوراً. وقد رحّب الاتحاد الأوروبي بهذه الإصلاحات التشريعية، لكنه عدّها أنها لا تفي بالمستوى المطلوب وفق معايير كوبنهاغن.

المبحث الثاني: المفاوضات التركيَّة الأوربيَّة من عام 2002 إلى عام 2017

وجرت في تركيا، في 3 تشرين الأول 2002، انتخابات برلمانية، فاز فيها حزب العدالة والتنمية، ذو التوجه الإسلامي المعتدل، فعيّن رئيس الحزب، رجب طيب أردوغان، رئيسا للحكومة، الذي قام بجولة أوروبية شملت الدول الـ15 الأعضاء في الاتحاد لتشجيعها على تحديد موعد لبدء تركيا مفاوضات العضوية. أضحى بالنسبة لأردوغان، انضمام تركيا إلى الاتحاد الأوروبي، أولوية في برنامجه، كما أنه اعتمد على سياسة براغماتية حديثة، وخاصة في السياسة الخارجية عنوانها (عدم المواجهة مع كل دول الجوار، وتعدد العلاقات ومزيج من الاستراتيجيات

السياسية), وقد أكد أردوغان خلال جولته الأوروبية أن «تركيا موجودة بالفعل في أوروبا من خلال أربعة ملايين مهاجر تركي (معظمهم في ألمانيا) وأنها ليست مصدر مخاوف للأوروبيين»، مضيفًا أن «نجاح تركيا دولةً إسلاميةً يمكن أن يجعلها قدوة لدول إسلامية أخرى»، وطالب ألا «يكون الاتحاد الأوروبي نادياً مسيحياً»، كما أعرب عن موافقته على خطة السلام الشامل في قبرص، وفق الخطة التي اقترحها الأمين العام للأمم المتحدة كوفي أنان، لأن ذلك سيساعد في الإسراع بانضمام تركيا للاتحاد الأوروبي.[5] وأكّد رفض أنقرة لأي صيغة شراكة خاصة بين الاتحاد الأوروبي وتركيا بدلاً من انضمام هذه الأخيرة إلى الاتحاد.

(5) احمد نوري النعيمي، عملية صنع القرار في السياسة الخارجية التركية انموذج العلاقات العراقية التركية، مركز الدراسات الدولية، جامعة بغداد، 2002، ص 176.

عارض مفوض الاتحاد الأوروبي لشؤون التوسيع، جونتر فيرهوجن، أن يتم خلال قمة كوبنهاغن في كانون الأول 2002 تحديد موعد لبدء المفاوضات مع تركيا للانضمام إلى الاتحاد بسبب عدم استكمال الإصلاحات السياسية والاقتصادية، وأضاف: «ما دام العسكريون يسيطرون على السياسة وليس السياسة على العسكريين فلا يمكنني تصور تركيا عضواً في الاتحاد الأوروبي.[6]

(6) سمير ذياب، تركيا في عهد رجب طيب اردوغان، الجنادرية للنشر والتوزيع، عمان، 2012، ص 78.

وبالفعل أجرت قمة كوبنهاغن في كانون الأول 2002 قرارَ تاريخِ بدءِ المفاوضات إلى نهاية عام 2004، بالرغم من الضغوط الأميركية الشديدة على دول الاتحاد الأوروبي. أما سبب هذه الضغوط فهو محاولة الأميركيين الحصول على دعم تركيا في الحرب على العراق مقابل دعم انضمامها للاتحاد الأوروبي. لكن القادة الأوروبيين انزعجوا من التدخل الأميركي الذي ألحق ضرراً بالغاً بالقضية التركية، وعبّروا عن ذلك في أثناء حفل عشاء القمة الأوروبية في كوبنهاغن. وقد أقرَّت القمةُ توسيع الاتحاد الأوروبي بضمِّ عشر دول جديدة منها قبرص، اليونان ومالطا.

لم يثنِ قرارُ قمة كوبنهاغن تركيا عن قطع الأمل، بل عمدت حكومة حزب العدالة والتنمية إلى إجراء المزيد من الإصلاحات السياسية والاقتصادية حتى انعقاد القمة الأوروبية في بروكسل في كانون الأول 2004. وقد شملت الإصلاحات السياسية زيادة الضمانات التي تحمي الحريات السياسية والثقافية وحقوق الإنسان، منع محاكمة المدنيين في المحاكم العسكرية، إلغاء جرائم الرأي وعقوبة الإعدام نهائياً والسماح بتدريس اللغة الكردية في المدارس والبث الإعلامي باللغة الكردية. وقد اعترف أردوغان بوجود مشكلة كردية في البلاد، وأشاد بحزب العدالة والتنمية لأنه أفضل الأحزاب تمثيلاً لمصالح الأكراد السياسية والتقى مثقفين أكراداً من أجل التباحث معهم في سبيل تسوية النزاع الكردي، كما أنه اعترف علناً بوجود أخطاء ارتكبتها الدولة بحقهم، وصرّح لهم، أي للأكراد البالغِ عددُهم 15 مليون مواطن،

بأن المشكلة الكردية تعنيه شخصياً في المقام الأول. وبالفعل.

كما تضّمنت تلك الإصلاحات تشريعات تَحِدُّ من سلطات المؤسسة العسكرية من خلال إخضاع ميزانيتها للرقابة البرلمانية والحدّ من الوجود العسكري في مجلس الأمن القومي الذي تحوّل إلى جهة استشارية تخضع أمانتها لرئيس الوزراء المنتخب.

ووافق أردوغان على إجراء مفاوضات بإشراف الأمم المتحدة من أجل تسوية الصراع حول جزيرة قبرص من خلال توحيد شطري الجزيرة مع ضمان حقوق الأقلية التركية فيها. غير أن هناك مسائل كثيرة لم يتم إصلاحها، وقد تطرق الاتحاد الأوروبي إليها، مثل استمرار تمثيل القوات المسلحة في هيأة الإذاعة والتلفزيون وفي مجلس التعليم العالي، والتراخي في التحقيق حول انتهاك حقوق الإنسان، والقيود التي تحدُّ من هوية الأقليات غير المسلمة، وعدم المساواة بين الرجل والمرأة بالإضافة إلى ربط الاتحاد بين المسألة القبرصية وتطلعات تركيا الأوروبية وهذا ما أثار حفيظة السلطات التركية.

أما بالنسبة للاقتصاد، فقد انخفض معدل التضخم إلى أدنى مستوياته منذ 25 عاماً، وصل معدل النمو إلى 5،9% عام 2003، رفعت الحكومة دخول أكثر الفئات تهميشاً وتضررًا في المجتمع التركي، بالرغم من معارضة الاتحاد الأوروبي لذلك وخفّضت الإنفاق العام بنسبة 2،4% وتم إصدار الليرة التركية الجديدة بحذف ستة أصفار منها، إذ أصبحت تساوي 0،5 يورو أو 0،7 دولار، وخفّضت نسبة ارتفاع الأسعار الاستهلاكية من 68% عام 2001 إلى 9،8% عام 2005، وخفّضت الفوائد بشكل كبير. نتيجةً لتلك الإصلاحات، استقرّ الاقتصاد التركي بعد مدة طويلة من الاضطراب، وازدادت نسبة الاستثمارات الأجنبية، وانتعشت القطاعات التجارية والصناعية والزراعية وتوافرت فرص العمل في البلاد.[7]

(7) سمير ذياب، مصدر سبق ذكره، ص 88.

على إثْرِ هذه الإصلاحات، صرّح أردوغان بما يأتي: «إذا ما أغلق الأوروبيون الباب في وجه الأتـراك فعندئذٍ سوف نعلن عن تحويل معايير كوبنهاغن السياسية إلى معايير أنقرة، ومعاييرٍ ماسترخيت الاقتصادية إلى معايير اسطنبول، وسنتابع طريقنا». وفي 15 كانون الأول 2004، أيّدت أغلبية النواب الأوروبيين في البرلمان الأوروبـي بدء مفاوضات انضمام تركيا إلى الاتحاد الأوروبـي. وقبل انعقاد قمة بروكسل في 16-17 كانون الأول 2004 صرّح أردوغـان بما يأتي: «ستجمد تركيا ترشيحها إلى الاتحاد الأوروبـي في حال فَـرَضَ القادةُ

الأوروبيون شروطاً غير مقبولة على تركيا لانضمامها إلى الاتحاد. سنضع هذه المسألة في الثلاجة ونتابع طريقنا. فلن يكون ذلك نهاية العالم»[8] غير أن القمة اتخذت قراراً حدّد فيه الثالث من تشرين الأول 2005 موعداً لبدء المفاوضات مع تركيا بشأن مسألة العضوية، لكن ذلك لا يعني دخول تركيا إلى عضوية الاتحاد، فقد تستمر المفاوضات حتى عام 2015 لحين استيفاء تركيا شروط الانضمام.

(8) عبير الغندور، بدائل التوجه السياسي التركي المعاصر، المجلة العربية للعلوم السياسية، مركز دراسات الوحدة العربية، العدد33، بيروت، 2012، ص111.

رحّب أردوغان بالقرار عادّاً «أن المشروع التركي لتحقيق مصالحة بين الحضارتين المسيحية والمسلمة بات يرتكز على أسس ملموسة». كما رحّبت الدول الأوروبية بهذا القرار، وبالأخص فرنسا مع الرئيس جاك شيراك، وألمانيا مع مستشارها جيرهارد شرويدر، وبريطانيا مع رئيس وزرائها طوني بلير، الذين أيّدوا دخول تركيا الاتحاد الأوروبي. إلا ان هؤلاء الرؤساء تبدّلوا، وتبدلّت الأوضاع عام 2005.[9]

(9) سمير ذياب، مصدر سبق ذكره، ص 90.

بعد بدء المفاوضات، طرأت تبدلات في بعض دول الاتحاد الأوروبي، أثّرت في مسار التفاوض وأعادت طرح تساؤلات عن ملف الإنضمام الى الواجهة، مما أدى إلى «تباطؤ المحادثات بين الفريقين من دون أي تسوية في الأفق إذ ليس هناك أمل واقعي لا في أوروبا ولا في تركيا بأن تنضم الأخيرة إلى الاتحاد الأوروبي في المستقبل القريب. والاقرار بفقدان هذا الأمل مؤلم جداً بقدر رؤية العلاقات مع أوروبا تنهار بالكامل، ولذلك لا يتحلى أحد بالشجاعة للتفوّه بهذه الكلمات[10]. مما يؤكد أن أسباب عدم الإنضمام ليست فقط سياسية واقتصادية إنما أيضًا ثقافية ودينية، مع العلم أن اسطنبول هي العاصمة الأوروبية للثقافة عام 2010

(10) العلاقات الحائرة بين تركيا والاتحاد الاوربي، شبكة المعلومات الانترنت، منشور على الرابط الاتي: www.lebrmy.gov.lp

في عام 2006، أوصت المفوضية الأوروبية بوقف مفاوضات الإنضمام الجارية مع تركيا، ولو جزئياً، بسبب تواصل رفض أنقرة لفتح موانئها البحرية والجوية أمام السفن والطائرات القبرصية، ورفضها أيضاً الاعترافَ بعضوية قبرص في الاتحاد الأوروبي. لذا طُلب من تركيا الإعتراف الأحادي الجانب بقبرص فرُفِضَ الطلبُ.[11]

(11) جراهام فلور، الجمهورية التركية الجديدة: تركيا كدولة محورية في العالم الاسلامي، مركز الامارات للبحوث والدراسات الاستراتيجية، ابو ظبي، 2009، ص76.

لم تكن تلك القضية الوحيدة التي وتّرت المفاوضات بين الجانبين، بل أُعيد طرحُ مسألة الأكراد والأرمن وصلاحيات الجيش، لكن الأبرز الذي حصل هو انتخاب رئيس جديد لفرنسا، وهو نيكولا ساركوزي خلفاً لجاك شيراك. عارض الرئيس الجديد علناً إنضمام تركيا إلى الاتحاد الأوروبي مما بدّل السياسة الفرنسية تُجاه تركيا رأساً على عقب. صرّح ساركوزي بأن تركيا لا تنتمي إلى أوروبا، ونظر إلى مسألتها على أنها محض مسألة متعلقة بالحدود الجغرافية. وهدف من ذلك،

الحفاظ على نفوذ فرنسا داخل الاتحاد الأوروبي، لهذا فإنه يريد منعَ تركيا من الانضمام، كونها دولةً كبيرةً سيبلغ تعداد سكانها 80 مليون نسمة بالإضافة لكونها تملك طاقات اقتصادية تنمو على نحو ديناميكي فعّال. واقترح ساركوزي حلاً يقضي بإنشاء مجموعة الدول المتوسطية على أن تتبوأ تركيا مركز الصدارة داخلها، كلُّ ذلك بهدف إقناع الأتراك بالتخلي عن مشروع انضمامهم للاتحاد الأوروبي. وقام ساركوزي باستخدام لجنة خبراء، شكّلها من أجل مستقبل الاتحاد الأوروبي بغية الحصول على توصية تعارض قبول تركيا في الإتحاد الأوروبي.[12]

(12) عقيل سعيد محفوظ، سورية وتركيا الواقع الراهن واحتمالات المستقبل، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 2009، ص 167.

لم تكن فرنسا وحدَها هي التي بدّلت موقفها، بل أيضاً ألمانيا، مع مستشارتها أنجيلا ميركيل التي رفضت انضمام تركيا إلى الاتحاد الأوروبي، ودعت إلى «الشراكة الممتازة» بدلاً من العضوية الكاملة. ودعت ألمانيا أيضاً إلى طرح موضوع خرق حقوق الإنسان في تركيا للنقاش المفتوح، على أن تشمل موضوعات مثل جرائم القتل بإسم الشرف ودور المرأة في المجتمع. لكن أليستِ الجاليةُ التركيةُ في ألمانيا هي الكبرى وأظهرت صورة مثالية عن تركيا، أو أن ألمانيا تتخوّفُ مثلً فرنسا من انضمام تركيا الكثيفةِ السكان، فتزاحمها على السلطة داخل الاتحاد ويكون لها مقاعد نيابية مثلها؟.

بيّنت نتيجة استطلاعات للرأي أن الموقف من انضمام تركيا إلى الاتحاد لدى دول أوروبـا الوسطى والشرقية المنضوية في عام 2004، منقسم بين الرسمي والشعبي، ومن كان لديه مؤشرات إيجابية حيال انضمام تركيا المحتمل إلى الاتحاد، تحوّل إلى موقف حافل بالشك لا بل حتى الرافض، كسلوفاكيا، وجمهورية التشيك، وإستونيا، ونوعاً ما بولندا، وسلوفينيا، أما لتفيا وليتوانيا والمجر فتتصف مواقفهم بالحذر. أما التأييد الواضح لانضمام تركيا فيقتصر على بلدين إثنين هما بلغاريا ورومانيا اللذان التحقا بالاتحاد الأوروبي عام 2007؛ ولعلّ ذلك يعود إلى كون رومانيا مدينة بالشكر لتركيا بسبب الدعم الذي قدمّته لها في سياق انضمامها إلى حلف شمال الأطلسي. وفي بلغاريا فإن الحزب الذي يمثل مصالح الأتـراك البلغاريين أي «حركة الدفاع عن الحقوق والحريات»، يشكل أحد أطراف الإئتلاف الحكومي.[13] وقد سيطر الغموض على الموقف الأوروبي منذ اعام 2007 مما أضعف اهتمام أنقرة، ولم تَعُدْ بالنسبة لتركيا مفاوضات دخول الإتحاد الأوروبي موضوعاً رئيساً، وانخفضت فيها نسبة مؤيدي الإنضمام بسرعة هائلة، من 66% الى 33% تماما كما انخَفضت نسبة المؤيدين في أوروبا. لا عجب من ذلك، لأن الاتحاد الأوروبي

(13) طالب حسن حافظ، مصدر سبق ذكره، ص 86.

لا يتحدث بصوت واحد، كما أنه بشكله الحالي لا يريد ولا يستطيع استيعاب تركيا بالرغم من إدراكه الأهميةَ التي تتمتع بها تركيا من الناحية الجيوسياسية والجيواستراتيجية. بالمقابل أيضاً، فإن تركيا لا تستطيع أن تفي بشروط الدخول للاتحاد بسرعة، كما أنها لم تحسم أمرها بشكل كامل، إذ إن الجيش التركي لا يزال مُتَحفّظاً إزاء الانضمام إلى الاتحاد الأوروبي لأنه يخاف فقدان صلاحياته وعدم تمكّنه من التدخل في الشؤون السياسية وأن يصبح السياسيون هم المسيطرين عليه على عكس دوره التاريخي، لذا نراه يشجّع الأتراك على رفض الإنضمام مصوراً لهم مساوئه، كما أنه عارض أردوغان حين حاول تغيير الدستور الذي أتى به الانقلابان عام 1980 بقانون أساس مدني، وحاول حظر حزب العدالة والتنمية من خلال المحكمة الدستورية التركية في آب 2008، بسبب التعديل القانوني الذي أجراه بشكل شرعي والذي سمح بارتداء الحجاب في الجامعات. وقد عدّ الجيش ذلك التعديل خطراً على نظام الدولة العلماني وعلى الدستور.

وهناك فريق داخل تركيا متحفّظ أيضاً على الانضمام إلى الاتحاد الأوروبي لأن باعتقاده -إذا نجح ذلك- سيعمد الأوروبيون إلى سلخ منطقة جنوبي شرق تركيا وضمّها إلى شمالي العراق لتحويلها إلى دولة كردية. في ظل غموض الموقف الأوروبي في السنوات الأخيرة حيال ملف الإنضمام، وفي ظل الخوف الثقافي من الإسلام الذي يسود حاليًا في أوروبا، ما يشير إلى ذلك قضية الحجاب في فرنسا وألمانيا، والخلاف حول الرسوم الكاريكاتورية وغيرها، عمدت تركيا إلى اعتماد سياسة دولية منفتحة مع عدم المواجهة، أي سياسات استراتيجية مزدوجة، مما أقلق الأوروبيين من جهة وأَرَاحهم من جهة أخرى.

وفي المقابل، تدخّلت تركيا لحل الصراعات العربية الداخلية بعد أن كانت تنأى بنفسها عن ذلك، وبعد التباعد النسبي بينها وبين العرب منذ الحرب العالمية الثانية عند اعتراف تركيا بإسرائيل، وانضمامها إلى حلف شمال الأطلسي وحلف بغداد. نجحت تركيا أحياناً في مهمتها الجديدة بسبب تطور اقتصادها ونجاح الديمقراطية في داخلها هذا فضلاً عن اهتمامها الكبير بشؤون الشرق الأوسط عبر الإعتماد على الإقتصاد المتبادل مع دوله، فازدادت نسبة تلك البلدان في التجارة الخارجية التركية 12%، في حين ازدادت النسبة مع باقي المناطق من آسيا 26,5%. وعمدت تركيا إلى إقامة التفاهمات الأمنية المشتركة وإجراء حوار استراتيجي من أجل التعايش بين الثقافات والأديان وكل ذلك بهدف أن يعمَّ

الإستقرار في تلك المناطق مما يسمح بأن تكون تركيا من أغنى البلدان الصاعدة. وقدِ اتَّهم البعضُ تركيا بأنها تحاول أن تشتري تذكرة الدخول إلى الاتحاد الأوروبي عبرَ علاقاتها الوطيدة بالشرق الأوسط، بينما رأى آخرون أن غاية سياستها الحالية إعادة الهيمنة العثمانية على المنطقة. هدفت تركيا من خلال تحركاتها السلمية في الشرق الاوسط إلى تثبيت الاستقرار وإيجاد حلول للمشاكل المستعصية، كقضية فلسطين التي وقفت إلى جانبها ودعمتها بالرغم من تحالفها الإستراتيجي مع إسرائيل والذي اهتزّ في 31 أيار 2010 مع حادثة أسطول الحرية المتوجّه إلى قطاع غزة لكسر الحصار الذي تفرضه إسرائيل عليه، إلاّ أن هذه الأخيرة تعرّضت له في المياه الدولية، وقتلت تسعة ناشطين أتراك. على أثرها طالبت تركيا إسرائيل بالاعتذار الرسمي والتعويض لأهالي الضحايا، وسحبت سفيرها من تل أبيب، ومنعت تركيا أيضاً إسرائيل من المشاركة في التمارين العسكرية التي تجري فوق أراضيها، ومن تحليق طائراتها في أجوائها.[14]

(14) سمير ذياب، مصدر سبق ذكره، ص 97.

وفي ما يخص الملف الإيراني، تحاول تركيا أن تقوم بدور الوسيط بين الدول الغربية وإيران لحل الخلاف بينهما حول هذا الملف. من وجهة نظر تركيا، لا تريد أن يكون هناك تسلح نووي في المنطقة بغض النظر عمن يملك هذا السلاح، لكنها في الوقت ذاته فهي تدافع عن حق كل دولة في استخدام الطاقة النووية لأغراض سلمية. هذا الموقف دفع الغرب إلى أن يقترح بأن تكون تركيا دولة ثالثة يستبدل فيها اليورانيوم الإيراني المنخفض التخصيب بوقود عالي التخصيب غير أن مفاوضات اسطنبول التي جرت خلال شهر كانون الثاني 2011 حول هذا الموضوع، لم تُسفر عن أي نتيجة.

رأى وزير الخارجية التركي أحمد داود اوغلو أن دور الوساطة الذي تلعبه بلاده في الصراع الشرق اوسطي، جعل الاتحاد الأوروبي يستفيد من امكانيات تركيا في استقرار المنطقة، ويؤكد ذلك قائلاً: «أن قدرات أنقرة في التأثير الإيجابي في الأوضاع في الشرق الأوسط من أهم المزايا التي قد تنتج عن التعاون المشترك بين الإتحاد الأوروبي وتركيا في مجال السياسة الخارجية؛ ذلك أن الاتحاد الأوروبي أصبح بالفعل بمثابة المرشد في قضايا التغيير داخل تركيا، ومن الممكن أن يصبحوا معاً مرشداً للآخرين في المنطقة كلها». بيد ان العالم العربي يراقب في هذه الأثناء التطورات في تركيا بإهتمام، وكثير منهم يتحدث عن «النموذج التركي» ويعدّ تركيا قدوة بسياستها الديناميكية الواثقة بنفسها.[15]

(15) عبير الغندور، مصدر سبق ذكره، ص 113.

وقد دعا أردوغان الدول العربية في 2011/1/11 إلى شراكة سياسية واقتصادية مع

تركيا، بخاصة مع بدء تغيير الأنظمة في معظم البلدان العربية، إذ بدأت الشعوب العربية حالياً تعيش «فترة ربيعية» بمطالبتها بإصلاحاتٍ

سياسية واقتصادية واعتماد الديمقراطية، ومنح الحريات، وإلغاء الديكتاتورية واحتكار السلطة، ومثال على ذلك ما قام به الشعب التونسي من خلال «ثورة الياسمين»، إذ أجبر الرئيس «زين العابدين بن علي» على التنحي وذلك في كانون الثاني 2011 بعد حكمٍ دام منذ سنة 1987؛ كما نجح الشعب المصري في إجبار الرئيس «حسني مبارك» على التنحي بعد حكمٍ دام منذ سنة 1981، وكذلك الامر في البحرين، لكن تلك شهدت مساندةً عسكريةً خليجية للسلطة فيها منعاً لسقوطها، بخاصة من المملكة العربية السعودية والإمارات المتحدة، وبموافقةٍ من سوريا التي تجري إصلاحاتٍ اجتماعية وعسكرية واقتصادية وأمنية تلبيةً لشعبها المتظاهر في عدّة مناطق منها. وفي الاردن طالب الشعب بإجراء اصلاحاتٍ دستورية وإجتماعية، كذلك الامر في الجزائر والمملكة العربية السعودية التي قمعت وحظّرت وحرّمت التظاهر.[16]

(16) المصدر نفسه، ص 114.

كان البعض في السابق ينظر الى تركيا كشخصية قوية العضلات، ضعيفة المعدة، تعاني من مشاكل في القلب، متوسطة الفكر، أي أن تركيا ذات جيش قوي واقتصاد ضعيف وتفتقد إلى الثقة بالنفس وتعاني من عجز في التفكير. أما اليوم فلتركيا وجودها في السياسة العالمية على مختلف الميادين، وتقوم بدور الوسيط لتسوية الصراعات، كما في البلقان والشرق الأوسط والقوقاز. هذا الدور المتميّز قوّى مكانة تركيا في المنطقة. وأصبح أعداؤها القدامى من حلفائها المقربين، مثل سوريا بعد أن حلّت معها مشكلة الإسكندرون مؤخرًا، وساعدتها على الصمود، بين 2005 و2010 أمام القطيعة الدبلوماسية الدولية التي اعتمدتها كل من الولايات المتحدة الأميركية ومعظم الدول الأوروبية والعربية التي سعت إلى محاصرة نظام بشار الأسد، وربما إسقاطه، على خلفية استشهاد رئيس وزراء لبنان، رفيق الحريري، كما لعبت تركيا الدور القيادي بين 2008 و2010 في محادثات السلام السريّة بين سوريا وإسرائيل. ومن حلفاء تركيا الجدد، العراق، خاصة بعد أن رفضت الحرب الأميركية عليه في عام 2002، ومنعت قوات الولايات المتحدة من التمركز والإنطلاق عبر أراضيها؛ كما حرّكت العلاقات الباردة مع منطقة الحكم الذاتي للأكراد في شمالي العراق، إذ رفضت فدرلته، أي العراق، لكي لا تنشأ دولة كردية على حدودها. تقرّبت تركيا أيضاً من روسيا التي أصبحت أهم شريك للطاقة والتجارة. وفي أثناء الأزمة الجورجية، قامت تركيا بدور قيادي للوصول إلى اتفاقية

السلام بين جورجيا وروسيا سنة 2008. وفي ما يختص بالملف الأرمني، أعادت تركيا علاقاتها الدبلوماسية مع أرمينيا إذ قام الرئيس «عبد الله غول» بزيارة للبلاد وتطرق لأول مرة للحديث عن فتح الحدود بين البلدين.[17]

(17) جراهام فلور، مصدر سبق ذكره، ص 89.

ورغم أن حزب العدالة والتنمية أجرى إصلاحات سياسية واقتصادية قامت المفوضية الأوروبية عام 2006 بتجميد مفاوضات انضمام تركيا جزئيا على خلفية الأزمة القبرصية، وترتب على ذلك إبطاء المفاوضات، وفي مايو/أيار 2008 دعا البرلمان الأوروبي تركيا إلى تسريع خطى «عملية الإصلاح» التي تقوم بها في إطار المفاوضات الجارية وصولا لنيل عضوية الاتحاد.

وجاء في تقرير أصدره البرلمان الأوروبي عن مدى تقدم تركيا في عام 2008 أن تركيا «لم تحقق أيَّ تقدم في مجال حرية الرأي». وطالبت النائبة الهولندية ريا أومين روجتين رئيس الوزراء التركي وقتها رجب طيب أردوغان بأن «يحافظ على وعده بجعل عام 2008 عام الإصلاح في تركيا».

وإلى جانب المسألة الكردية وقضية الأرمن وغيرها من الموضوعات التي طرحت في وجه تركيا ظهرت مواقفُ دولٍ أوروبيةٍ معارضةٍ لإنضمامها إلى البيت الأوروبي، فقد عارض الرئيس الفرنسي وقتها نيكولا ساركوزي بعد وصوله إلى السلطة هذا الأمر بحجة أن تركيا لا تنتمي إلى أوروبا.

كما رفضت ألمانيا ومستشارتها أنجيلا ميركل انضمام تركيا إلى الاتحاد الأوروبي، ودعت إلى «الشراكة الممتازة» بدلا من العضوية الكاملة.

وبعد فجوة دامت سنوات لم تفتح خلالها أي مجالات جديدة للتفاوض بين الطرفين اتفقت حكومات الاتحاد الأوروبي يوم 22 أكتوبر/تشرين الأول 2013 على إجراء جولة جديدة من المفاوضات مع تركيا بشأن انضمامها لعضوية الاتحاد، وذلك بعد أن سحبت ألمانيا التحفظ الذي كانت قد أبدته في إثر تصدي أنقرة لاحتجاجات مناوئة للحكومة في يونيو/حزيران من نفس العام.

وجاء القرار الأوروبي بعد أن أثنت المفوضية الأوروبية على الإصلاحات التي أدخلتها تركيا في تلك المدة على نظامها القضائي، وعلى حزمة القوانين الجديدة التي كشفت عنها الحكومة التركية والتي تهدف إلى إنقاذ عملية السلام المتعثرة مع المقاتلين الأكراد.

وبالإضافة إلى المواقف الرسمية لبعض الدول تعارضُ أحزابٌ وشخصياتٌ أوروبية

انضمامَ تركيا للاتحاد، من أبرزها رئيس حزب الحرية الهولندي خيرت فيلدرز الذي ما فتئ يردد أنه لا يرغب في رؤية تركيا بين دول الاتحاد الأوروبي.

وقال فيلدرز عام 2015 في تسجيل مصور نشره على موقع الحزب على الإنترنت إنه «لا يمكن أن تكون دولة مسلمة مثل تركيا جزءاً من الاتحاد الأوروبي، فنحن لا نريد مزيداً من المسلمين، بل على العكس نودُّ أن ينقص عددهم بيننا".

غير أن التوتر بين أنقرة والأوروبيين عاد إلى الواجهة بعد المحاولة الانقلابية الفاشلة في تركيا يوم 15 يوليو/تموز 2016، حيث دعا الاتحاد الأوروبي على لسان مسؤولة السياسة الخارجية فيديريكا موغيريني في نوفمبر/تشرين الثاني 2016 تركيا لحماية ديمقراطيتها البرلمانية بما في ذلك إحترامُ حقوقِ الإنسان، وسيادة القانون والحريات الأساسية وحق الجميع في محاكمة عادلة «بما يتفق مع التزاماتها بوصفها دولةً مرشحةً لعضوية الاتحاد الأوروبي».

وصوَّت البرلمانُ الأوروبي يوم 23 نوفمبر/تشرين الثاني 2016 في قرارٍ غيرِ ملزمٍ على تعليق مفاوضات انضمام تركيا إلى عضوية الاتحاد الأوروبي، بسبب ما رآه أنه استخدام للقوة غير المتناسبة من الحكومة التركية ضد الذين دعموا انقلاب 15 يوليو/تموز.

وردَّ الرئيس التركي رجب طيب أردوغان في 14 نوفمبر/تشرين الثاني 2016 بحديثه عن احتمال إجراء استفتاء على قطع مفاوضات الانضمام إلى الاتحاد الأوروبي.

وقال أردوغان للصحفيين: إن الإتحاد الأوروبي يحاول إجبار بلاده على الخروج من المفاوضات، مضيفا «إذا كانوا لا يريدوننا فعليهم أن يقولوا ذلك صراحةً وأن يتخذوا القرارات المناسبة».

وقال أردوغان في ديسمبر/كانون الأول 2016 إنه استنفد الصبرَ والطاقة في اللهاث وراء أوروبا.

وبعد التقارب الذي حصل بين الطرفين مع تدفق أزمة اللاجئين إلى أوروبا عاد التوتر مجددا بين أنقرة والأوروبيين على خلفية التعديلات الدستورية التركية التي تبناها البرلمان وتعرض لاستفتاء عام في أبريل/نيسان 2017، ومن أبرز ما جاءت به منح صلاحيات جديدة للرئيس.

فقد منعت دول أوروبية تجمعات مؤيدة لتلك التعديلات كما جرى في النمسا

وألمانيا وسويسرا وهولندا، مما أثار غضب السلطات التركية، وتفاقم التوتر -خاصة مع هولندا- على خلفية منع الأخيرة وزيرين تركيين من دخول أراضيها، وتوعّدَ القادةُ الأتراكُ هذه الدولةَ بإجراءات عقابية.

يأتي ذلك في الوقت الذي حذّر خبراءُ في مجلس أوروبا من أن مشروع التعديلات الدستورية قد يُحوّلُ النظامَ في تركيا إلى رئاسي «استبدادي».

وقال الخبراء في القانون الدستوري «للجنة البندقية» في الاتحاد الأوروبي إن التعديلات المقترحة «لا تحترم نموذج النظام الرئاسي الديمقراطي الذي يقوم على مبدأ فصل السلطات»، وحذّروا من أن السلطة التي ستمنح للرئيس «بحل البرلمان لأي ذريعة ستكون مناقضة للأنظمة الرئاسية الديمقراطية»، مشيرين إلى أن المشروع قد يضعف نظام الرقابة واستقلالية القضاء[18].

تركيا، التي ما زالت تفاوض من أجل الانضمام للإتحاد الأوروبي، «لن تصبح أبدا عضوا في الاتحاد الأوروبي» هذا ما صرحت به مؤخراً المستشارة الألمانية أنجيلا ميركل في مناظرة تلفزيونية لها.

وقد ردَّ على ذلك المتحدثُ باسم رئاسة الجمهورية التركية إبراهيم كالن بقوله: إنَّ مساعي السلطات الألمانية لنشر التوتر القائم بين تركيا وألمانيا في عموم أوروبا هو دليل على عجز تلك السلطات[19].

يُعبّرُ قرارُ تعليق مفاوضات انضمام تركيا إلى عضوية الاتحاد الأوروبي، الذي صوَّت عليه البرلمانُ الأوروبيُّ في الثالث والعشرين من نوفمبر/تشرين الثاني 2016، عن مدى تأزم العلاقات التركية الأوروبية التي باتت تشهد توتراً متزايداً بعد محاولة الإنقلاب الفاشلة التي جرت في تركيا مساء الخامس عشر من يوليو/تموز الماضي، خاصة أنه ربط مسوغات وحيثيات القرار بالإجراءات التي قامت بها الحكومةُ التركية وبحالة الطوارئ التي فرضتها بعد المحاولة الفاشلة لملاحقة الذين قاموا بتنفيذها ووقفوا وراءها، واشترط تفعيل مسيرة مفاوضات الانضمام برفع حالة الطوارئ.

وبالرغم من أن قرار تعليق أو تجميد المفاوضات مؤقتا وليس ملزما للقادة الأوروبيين، ويستلزم موافقة المجلس الأوروبي الذي يتكوّن من رؤساء الدول الأوروبية الثانية والعشرين، كي يصبح نافذا، فإنه يُعبّر عن انتكاسة جديدة في علاقات الطرفين، التركي والأوروبي، أراد الأوروبيون من خلالها توجيه رسالة قوية

(18) طريق تركيا للاتحاد الأوروبي المزروع بالأشواك, الجزيرة نت، 2017 , http://www.aljazeera.net/encyclopedia/events/2017/3/13.

(19) هل تبدد حلم تركيا في الانضمام إلى الاتحاد الأوروبي؟, BBC, 5 سبتمبر 2017, http://www.bbc.com/arabic/in_depth_41153494.

إلى تركيا.

غيرَ أن عملية التفاوض بين الجانبين عرَفَت انتكاساتٍ وتجاذبات عديدةً، كونها لم تشهد تعاونا فعليا بينهما، فيما شهدت عملياتُ تفاوضٍ أخرى مع دول أوروبا الشرقية تساهلا أوروبيا لافتا، وخاصة مع كل من بلغاريا ورومانيا وسواهما من الدول التي لم تكن تتمتع بنفس المستوى من الدمقرطة ولا بذات القوة الاقتصادية أو الاستقرار، بل عمد الاتحاد الأوروبي إلى سياسة التهديد والتحذير حيال تركيا، تلبية لأهداف سياسية داخلية، ترضي أوساط اليمين المتطرف الشعبوي الرافض لقبول لأجانب، والمعادي للإسلام.

ويبدو أن تركيا ليست عديمة البدائل، لكنَّ الأمور لن تصل إلى حد وضع نهاية لحلم تركيا الأوروبي، فهي تريد توسيع دائرة علاقاتها السياسية والاقتصادية، مع أنها تتمتع بصفة «شريك حوار» مع منظمة شانغهاي للتعاون المكونة من كل من روسيا والصين وكازاخستان وقرغيزستان وأوزبكستان، لكن تعريف المنظمة نفسها بأنها «منظمة سياسية اقتصادية عسكرية أوراسية (وأوربية آسيوية)»، يتطلّبُ من تركيا التخليَ عن مسألة الانضمام إلى الاتحاد الأوروبي والخروج من حلف شمال الأطلسي (الناتو)، وهو أمر لا يمكن لتركيا أن تفعله، لأنه ستترتب عليه تداعيات خطيرة.

إذن يتطلب انضمام تركيا إلى هذه المنظمة تغييرا جوهريا فيها، وسيترتب عليه أيضا تداعيات إقليمية وعالمية خطيرة. إضافة إلى وجود خلافات جذرية ما بين تركيا ودول منظمة شنغهاي التي تتمتع بأنظمة حكم استبدادية، ولعلَّ الرئيسَ التركي أراد من تهديداته بالانضمام إليها إرسالَ رسالة للأوروبيين، مفادُها أن لدى تركيا العديدَ من البدائل في حال تخلي الأوروبيين عن مسألة انضمامها إلى النادي الأوروبي[20].

الخَاتِـمّـــةُ

إنطلاقاً مما تقدَّم وبالإستناد الى التحديات التي تواجهها تركيا في الإنضمام لعضوية الاتحاد الاوربي فإنَّ تلك المسألةَ تبدو في غاية الصعوبة خاصة في ظل التطورات السياسية الدولية في عالم ما بعد الحرب الباردة، ولقد ساهم وصولُ حزبِ العدالة والتنمية ذي التوجهات الإسلامية الذي عَمِلَ بشكل أو بآخر على تعكير صفو العلاقات التركية الأوربية بسبب التطلعات التركية الجديدة والإنفتاح على الشرق الأوسط والموقف من رفض العقوبات او توجيه ضربة عسكرية الى إيران بسبب من البرنامج النووي فضلاً عن الموقف من القضية الفلسطينية ومجمل التطورات في

(20) عمر كوش, ماذا وراء تجميد مفاوضات انضمام تركيا للاتحاد الأوروبي؟, الجزيرة, نت, 2016/11/30, HYPERLINK "http://www.aljazeera.net/knowledgegate/opinions/2016/11/30/".

العالم.

إنَّه بالرغم من مرور أكثرَ من عقدين على نهاية الحرب الباردة وتواصلِ المفاوضاتِ التركية الأوربية الذي صَاحَبَه شروعُ تركيا بالعديد من الإصلاحات المدنية والسياسية وجنوحها نحو الغرب اقتصادياً وثقافياً إلاَّ أنَّها لم تستطع لغاية الآن إقناعَ الأوربيين بوصولها إلى المرحلة التي تُؤهِّلُها من ان تصبح اوربية وذلك من خلال دخولها عضويةَ الإتحاد الأوربي.

لعلَّ تلك القضيةَ وتواصلَ الرفض الأوربي لقبول تركيا دَفَعَ تركيا مؤخراً إلى أن تحاول رسم سياسة خارجية متعددة التوجّه فبالرغم من هدفها في الحصول على عضوية الإتحاد الأوربي فإنها عمدت الى سياسة خارجية جديدة تُجاه المحيط الإقليمي ومنطقة آسيا الوسطى والشرق الأوسط التي جاءت بتصفير المشكلات مع دول الجوار وإقامة علاقات متوازنة مع هذه الأطراف بما يّخْدِمُ مصلحةَ الأمن القومي التركي التي تكوّنت بعد استمرار وجود حزب العدالة والتنمية التركي في السلطة لثلاث دورات إنتخابية ،الأمرُ الذي دفع العديد من الباحثين والمختصين بالسياسة الخارجية الى الاعتقاد بأن تركيا لم تَعُدْ متلهفةً للحصول على عضوية الإتحاد الأوربي بالشكل الذي كانت عليه سابقا.

من خلال ذلك نستنتج أنَّ شخصية المفاوض التركي كالآتي:

1 - يعتمد المفاوض التركي على سياسة النَفَس العميق, أي لديه الإستعدادُ لقضاء المزيد من الوقت حين يتوقعون نتائج فُضْلَى.

2 - يتميَّزُ المفاوضُ التركي بالهدوء أثناء عملية التفاوض.

3 - المفاوض التركي أحياناً يَستخدِمُ أَسلوبَ الإقناعِ بالبدائل.

الفاعلون الجُدُد: الدورُ الهنديُّ في النظامِ الدوليِّ (الفرص والتحديات)

م. د. علاء عبد الوهاب عبد العزيز*
كليّةِ العلومِ السياسيّة/ جامعة الإمامِ الكَاظِم(ع)

* باحث من العراق

المُلَخَّص

لقد شَهِدَ القرنُ الحاليُّ صعودَ قوىً إقليميةٍ بدأت تتمتع بمقومات لأداء أدوارٍ دوليةٍ وتحاولَ إيجاد فرص لكي تكون مشتركة في صناعة القرار الدولي ومن بين هذه الدول هي الهند التي تمتلك مقومات لأداء دورٍ دولي تتمثل بمقومات سياسية كونُها أكبرَ ديمقراطيةٍ في العالم ومقومات اقتصاديةً تتمثل في النجاح الإقتصادي الذي حقّقته منذ بداية القرن الحالي ومقومات عسكرية بما تمتلكه من أسلحة تقليدية وترسانة نووية وهذه كلُّها تَدْعَمُ توجهات الهند الخارجية التي أخذت بالتزايد في الآونة الأخيرة وتَعَزَّزَ ذلك من خلال إيجاد الهند قنواتٍ لدورها الدولي تمثلت بعضويتها في التجمعات الإقليمية والدولية والشراكات معَ القوى الكبرى.

Abstract

The current century has witnessed rise of regional powers that have determinants to play an important international role and trying to find opportunities to be involved in international decision-making. One of these is India which has determinants to play an important international role with political assets as the largest democracy of the world, economic determinants such as the economic successes since the beginning of the century,and military determinants with its conventional wepons and nuclear arsenal. All of these support India's forgien tendencies which has been increased recently and this is reinforced by the establishment of India means for its international role represented in the regional and international groupings, and its partnership with major powers.

المُقـدمــة:

تُعَدُّ الهندُ من الدول التي حققت إنجازاً نوعياً على مختلف الصُعُدِ السياسية والإقتصادية والعسكرية فبَعْدَ أن ظهرت الى حيز الوجود عام 1947 استطاعت بناء تجربة ديمقراطية في الحكم فضلاً عن تحقيقها طفرات اقتصادية مكّنتها من الوصول الى مصاف الدول الكبرى في هذا المجال ومنافسة القوى الإقتصادية الأخرى في القارة الآسيوية كالصين واليابان، وفي السياق ذاته استطاعت من الدخول الى النادي النووي بعد إعلانها إمتلاكَ القنبلة النووية عام 1997، هذه الإنجازات التي حققتها الهندُ تُعَدُّ مقوماتٍ لدور هندي بَدَأَ يَنْضَجُ على الصعيدين الإقليمي والدولي ويذهب العديدُ الى وصفها بالقوى الصاعدة او البازغة الى جانب دول أخرى كالبرازيل والصين التي استطاعت الى جانب روسيا وجنوبي إفريقيا من تأسيس تجمع (بريكس) في مسعى منها الى ممارسة دور أكثرَ فاعلية.

تأتي أهمية البحث من دراسة دور إحدى القوى الإقليمية التي ظهرت في السنوات الماضية والتي بدأت تزاحم القوى الآسيوية الأخرى كالصين فضلاً عن ان التوقعات تشير الى ان الهند ستكون احدى أهمِّ القوى الاقتصادية الكبرى في العالم خلال العقدين المقبلين كما تأتي أهمية البحث من خلال دراسة السياسة الخارجية الهندية وعلاقة الهند الإقليمية والدولية وتأثير ذلك في فاعلية الدور الهندي.

يقوم البحثُ على فرضية مفادُها أَن القرنَ الحالي شَهِدَ صعودَ قوىً إقليميةٍ بدأت تتمتع بمقومات لتأدية إدوار دولية وتحاول ايجاد فرص لها لكي تكون مشتركة في صناعة القرار الدولي ومن هذه الدول هي الهند التي اخذت تمارس دوراً واضحاً إقليمياً ودولياً سواءاً بمفردها ام من خلال اشتراكها مع دول أخرى وهذا الدورُ سيجعلها إحدى القوى الدولية إذا إِستمر منحى تقدمها السياسي والاقتصادي والعسكري بالصعود.

ويحاولُ البحثُ الإجابةَ عن التساؤلات التالية:-

ما مقومات الدور الهندي؟ وما مدى فاعليتها في اداء الهند لدور اقليمي ودولي بارز؟، ما توجهات السياسة الخارجية الهندية؟ وكيف أثّرت في علاقاتها الإقليمية والدولية؟، ما قنواتُ الدور الهندي؟ وكيف تؤثر في صياغة سياسة خارجية فعَّالة تُمَكِّنُها من الوصول الى مصاف القوى الكبرى؟

وللتحقق من الفرضية والإجابة على التساؤلات تمَّ تقسيمُ البحثِ الى ثلاثة مباحث،

تَناوَلَ المبحثُ الاولُ مقوماتِ الدور الهندي، أمَّا المبحثُ الثاني فقد تناولَ السياسةَ الخارجيةَ في دراسة لتوجهاتها وأهدافها في حين جاء المبحثُ الثالثُ لدراسة قنوات الدور الهندي النظام الدولي.

المبحث الأوَّل: مُقَوِمَات الدور الهندي

يعتمد دور الدولة خارجيا على مجموعة من المقومات التي تُمكّنُ الدولةَ من أداء أدوارها وتُحدِّدُ هذه المقوماتُ شكلَ الدور وطبيعتَه وفاعليتَه ولذلك تسعى الدولُ الى زيادة مقومات قوّتِها باختلاف أنواعها من أجل البقاء والاستمرار اولا، ومن اجل تطوير سياستها الخارجية وزيادة فاعلية ادوارها ثانيا، لذلك ومن الطبيعي عند دراسة دور اقليمي او دولي لدولة ما التطرّقُ الى مقومات هذا الدور، وهنا سنبيّنُ مقوماتِ الدور الهندي من اجل التعرف على طبيعة هذه المقومات التي مكّنت الهندَ من انَ تنافس القوى الآسيوية الأخرى، وسيتطرق البحثُ الى دراسة ثلاثة مقومات للدور الهندي هي المقومات السياسية والمقومات الاقتصادية والمقومات العسكرية.

اولاً: المقومات السياسية

تعدُّ الهند التي نالت استقلالها عام 1947 بعد حركة الكفاح من اجل الاستقلال بالمقاومة غير العنيفة اكبر ديمقراطية برلمانية في العالم على غرار النموذج البريطاني، اذ يتكون البرلمان الهندي من مجلسين: يعرف المجلس الادنى بإسم (لوك صابحا) وتَعنِي مجلسَ الشعب إذ ينتخب الشعب الهندي أعضاء هذا المجلس بالاقتراع المباشر ويَحِقُّ لكل شخص -أتمَّ 18 عاما- التصويتُ لاختيار هذا المجلس لمدة خمس سنوات ويتألف المجلس من 545 عضوا يتمُّ انتخابُهم في دوائر انتخابية موزّعة على انحاء الدولة الهندية كافة، أمَّا المجلس الأعلى فيعرفُ باسم (راجيا صابحا) وتعني مجلسَ الولايات ويتألف من 250 عضوا يتمُّ انتخابُهم من اعضاء المجالس التشريعية على مستوى الولايات، ويكونُ إقرار القوانين او التشريعات في الهند عبر تقديم مشروع قانون يناقشه كلا المجلسين ومن ثم التصديق من رئيس الدولة، وهذا الأخير على غرار ما هو موجود في بريطانيا يمتلك صلاحيات شكلية بينما تكون السلطةُ التنفيذية بيد رئيس الوزراء [1].

(1) محمد ضياء الحق واخرون، الهند عوامل النهوض وتحديات الصعود، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، 2010، ص30.

وبالنظر لتعددية الشعب الهندي من الناحيتين القومية والدينية فقد اعتمدت الهند النظام الاتحادي (الفيدرالي) وتعزز هذا النظام مع تحديد الولايات على اساس اصول لغوية ودينية مما أدَّى الى زيادة عدد الولايات الهندية والغاء البعض منها وفقا لصلاحيات البرلمان الذي جعل من الهند دولة فيدرالية الشكل مع ميل قوي

نحو المركزية وتجسيد ذلك من خلال الصلاحيات التي منحها الدستور للسلطة المركزية لحل المشكلات السياسية والاقتصادية التي تواجه البلاد، فضلا عن اعتماد الشكل الاتحادي كحل لموضوع التعددية القومية والدينية فقد تبنَّى الدستورُ الهنديُّ العلمانيةَ هُويَّةً للدولة للحفاظ على وحدة الشعب الهندي او لتقليل حدة المشكلات الداخليةَ التي تَحْدُثُ بين الأقليات وهذا يرجع الى الرئيس الأسبق (جواهر لال نهرو) عندما أعلن عام 1948 تبنِي الدستور لهذه المواد لكي تكون الهند ارضاً لجميع الديانات وبالتالي ابتعد الدستور الهندي وفقا لهذا المبدأ عن منح امتيازات خاصة او معاملة مميزة لديانة معينة على حساب ديانة اخرى[2].

(2) ستار جبار علاي، التجربة الهندية اكبر ديمقراطية في العالم، العربي للنشر والتوزيع، القاهرة، 2017، ص65.

لقد أضفت التجربةُ الديمقراطية في الهند عاملاً مُهمَّاً في دعم الاستقرار السياسية، فالتعددية الدينية واللغوية في الهند أحدثت مشاكلَ عديدةً في المجتمع الهندي وأدخلت البلادَ في حروب داخلية بين المكونات، كان أبرزها ما حصل بين الهندوس والمسلمين والتي نَتَجَ عنها تقسيمُ شبه القارة الهندية الى دولتين، إحداهما الهند ذات الأغلبية الهندوسية وباكستان الدولة التي ضمَّت المسلمين، فالتجربة الديمقراطية نتج عنها استقرارٌ سياسيٌّ من خلال الإحتكام الى صناديق الاقتراع في حل جميع القضايا والسبيل الأمثل لإقناع كل مكونات المجتمع من خلال الصيغ التمثيلية في البرلمان ومجلس الولايات، فعلى مستوى البرلمان تكوَّنَ مجلسُ الولايات من أعضاءٍ ينتخبهم مجالسُ الولايات في الأقاليم وهو ما يوفر فرصة لتمثيل كل الأقليات داخل البرلمان لا سيما ان الولايات مقسمة على اساس عرقي وديني. ان التجربة الديمقراطية في الهند تعود في جانب منها الى الاستعمار البريطاني إذ ان المشاركة السياسية وتحديدا المشاركة في الانتخابات قد حدَّدتها سياسةُ بريطانيا القائمةُ على اساس مستوى الفرد المعيشي من خلال ما يدفعه صاحبُ الارض من عائد او ايجار، ففي عام 1932 ارتأت لجنةٌ مختصةٌ قامت بجولات على مناطقَ مختلفةٍ بمنح الطبقة العليا من الفلاحيين (ممن يتمتعون بأعلى مستوى معيشي بين أقرانهمٍ) حقَّ التصويت في الانتخابات. وهذا الأمر جَذَّرَ موضوعَ الديمقراطية في المجتمع الهندي وبالتالي أعطى دافعاً للآخرين للوصول الى مستوى يُمكّنهم من التمتع بمثل هذه الحقوق السياسية. وبالنهاية جاء اعتماد النظام الديمقراطي في الهند بعد الاستقلال كحالة غير جديدة او بالأحرى لم تواجه مشكلة بالتطبيق كونها قد مارسها جزء من عامة الناس في المجتمع الهندي [3].

(3) ديتمر روذرموند، الهند: نهضة عملاق اسيوي، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، 2008، ص25.

ان وجود دستور دائم في الهند (والذي يعدُّ اطول وثيقة دستورية) يتبنّى النهج الديمقراطي في الحكم فضلا عن ظهور شخصية القائد الكارزمي تجسدت

بشخص (جواهر لال نهرو) الذي ثبت دعائم النظام الهندي أعطى للبلاد حالة الاستقرار وتجاوزت الهند مرحلة الاقتتال الداخلي وسادت حالةُ الاستقرار الداخلي سياسيا واجتماعيا وانعكست بصورة ايجابية على الاداء السياسي للدولة الهندية خارجيا وبالتالي يعدُّ هذا الامرُ أحد مقومات الدور الهندي خارجيا والذي بدأ يتزايد بعد ان استطاعت الهند تجاوزَ جزء كبير من مشاكلها الداخلية ما يتعلق بالفقر والتضخم وغيرها من المشكلات ذات البعد الاقتصادي والاجتماعي، وبالتالي فإن الديمقراطية واستقرار النظام السياسي كانا مصدراً لقوة الهند الناعمة وأحد أهمِّ مقومات الدور الهندي إقليميا ودوليا.

ثانيًا: المقومات الإقتصادية

بعد استقلال الهند عام 1947 أرسى رئيس الوزراء الهندي (جواهر لال نهرو) ديمقراطية ممزوجة بالقيم الاشتراكية، اذ كان (نهرو) من المتأثرين بالاشتراكية الفابية وعلى هذا الاساس صاغ النموذج التنموي للهند القائم على دور الدولة الفاعل الرئيس في ادارة النشاط الاقتصادي وبناء نموذج الاقتصاد الموجّه والسعي الى الاكتفاء الذاتي ووضع قيود حمائية على الاقتصادات الصغيرة، وهو ما ضمن تكوين بيروقراطية ذات تدريب جيد مكّنت النظام الحاكم من ادارة العمليات الصناعية والتحديثية والتنموية، واستمرت الهند بالعمل بالاقتصاد المخطط الذي تراوح بين الركود والانتعاش خلال الحقبة الممتدة من بداية خمسينيات القرن الماضي وحتى نهاية الحرب الباردة حيث شهدت الهند خلال هذه المدة خططا وسياسات قائمة على ادارة الاقتصاد من خلال تحقيق الاكتفاء الذاتي، الا ان عقد الثمانينيات من القرن الماضي شهد ازمة ميزان المدفوعات لتضطر الهند اللجوء الى المؤسسات الاقتصادية الدولية للحصول على القروض اللازمة لتحسين الوضع الاقتصادي[4].

(4) ستار جبار علاي، مصدر سبق ذكره، ص-95ص99.

لقد ادى إتّباع سياسات التخطيط المركزي الى مشاكلَ اقتصاديةٍ عدّة على المستوى الكلي كارتفاع معدل التضخم الذي وصل الى 17% عام 1991 وفي العام ذاته اصبح 330 مليون هندي يعيشون تحت خط الفقر فضلا عن انهيار الموارد المالية للحكومة أوصل البلدَ الى الإفلاس واوقفت المصارف الاقراض للهند وهبط احتياطي الصرف الاجنبي الى مستويات لا يكاد يفي الا بتكلفة اسبوعين من واردات النفط وازاء هذا الوضع الاقتصادي المحرج اتخذت الحكومة الهندية اجراءات حاسمة تمثلت في سياسة الانفتاح الاقتصادي وتحرير الاقتصاد ولحاجة الهند الى النقد الاجنبي فقد تمَّ تخفيض العملة الهندية بأكثر من 9% في محاولة لتشجيع التصدير وبعد ذلك بأيام قليلة تمَّ تخفيض العملة مرة اخرى بحوالي 11% ليصل التخفيض بواقع

20% امام الدولار الأمريكي فضلا عن القيام باجراءات تتضمن الانفتاحَ الاقتصادي كازالة بعض الحواجز على دخول السلع المستوردة مثل اجراءات التراخيص وغيرها للتخلص من الروتين والفساد كما شملت هذه الإجراءات خفض الضرائب من 56 % الى 40 % عام 1993[5].

(5) روبين ميريدين، الفيل والتنين، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 2009، ص 57 – ص58

لقد كان لهذه السياسة نتائج ايجابية على الاقتصاد الهندي اذ ارتفع معدل النمو الاقتصادي وبدأت الشركات تستقطب العاملين وهو امر انعكس على خفض معدلات الفقر وانخفاض معدل التضخم والدين كما ارتفع حجم العملات الاجنبية، فبعد ان كان معدل النمو الاقتصادي خلال المدة من 1980 – 2000 بنحو 6 % ارتفع بعد عام 2000 ليصل الى 8,6 % وخلال السنة المالية 2007 قفز المعدل الى 9,4 % وفي عام 2008 تراجع معدل النمو الاقتصادي الى 7,8 % واستمر بالانخفاض عام 2009 اذ هبط الى 6,7 % ويرجع ذلك الى الركود الذي صاحب الازمة المالية العالمية التي أثَّرت في الاداء الاقتصادي الكلي وهو ما دفع الحكومةَ الهنديةَ الى التفكير في ايجاد حلول للخروج من حالة الركود كما زادت الصادرات الهندية من 100 مليون دولار عام 1990 -1991 الى نحو 100 مليار دولار عام 2007 بزيادة تقدر نسبتها 30% من قيمة الناتج المحلي الإجمالي ووصل معدل الصادرات الهندية في عام 2008-2009 الى ما نسبته 28 % من اجمالي الناتج المحلي[6] وفي السنوات الخمس الأخيرة شهد الناتجُ المحلي الإجمالي ارتفاعاً مستمراً وصعوداً يعطي قوه للاقتصاد الوطني فضلا عن إمكانية منافسة الدول الاخرى كالصين واليابان وحتى الولايات المتحدة التي اخذت تخشى منافسة القوى الصاعدة (انظر الجدول 1)

(6) محمد ضياء الحق وآخرون، مصدر سبق ذكره، ص 77

جدول (1)

الناتج المحلي الإجمالي للهند للمدة 2012 الى 2017(بالعملة الوطنية)

ت	السنة	الناتج المحلي الإجمالي
1	2012	58,998.500
2	2013	61,565.416
3	2014	64,901.143
4	2015	69,024.592
5	2016	73,496.526
6	2017	78,384.026

المصدر: الجدول من إعداد الباحث استناداً الى: موقع صندوق النقد الدولي على الانترنت من خلال الرابط:
http://www.imf.org/external/pubs/ft/weo/2014/01/weodata/weorept.aspx?pr.x=38&pr.y=10&sy=2012&ey=2017&scsm=1&ssd=1&sort=country&ds=.&br=1&c=534&s=NGDP_R&grp=0&a=

وبالرغم ان الهند دولة تمتلك قوة بشرية تمكنها من ان تكون منتجة للسلع ذات الاستخدام الكثيف لليد العاملة (وهو ما تنص عليه نظرية هيكشر – اولين) إلَّا أنها تُنتجُ ثروة ضخمة في صناعة التكنلوجيا المتقدمة والخدمات إذ وفّرت من خلال قطاع صغير من القوى العاملة المدربة على درجة عالية من التدريب والكفاءة ومع ذلك فان الانتاج في قطاع الصناعات التكنلوجية المتقدمة يعدُّ انتاجاً عالي الكثافة في رأس المال كما تمكنت الهند من صناعة برنامج فضائي فعال تمكنت من خلاله ارسال قمر صناعي الى المريخ بداية القرن الحالي [7].

(7) جوزيف ناي، حل انتهى القرن الامريكي،ترجمة محمد ابراهيم العبد الله، العبيكان للنشر، الرياض، 2016، ص41.

كما ينشط قطاع الخدمات الذي تتوزع انشطته على التخزين, الاتصالات والتمويل فضلا عن الخدمات الحديثة التي بدأت بالظهور كالإعلان وادارة التسوق ويقوم هذا القطاع بتزويد قطاعي الزراعة والصناعة بالدخل الاساس فهي تعتمد على الكفاءة في عمليات هذا القطاع وأساليب ادارته، ويتفوق هذا القطاع على القطاعات الرئيسة الاخرى في الاقتصاد الهندي حيث يساهم بما يعادل 40% من الناتج المحلي الإجمالي كما انه يساهم في توفير فرص عمل على نطاق واسع وهو ما انعكس بشكل واضح على النمو الاقتصادي اذ ان قطاع الخدمات يعدُّ الاكثر تأثيراً في تحقيق معدلات النمو الاقتصادي الشامل متزامناً مع نظيره العالمي إذ ان قطاع الخدمات عالمياً يمثل 70% من الناتج الإجمالي العالمي مقابل 17% للقطاع الصناعي وبالرغم من تفوق هذا القطاع في الهند مع الاخذ بنظر الاعتبار انها من الدول الصاعدة فانه لا يمكن القول ان ذلك يعني تحقيق نمو بدون تنمية[8].

(8) انس رياض جواد، تاثير القوى الصاعدة على المكانة العالمية للاقتصاد الامريكي، رسالة ماجستير غير منشوره، كلية العلوم السياسية، جامعة النهرين، 2013، ص119

إن الارتفاع في مستوى الاداء الاقتصادي لا سيما ما يتعلق في الحفاظ على مستوى مستقر بمعدل النمو الاقتصادي والسعي الى ارتفاع هذا المعدل يساهم بشكل كبير في تقليل حجم المشكلات الاقتصادية، إذ ان ارتفاع معدلات النمو يؤدي بشكل مباشر الى تقليل معدلات الفقر وهذا الاخير يعدُّ من اكثر المشاكل التي تعاني منها الهند وتسعى الحكومات المتعاقبة للحد منه او تقليل معدلاته من خلال طرح استراتيجية لخلق فرص العمل في القطاعين الحكومي والخاص وزيادة معدل الاستخدام لا سيما ان الهند تشهد تزايداً مستمرا في عدد السكان الذي يجعلها أمام تحدٍ السيطرة على تأمين المواد الغذائية لتقليل معدلات الفقر وكذلك خلق فرص العمل لزيادة معدل الاستخدام وتقليل البطالة[9].

(9) جوزيف بوالو، الاقتصاد الهندي، ترجمة صباح ممدوح كعدان، الهيئة العامة السورية للكتاب، دمشق، 2011، ص76.

إنَّ الزيادة في معدل النمو الاقتصادي تقود كذلك الى زيادة محتملة في قوة الدولة الصلبة والناعمة على حد سواء، فالهند التي تُعدُّ إحدى الاقتصادات الصاعدة بفعل ارتفاع معدلات النمو فيها منذ حزمة الإصلاحات التي جرت عام 1991 استطاعت

ومن خلال المزج بين هذا التسارع في النمو والسياسة الديمقراطية من الوصول الى مستوى قريب من الدول الأوربية والولايات المتحدة الأمريكية في مجال قوّتها الناعمة، لا سيما انها أسّست صناعة الصور المتحركة (بوليوود) هي الأكثر ضخامة في العالم وتنافس (هوليوود) في أجزاء من آسيا والشرق الأوسط وأمريكا اللاتينية[10].

(10) جوزيف ناي، القوه الناعمة، وسيلة النجاح في السياسة الدولية، ترجمة محمد توفيق البحيرمي، العبيكان للنشر، الرياض، 2012، ص135

إن التقدم الاقتصادي الذي شهدته في العقدين الأخيرين دفع بها الى محاولة ممارسة دور خارجي أكثرَ فاعلية لا سيما انها مرشّحة بأن تتجاوز اليابان على المستوى الاقتصادي اذ تحتلُّ المرتبة الرابعة خلف الولايات المتحدة والصين واليابان وهو ما يدفعها الى محاولة التقدم اكثر الى الأمام واداء ادوار خارجية متعددة الجوانب فضلا عن ذلك فإنها بدأت منذ عشر سنوات تقريباً بالسعي الى امتلاك ادوار سياسية دولية اكثر وضوحاً من خلال اشتراكها في تجمع دولي يضمُّ قوىً دوليةً كروسيا والصين الى جناب البرازيل وجنوبي افريقيا المعروف باسم (BRICS) في محاولة من هذه الدول كسر الإحتكار الأمريكي لصناعة القرار الدولي وانهاء التفرد الأمريكي في قيادة العالم.

ثالثًا: المقومات العسكرية

يُعدُّ العاملُ العسكري أحدَ أهم مقومات قوة الدولة واكثرها فاعلية على مستوى الاداء السياسي الخارجي، فالدول تسعى لتعظيم مقومات قوتها بشتى أنواعها الصلبة والناعمة من أجل زيادة قوتها داخليا وخارجيا لكنَّها في الوقت ذاته تعزّزُ بالدرجة الاولى والاساس قدرتها العسكرية (التقليدية والنووية) من اجل زيادة فاعليتها خارجيا وتأثيرها في غيرها من الدول.

تُعدُّ الهندُ من بين الدول التي إستخدمت العاملَ العسكري بصورة مباشرة في تحقيق أهدافها الخارجية لاسيما على المستوى الإقليمي ساعدها في ذلك بالدرجة الاساس هو مواردها البشرية الكبيرة نسبيا والتي ساهمت في إنشاء قوات مسلحة ضخمة قادرة على الحفاظ على أمنها القومي، فهي تحتفظ بثالث أكبر قوة عسكرية في العالم والتي تتكون من الجيش الهندي والقوات البحرية والقوات الجوية وهناك ما يسمى بالقوات المساعدة مثل قوات شبه عسكرية، وحرس السواحل، وقيادة القوات الاستراتيجية كما انها أبرمت اتفاقيات تعاون ومعاهدات دفاع مع اكبر موردي الأسلحة في العالم وهم كل من روسيا وفرنسا وإسرائيل[11].

(11) انس رياض جواد، مصدر سبق ذكره، ص137.

ولقد استطاعت الهندُ من تحقيق تقدم عسكري بالاعتماد على الذات انطلاقاً من

مبدأ تقليل الاعتماد على الخارج في واردات السلاح حيث طورت منظمة ابحاث الدفاع والتنمية العديد من الأسلحة المعقدة بما فيها الصواريخ البالستية وطائرات مقاتلة ودبابات حربية، كما انها في الوقت ذاته عمدت إلى تطوير ابحاث الفضاء حيث استطاعت سنة 2000 من اطلاق قمر صناعي يزن 2000 كيلوغرام باستعمال صاروخ هندي حيث كان ذلك كافيا لدفع صاروخ بالستي عابر للقارات ليصل الى مسافة 8000 كيلومتر حيث ان هكذا نوعاً من الأبحاث يتضمن بلا شك استعمالات مزدوجة من خلال الخبرة المتراكمة في تصنيع محركات الصواريخ المدنية التي تستعمل الوقود الصلب والسائل اضافة الى تشكيل مخروط المقدمة الذي يسمح بدخولها الى الغلاف الجوي ونقل هذه الخبرة الى تقنية الصواريخ العسكرية حتى ان القنبلة النووية الهندية كان قد تمَّ تطويرها بالكامل من مهندسين مدنيين[12].

(12) ديتمر روذرموند، مصدر سبق ذكره، ص105 – ص116

جدول (2)

حجم القوات العسكرية الهندية

نوع	العدد	السنة
الإنفاق العسكري	48.000.000 مليار دولار	2012
نسبة الأنفاق العسكري من GDP	2.6	2011
الموانئ الرئيسة والمحطات	7	2011
حاملات الطائرات	1	2011
مدمرات	8	2011
غواصات	15	2012
الدبابات	5.000	2011
ناقلات الجنود المدرعة IFVS	3.000	2011
المدفعية	10.000	2012
قذائف الهاون	5.000	2012
الطائرات	2462	2011
طائرات هيلكوبتر	8408	2012

المصدر: نقلاً عن: انس رياض جواد، تأثير القوى الصاعدة في المكانة العالمية للاقتصاد الامريكي، رسالة ماجستير غير منشوره،كلية العلوم السياسية، جامعة النهرين، 2013، ص133.

كما استطاعت الهند من اجراء تجاربها النووية عام 1998 واعلانها امتلاك القنبلة النووية في اجراء لتعزيز مكامن قوتها العسكرية فهي تمتلك ما يقارب 90 – 100 رأساً نووياً على الرغم من إعلانها انها لن تستعمل قنبلتها النووية لتوجيه ضربة اولى وحتى الضربة الثانية الانتقامية وستأخذ بعض الوقت وفقا للظروف السائدة[13].

(13) جوزيف ناي، هل انتهى القرن الامريكي، مصدر سبق ذكره، ص41

ان دولة بحجم الهند بما تتوافر عليه من قوى عسكرية يصل انفاقها العسكري الى 50 مليار دولار بما يعادل 3% من الإجمالي العالمي فضلا عن جيش يبلغ تعداده 1,3 مليون نسمة تسعى باستخدام هذه القوة في الحفاظ على امنها القومي بوصفها وسيلة ردع فضلا عن ارتفاع التأثير في الآخرين (ولاسيما محيطها الإقليمي) كي تتمكن من ابعادها عن المنافسة الاقليمية وتهديد مصالحها الاقليمية والامن القومي مثل باكستان والصين.

المبحث الثاني: أهداف توجهات السياسة الخارجية الهندية

تهدف الهند بما تمتلكه من مقومات قوة الى الوصول الى مصاف القوة المؤثرة والفاعلة في النظام الدولي لاسيما انها شهدت منذ سنوات عدة تطوراً ملحوظاً في مقدراتها الاقتصادية والتكنولوجيا والعسكرية والبشرية (كما ذكرنا في المبحث الاول) وهو ما جعل العديد من الباحثين والمراقبين يصفون المرحلة القادمة بانها حقبة القوى الصاعدة وتحديدا (الصين والهند) لما شهدته هاتين الدولتين من معدلات نمو متسارع، هذا النمو والتقدم على مستوى قدرات الهند لا بدَّ ان ينعكس على مستوى الاداء السياسي الخارجي وهو ما حصل بالفعل حيث استطاعت الهند من اداء ادوار خارجية اكثر فاعلية وعبر مختلف الصعد الاقليمية والدولية وبالتالي فان السياسة الخارجية الهندية شهدت اهدافاً وتوجهات جديدة بناءا على التطور الحاصل في مستوى امكاناتها وهو ما **سنبيّنه** خلال هذا المبحث وبالشكل الآتي:-

اولاً: التحرك على المستوى الاقليمي من خلال بناء علاقات ايجابية مع الدول الصغرى منها (حجما وقوة) في المنطقة وقد اتخذ هذا الامر جوانب عدة، فقد عملت على تجديد مخاوف هذه الدول منها بوصفها الدول الكبرى في المنطقة وتجسد السعي الهندي في إعلان مبدأ جوجرال عام 1996 الذي يقول: إن الهند لن تكون قادرة علي شغل مكانتها في العالم دون السلام والاستقرار في جنوبي آسيا مما يتوجب عليها الانفتاح على جيرانها دون مطالبتهم بالمثل وفي السياق ذاته وتجسيدا لهذا المبدأ وقفت الهند على اتفاقيه تقاسم مياه نهر الجانج مع بنغلادش عام 1996[14].

(14) ستار جبار كلاب، مصدر سبق ذكره ص157.

كما سعت الهند الى استخدام الأدوات الاقتصادية أداةً لتحقيق سياسة خارجية فعالة تمثلت في تقديم المعونات لاسيما الى دول جوارها (الاقليمي والدول الآسيوية التي ترتبط معها في مصالح استراتيجية وكذلك تقوية علاقاتها التحالف مع هذه الدول حيث عمدت الهند في هذا السياق الى منح افغانستان اكثر من 1.3 مليار دولار كمساعدات لإعادة البناء منذ عام 2001 بناء مشاريع خدمية تتمثل بالمشافي وبناء الطرقات وإقامة مشاريع انتاج الطاقة وغيرها[15]، وهي في هذا الاطار تسعى لقطع الطريق على القوى الاخرى المنافسة لها كالصين التي تسعى الى اقامة علاقات ودية وجيدة مع الدول الآسيوية في منطقة جنوب آسيا وآسيا الوسطى وكذلك تسعى الهند الى التفوق في صراعها المستمر مع باكستان من خلال محاصرتها اقليميا عبر اقامة علاقات تحالفية مع دول جوارها كافغانستان التي تعدُّ دولة مسلمة لكنها اقرب الى الهند من باكستان.

(15) كريستيان بارينتي، الفوضى الجديدة تغير المناخ والجغرافيا الجديدة للعنف، ترجمة سعد الدين غرفان، المجلس الوطني للثقافة والفنون والاداب، الكويت، 2014، ص148.

ثانيًا: تبني سياسة الانفتاح والخروج من حاله العزلة التي مرت بها الهند نسبيا منذ استقلالها طوال مدة الحرب الباردة، حيث سعت الهند خلال تلك المدة الى الحصول على استقلالها عن الكتلتين الكبيرتين وتمكنت بالفعل من تكوين كتلتها الخاصة وهي تحالف عدم الانحياز الذي كان الملجأ للدول الاخرى التي أرادت ان تبقى بعيدة عن الحرب الباردة وكان الدافع الاكبر وراء تبني الهند لسياسة الحياد خلال تلك المدة هو العقيدة الاشتراكية اقتصاديا والمعتقدات الديمقراطية سياسيا التي تبناها قادة الهند انذاك، لكن بعد انتهاء الحرب الباردة ومع النمو المتسارع الذي شهدته الهند بعد تجاوزها مشكلاتها الاقتصادية فإنها بدأت بانتاج سياسة الانفتاح على الدول الاخرى وتكوين علاقة معها والمشاركة في المحافل الاقليمية والدولية فضلا عن محاولاتها كسر الجمود مع بعض الدول التي تعد منافسا لها والسعي لإيجاد مخارج للأمور التي تثير الازمة معها ولذلك سعت الى تفعيل الجوانب التعاونية في علاقاتها مع هذه الدول وتجاوز الموضوعات الخلافية كما حصل مع الصين[16]، فضلا عن ذلك فإنها سعت الى الحصول على اعتراف الولايات المتحدة الامريكية بالتهديد الذي يمثله الارهاب للامن العالمي بشكل عام والاقليمي على وجه الخصوص لاسيما في منطقة الحدود الافغانية - الباكستانية بغية دفع الولايات المتحدة الى تغيير سياساتها حيال باكستان وهو ما يعدّ دعما للعمليات العسكرية الامريكية في افغانستان وبالرغم من ان هذا الدعم للدور الامريكي يمكن ان يؤدي الى وجود عسكري امريكي طويل الامد في منطقة جنوبي آسيا الا ان الهند لا تتردد في الوقت ذاته ان تتعاون مع قوى دولية واقليمية اخرى كروسيا والصين وايران

(16) نوح فلدمان، الحرب الهادئة، مستقبل التنافس العالمي، ترجمة هشام سمير، تكوين الدراسات والابحاث، لندن، 2016، ص155 ـ ص156.

سعيا وراء ترتيب مصالحها في المنطقة[17]، وهذا ما يؤكد تبنيها لسياسة الانفتاح والعمل على تحقيق التوازن في علاقاتها ولكن بصورة اكثر فاعلي وبعيداً عن سياسة الاكتفاء التي تبنتها خلال مرحلة الحرب الباردة.

ثالثًا: تسعى الهند الى استثمار مقومات قوتها الاقتصادية والبشرية في إقامة علاقات مع الدول الصناعية الكبرى وفتح ابوابها أمام الاستثمار المقبل من الخارج وفي هذا الإطار اخذت تنافس الصين لاسيما إنها تمتاز بمجتمع شاب مقابل مجتمع هرم تتمتع به الصين فضلاً عن اصلاحات آخذة بالتزايد والاستمرار تعمل على تحقيقها وهو ما يؤشر إلى صعود صين ثانية في منطقة جنوبي آسيا والوصول الى قناعة أن الهند في مركز خدمي ثانٍ بعد الصين فضلاً عن أنها تتمتع بسوق مشابهة لسوق الصين نظرا لكثافها السكانية وتقارب المستوى المعيشي فضلا عن ذلك في هذا المجال تسعى الهند الى تخفيض العجز التجاري مع الصين والارتقاء بالمستوى الاقتصادي من اجل تحقيق المنافسة الاقليمية واداء ادوار تتناسب مع حجمها كثاني كتلة بشرية في العالم بعد الصين[18].

رابعًا: تسعى الهند الى اداء دور الفاعل الرئيس في منطقة جنوبي آسيا لاسيما ما يتعلق بالترتيبات الأمنية والسياسية اذ تُعِدُّ نفسَها مركز النظام الإقليمي الذي يفرض على الدول الأخرى في النظام ان يكون سلوكها مشجعا مع الدور الإقليمي للهند كقوة كبرى وبالتالي فان سلوك هذه الدول ينبغي ان يكون سلوكاً مكملاً لأمنِها ومعززاً لموقعها الإقليمي ولطموحها نحو لعب دور عالمي[19]، كما انها تُعَدُّ احدى الدول المؤسسة لمنظمة جنوبي آسيا للتعاون الإقليمي (سارك) عام 1985 والتي كان الهدف من تأسيسها تعزيزَ سبل التعاون الإقتصادي وتوطيد السلم في منطقة جنوبي آسيا ودفع عجلة التنمية في إقليم يُعدُّ من أفقر الأقاليم في العالم وفي هذا السياق فان الهند تُعدُّ إحدى أكبر الدول على الصُعُد كافة واكثرها تقدما ولذلك ترى ان تفعيل دورها في إطار هذا التجمّع يعطي أهمية كبرى ودوراً أكثر فاعلية على المستويين الاقليمي والدولي، كما استغلت الهند انفتاحَ دول منظمة شنغهاي للتعاون[20] على الدول الاخرى في آسيا للدخول الى المنظمة بصفها مراقباً عندما تبنّى قادة المنظمة سياسة الانفتاح عام 2002 حيث دخلت الهند عضويةَ المنظمة بصفة مراقب (وتمتعت بالعضوية الكاملة بعد ذلك) من اجل زيادة فاعلية دورها الإقليمي خارج اقليم جنوبي آسيا والتحول نحو دول آسيا الوسطى حيث يزداد الدور الصيني الذي يعدُّ المنافس الأكبر للهند في القارة الآسيوية الى جانب روسيا التي تتمتع بعلاقة وشراكة استراتيجية مع الصين لاسيما في اطار منظمة شنغهاي[21].

(17) سيدهارت فاراداراجان، الهند: التهديدات العالمية والبحث عن قضاء استراتيجي، في جرايمي هيدر (محررا)، القوى العظمى والاستقرار الاستراتيجي في القرن الحادي والعشرين رؤى متنافسة للنظام العالمي، مركز الامارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية، ابو ظبي، 2013، ص278.

(18) جان جوزيف بوالو، مصدر سبق ذكره، ص112.

(19) عبد القادر دندن، الادوار الاقليمية للقوى الصاعدة في العلاقات الدولية، مركز الكاتب الاكاديمي، عمان، 2015، ص25.

(20) منظمة شنغهاي للتعاون تأسست بشكل رسمي عام 2001 وتضم ست دول هي روسيا، الصين، كازاخستان، قيرغيزستان، طاجيكستان، اوزبكستان، وانظمت اليهم كل من الهند وباكستان عام 2017.

(21) مدحت ايوب، العلاقات الاسيوية في اطار منظمة شنغهاي، هدى ميتيكس (محررا)، العلاقات الاسيوية – الاسيوية، مركز الدراسات الاسيوية، جامعة القاهرة، 2007، ص233.

خامسًا: توجّه الهند الى بناء تفاهمات استراتيجية اقليمية وعالمية تؤدي الى إيضاح المركز السياسي للهند، ففي عام 2000 اعلن (جورج فرناندیز) وزير الدفاع الهندي ان منطقة مصالح الهند تمتد الى حوالي 11200 كيلومتر تمتد من سواحل استراليا الى سواحل الخليج العربي سيعمل فيها الاسطول الهندي لتامين مصالح الهند، وعلى المستوى الدولي فانها تعمل على بناء ثلاثة خطوط رئيسة للتفاهمات الاستراتيجية تتمثل بالتقارب والتفاهم الاستراتيجي مع كل من الولايات المتحدة الامريكية والاتحاد الاوروبي وروسيا والاتجاه شرقا نحو اليابان ودول شرق آسيا وكذلك التقارب مع الصين في مسعى منها بتجاوز الخلافات وتقوية اواصر الابعاد التعاونية الثنائية، في الوقت ذاته فإنها تسعى الى الحصول على مقعد دائم في مجلس الأمن من خلال الدعوة الى إصلاح الامم المتحدة بزيادة عدد الاعضاء الدائمين في مجلس الامن وهو مطلب دول اخرى كالمانيا واليابان والبرازيل وهو الامر الذي عبّرت عنه الهند لاول مرة في عام 1993 على لسان سكرتير الخارجية الهندية (ديكسيت)، وفي عام 2001 اكد الرئيس الفرنسي الاسبق (جاك شيراك) تاييد بلاده لطلب الهند ان تكون عضوا دائما في مجلس الامن الموسّع كما أيَّدت روسيا هذا الطلب في حين ما زال يصطدم بالتحفظ الأمريكي والبريطاني وهو ما تحاول الهند تغييره من خلال توسيع قاعدة علاقاتها مع هذه الدول من جانب واظهار مقومات قوتها وزيادة فاعلية دورها الاقليمي من جانب آخر.[22]

(22) محمد السيد سليم، العلاقات الهندية الباكستانية، هدى مينكس (محررا)، العلاقات الاسيوية – الاسيوية، مركز الدراسات الاسيوية، جامعة القاهرة، 2007، ص39.

المبحث الثالث: قنوات الدور الهندي في النظام الدولي

تسعى الهند بوصفها قوة صاعدة الى ممارسة دور اكبر في النظام يدعمها في ذلك بالدرجة الاساس مقومات قوتها المادية التي سبق ذكرها لاسيما قوتها العسكرية ويأتي الدور الهندي الذي اخذ بالتزايد لاسيما من النجاحات التي حققتها الهند داخليا من خلال قنوات الهند الى تفعيلها ومن هذه قنوات هي دورها خلال التجمعات والمنظمات الاقليمية كالبريكس ومنظمة سارك ومنظمه شنغهاي فضلا عن علاقاتها مع القوى الكبرى من خلال بناء شراكات معها وذلك لادارة المصالح المشتركة مع هذه الدول لا سيما وانها تتمتع بصلات ايجابية مع اهم هذه الدول كالولايات المتحدة وروسيا وبدرجة اقل مع الصين رغم حالة التنافس الاقليمي القائمة بينهما، وعلى ذلك فان هذا المبحث سيتناول هذه القنوات للدور الهندي وكيفية استغلالها من الهند لممارسة دور اكبر في النظام الدولي فضلا عن تناول الفرص والتحديات لهذا الدور والتي تؤثر في مستقبله.

اولًا: الدور الهندي في التجمعات والمنظمات الإقليمية

تعدُّ الهند من الدول التي تشارك في منظمات اقليمية وتجمعات مع قوى اقليمية ودولية من اجل تعزيز التعاون الاقليمي في المجالات كافة فضلا عن الادوار الاخرى ذات البعد الدولي والتي تتجسد في سعي الهند لان تكون القوة الاقليمية الاولى في اقليمها ومنافسة للقوى الآسيوية الأخرى كالصين فضلا عن سعيها في ممارسة دور اكبر يعزز مكانتها الدولية والتي نشرتها الهند في عضوية هذه المنظمة والتجمعات (التي سنتناول أهمها والدور الهندي من خلالها).

1 - الهند ومنظمة شنغهاي للتعاون

في 9 حزيران 2017 اكتسبت الهند العضوية الكاملة في منظمة شنغهاي للتعاون، إذ تسعى الهند الى تعزيز الروابط مع دول آسيا الوسطى لا سيما انها لا تمتلك جذوراً او روابط جغرافية مباشرة مع دول هذه المنطقة التي تعدُّ من المناطق الغنية بالموارد واهمها موارد الطاقة لاسيما انها تعدُّ من الدول المستهلكة للطاقة وفي الوقت ذاته تعزيز فرصها في ممارسة دور اقليمي ومنافسة الدول الأخرى كالصين التي تعدُّ عملاق آسيا والحد من تأثيرها المتزايد في اوراسيا وكذلك توفر عضوية الهند في منظمة شنغهاي كبح جماح اي محاولة لباكستان في حشد دول المنظمة الى جانبها في صراعها مع الهند فضلا عن اقتراب الهند من دول آسيا الوسطى لتقليل تعاطف هذه الدول مع باكستان حول قضية كشمير وايصال قناعة لدى هذه الدول بأحقية الهند في هذا النزاع وكذلك تعبئة الرأي العام في منطقة آسيا الوسطى بأن باكستان تعدُّ إحدى الدول المنتجة للإرهاب في المنطقة وبالتالي تحقّق مكاسبَ مُهمَّة في هذا النزاع مع باكستان[23]، كما ان عضوية الهند في المنظمة يحقق أحد أهم أهداف سياستها الخارجية الا وهو ممارسة دور اكبر على المستويين الاقليمي والدولي، فعلى مستوى الاقتراب اكثر من منطقة آسيا الوسطى والذي من شأنه زيادة فاعلية الدور الهندي في منطقة مهمة من القاره الآسيوية والتي تعدُّ محط أنظار واهتمام القوى الكبرى، وعلى المستوى الدولي كذلك ان الدور الهندي في النظام الدولي يحتاج الى إبراز مكانة الهند بشكل اكبر لدى القوة الكبرى كالولايات المتحدة وروسيا والاستعانة بالهند في تحقيق مصالحها وأخذها بنظر الاعتبار كدولة صاعدة لها مكانة مهمة في النظام الدولي.

Parth sarthi suhag, Indias (23) membership in shanghai copertipn: an ppraisal, institute for defence studies and analyces (IDSA),2017,P2

إن قبول الهند في المنظمة لا يعني أنها ستكون القوة المهيمنة على المنظمة بعدّها قوة نووية إذ إن وجود روسيا والصين لا يسمح لها بذلك وانما جاء بناءَ اساسِ شراكة مع دول المنظمة والاعتراف بدور الهند المتنامي في معالجة العديد من القضايا لاً

سيما تلك المتعلقة بمنطقة آسيا الوسطى كالنمو الاقتصادي والطلب على الطاقة لا سيما ان الهند إحدى الدول التي تشهد ارتفاعاً في الطلب على مصادر الطاقة من النفط والغاز التي ارتفعت الى 7,1 % عام 2014 بنسبه تقدر 4,9 % من استهلاك الطاقة العالمي لا سيما ان التوقعات تشير الى ان الهند ستكون عام 2030 ثاني أكبرَ مستوردٍ للطاقة بعد الصين، وهو ما يعزّز الشراكةَ مع دول المنظمة بعدّها منتجة لمصادر الطاقة العالمية وإذا تمَّ الأخذُ بنظر الاعتبار أن منطقة بحر قزوين التي تسيطر عليها دول منظمة شنغهاي تضمُّ (48) مليار برميل من النفط و292 تريليونَ قدمٍ مكعبٍ من الغاز الطبيعي وهو ما يعزّز الشراكةَ مع دولة تستورد مصادر الطاقة مثل الهند.

إن التعاون بين الهند ودول المنظمة في مجال الطاقة يُمْكِنُ أن يوفّر فرصاً أفضلَ للهند وهذه الدول في مجال الطاقة مثل الشروع في استراتيجية موحدة للطاقة تركز على دفع مستمر لها وغير متقطع ومدّ خطوط أنابيب نقل الطاقة من هذه الدول الى الهند إذ يُمكِنُ ربطُ خطِ نابيبَ الى الهند من الخطوط بين الصين وكازاخستان وكذلك مد خطوط نقل الطاقة من روسيا الى الهند عبر بحر قزوين وإيران ومن اذربيجان الى الهند عبر بحر قزوين وتركمانستان وافغانستان وباكستان كذلك تُسهّل هذه الشراكةُ على تشكيل تحالف للطاقة بين هذه الدول في الأمور المتعلقة بالطاقة العالمية فضلاً عن تنفيذ مشاريعَ تنمويةٍ مشتركةٍ في مجالي التنقيب والإنتاج في منطقة بحر قزوين[24].

(24) Ngangom Dhruba Tara Singh, India's Shanghai cooperation Organization Membership: Looking Forward to Opportunities In the Caspian Region, center for air power studies (cops) forun for national security studies, 2016,p1.

إن فتح وتعزيز آفاق التعاون بين الشركاء في منظمة شنغهاي يعطي دفعة كبيره تُجاه تذليل العلاقات بين الصين والهند وكذلك تعزيز التعاون للقضاء على ظاهرة الإرهاب في آسيا الوسطى وإنهاء حالة الصراع وعدم الاستقرار في افغانستان وكذلك لتهدئة ومحاولة إيجاد الحلول للنزاع الهندي الباكستاني لا سيما وانهما أصبحتا جزءاً من هذه المنظمة فضلاً عن تعزيز دور الهند المتنامي إقليمياً ودوليا.

2 - الهند ومجموعة بريكس

يشير اسم بريكس الى الأحرف الاولى باللغة اللاتينية للدول الخمس التي أَسست هذا التجمعَ وهي البرازيل وروسيا والهند والصين وجنوبي أفريقيا إذ تمَّ الإعلان عن تأسيس هذه المجموعة في روسيا عام 2009 في اجتماع ضمَّ أربع دول هي روسيا، الصين، الهند البرازيل ومن ثم انضمت اليهم جنوبي افريقيا عام 2010 وكان تأسيس هذه المجموعة يهدف الى بلورة رؤية مشتركة بشأن إقامة تجمع دولي عابر للقارات

يسعى الى الدفاع عن حقوق دول هذه المجموعة ورعاية مصالحها في قضايا تتعلق بالنهوض والنمو الاقتصادي ومعالجة آثار الازمة المالية العالمية وإصلاح منظمة الأمم المتحدة والتعاون في مجالات الطاقة ومكافحة الإرهاب والقضاء عليه والامن الغذائي ومعالجة قضايا التغيّر المناخي ومكافحة الفقر ويتجلَّى أسمى الأهداف السياسية التي يسعى هذا التجمع الى تحقيقها هو كسر مركزية النظام الدولي: بعديه السياسي والاقتصادي، اذ تسعى دول المجموعة الى خلق عالم متعدد الاقطاب وكسر الهيمنة الامريكية وكذلك انهاء المركزية الاقتصادية التي خلقتها المؤسسات الاقتصادية الدولية التي نتجت عن نظام (بريتون وودز) منذ عام 1945 واضفاء نوع من اللا مركزية على عملية صنع القرار داخل النظام الاقتصادي الدولي وقد توافقت هذه الأهداف مع مصالح الدول المكونة للتجمع إذ تُعدُّ جميعها (باستثناء روسيا) من الدول الصاعدة اقتصاديا ولديها طموح سياسي التقت جميعها في إطار هذا التجمع من أجل ترتيب أوضاعها بشكل افضل وتحسين وتدعيم مواقفها داخل التجمعات الإقليمية والدولية الأخرى وتشير الاحصائيات الى حجم الثقل التي تتمتع به هذه المجموعة كحصتها من الناتج المحلي الإجمالي العالمي التي تصل الى (25%) ومن التجارة العالمية حوالي(20%) وسكان العالم (43%) وحجم سوق العمل العالمي (46%) ومساهمتها في معدل نمو الاقتصاد العالمي (40%) وهو ما يؤشر إلى حجم التأثير الذي من الممكن ان تمارسها دول هذه المجموعة عالميا[25].

(25) محمد فايز فرحات، البريكس... نظام اقتصادي عالمي جديد، مقال منشور على موقع مركز الاهرام للدراسات السياسية والاستراتيجية، من خلال الرابط:ـ HYPERLINK "http://www.acpss.ahram.org.eg/news/16440.aspx"

تسعى الهند من خلال عضويتها في مجموعة بريكس الى تحقيق مجموعة من الأهداف السياسية والاقتصادية بعد ان شهدت مجموعة من التحولات منذ بداية عقد التسعينات من القرن الماضي ادت الى تحقيق نهضة اقتصادية شاملة وهذه الأهداف تشمل في ايجاد نظام دولي متعدد الاقطاب، يكون للدول النامية دور فيه والمشاركة في الجهود والترتيبات الدولية مثل مكافحة الإرهاب والحد من التسلح ودعم سياد' الدول وحل النزاعات الدولية بالطرق السلمية ودعم الجهود التي تبذلها الامم المتحدة من خلال المساهمة في قوات حفظ السلام التابعة للمنظمة الدولية حيث تعدُّ ثالث اكبر دولة من حيث مساهمتها في هذه القوات وهو ما يدعم مطالبتها بإصلاح الامم المتحدة والعضوية الدائمة في مجلس الامن كما تسعى الهند في هذا السياق الى توظيف عضويتها في مجموعة بريكس لإيجاد فرص التعاون بصورة اكبر مع الدول الأخرى بغية تحقيق اهداف سياستها الخارجية وكذلك تقليل حالة الخلاف مع الصين كالنزاع حول الحدود والتنافس الاقليمي والاقليات وغيرها

مقابل توحيد اهدافها المشتركة في تعديل بقيه النظام الدولي سياسيا واقتصاديا[26].

ان ما يعطي الهند دورا اكبر فعلياً في إطار مجموعة بريكس هو امتلاكها ثاني اكبر كتلة سكانية بعد الصين وهو ما يعطي لها ميزة في جذب استثمارات تعتمد على القوة العاملة فضلا عن ذلك فإنها تتفوق على باقي دول المجموعة في مجال التجارة بسبب امتلاكها ميزة نسبية في انتاج بعض السلع وهو ما يساهم في تعزيز آفاق التعاون مع دول المجموعة بشكل عام والتجاري على وجه التحديد كما انها تزيد من القدرة التنافسية لدول المجموعة وتخلق فرص لتعزيز دورها في الاقتصاد العالمي[27].

(26) manog kumar, India's forgein policy and Brics, sardar patel university, center for peace and conflict studies, border security department, 2017, P 4

(27) Bipul chatterjee and others, Intra_BRICS trave its implications for india, discussion paper, cuts international, 2014, p3 ـ p5.

3 - الهند ومنظمة جنوب آسيا التعاون الاقليمي (سارك)

تأسست هذه المنظمة في 8 كانون الاول 1985 بالعاصمة البنغالية (دكا) بمبادرة من رئيس بنغلاديش (ضياء الرحمن) وذلك في اجتماع لرؤساء حكومات سبع دول من المنطقة وهي الهند، باكستان، بنغلادش، سريلانكا، نيبال، بوتان والمالديف وجاء تأسيس هذه المنظمة كأساس لتعزيز فرص التعاون بين هذه الدول من خلال آجهزة المنظمة المختلفة وتتجسد اهداف تأسيس هذه المنظمة في تعزيز التعاون الاقتصادي وخلق فرص لتوطيد السلم ومكافحة الفقر ومحاولة انهاء الخلافات والنزاعات بين الدول في اقليم جنوبي آسيا ولأجل تفعيل التعاون المشترك تم انشاء عدد من اللجان والبرامج في مجالات الصحة والتعليم والاتصالات ومعالجة الفقر واجراءات تطبيق التجارة التفضيلية ونزع القيود الجمركية والى جانب الجهود الرسمية تم دعوه المنظمات غير الحكومية للمساهمة في دعم العمل التعاوني وفي هذا الاطار برز نشاط الجماعة المستقلة للدارسين والمهنيين في جنوبي آسيا والتي قدمت مبادرة تضمنت التركيز على حل المشكلات المهمَّة التي تعاني منها دول المنظمة ومجالات العمل المشترك التي تعد كفيلة لحل مشاكل هذه الدول وهي استئصال الفقر، الامن الغذائي، التعاون التجاري، نظام مدفوعات لجنوبي آسيا يدار من البنوك المركزية، تمويل التنمية في جنوبي آسيا وعلى الرغم من ذلك فان هذه المنظمات لم تنجح في معالجة جميع هذه القضايا والأهداف التي قامت من أجلها لأسباب عديدة[28].

(28) للمزيد عن هذا الموضع انظر:ـ عبد القادر دندن، مصدر سبق ذكره، ص153 – ص155.

تسعى الهند من خلال عضويتها في هذه المنظمة الى إحكام سيطرتها على منطقة جنوبي آسيا من خلال منع الدول الصغرى منها حجما من تشكيل تحالف مع الدول الاخرى سواء في المنطقة ام خارجها يشكل تهديدا للمصالح الهند لا سيما وانها

تعدُّ الدولة الكبرى في المنطقة والتي تمتاز بتفوقها النسبي - من ناحية مقومات القوة - مقارنة بالدول الاخرى فضلا عن سيطرتها على مجريات الأحداث في منطقة جنوبي آسيا وسهولة التنسيق مع دول المنطقة في الامور التي تخص المنطقة[29]، كما تسعى الهند الى تحجيم دور باكستان وعدم اعطائها الفرصة لإقامة تجمع اقليمي تكون هي الطرف الاقوى فيه وبالتالي تستغل ذلك في صراعها مع الهند حول اقليم كشمير وقد استمرت هذه الاستراتيجية الهندية منذ تأسيس منظم سارك (1985) في وقت كان العالم يشهد التنافس بين القوتين العظيمتين وكذلك بعد زوال الاتحاد السوفيتي وانهيار الحرب الباردة حيث تغيرت الأهداف السياسية للهند من حيث الخروج من العزلة النسبية التي عاشتها خلال تلك المدة وكذلك حالة عدم الانحياز حيث سعت الهند مع نهاية القرن العشرين الى استغلال دورها في جنوبي آسيا وعضويتها في المنظمة الى تحقيق أهدافها في اداء دور اقليمي اكبر الى تحقيق دور دولي يتناسب مع مقومات قوتها وقدراتها.

(29) اشلي جيه تيليس، جنوب اسيا، زلمي خليل زاد (محررا)، التقييم الاستراتيجي، مركز الامارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية، ابوظبي، 1997، ص306 – ص307.

ثانيًا: الشراكات مع القوى الكبرى

تعدُّ الهند احدى الدول الصاعدة التي تمتلك شراكات وعلاقات متوازنة مع مختلف القوى الكبرى وهي سمة تتميز بها اكثر من غيرها من الدول الصاعدة، وبالرغم من حالة التنافس التي تسود علاقات الهند بالصين الا ان هناك تقارباً ثنائياً بشتى المجالات لاسيما في اطار التجمعات الاقليمية (كما ذكرنا سابقا) والحال ذاته مع روسيا اذ تتمتع بعلاقات معها يسودها طابع التعاون، وبوصف الهند اكبر ديمقراطية في العالم فإنها تعدُّ دولة متوافقة مع الولايات المتحدة الامريكية حيث يسود الفكر الليبرالي في كلتا الدولتين وهو ما يجعل التقارب الهندي الامريكي امراً ممكنا.

ان سعي الهند لممارسة دور اكبر في النظام الدولي يتحقق من خلال قنوات عدة اهمها شراكات الهند مع القوى الكبرى

1 - الشراكة مع الولايات المتحدة

تعود بداية العلاقات الهندية الامريكية الى إعلان استقلال الهند عن بريطانيا عام 1947 حيث رحبت الولايات المتحدة الامريكية باستقلال الهند وتطلعت الى اقامة علاقات جيدة معها، غير ان العلاقات الهندية الامريكية لم تكن علاقات متقاربة الى حد كبير خلال حقبة الحرب الباردة وان كانت شهدت تحسنا في مدد معينة حيث يعود ذلك الى مواقف كلتا الدولتين من أحداث معينة كالدور الهندي في انشاء حركة عدم الانحياز والرفض الامريكي له وكذلك مواقف الولايات المتحدة

الحيادية – نوعا ما – من الحروب الهندية الباكستانية والنزاع على قضية كشمير وغيرها من الامور التي جعلت العلاقات الثنائية يسودها طابع الاستقرار[30].

(30) للمزيد عن الموضوع انظر: ستار جبار علاي، مصدر سبق ذكره، ص186 ـ ص190.

بعد انتهاء الحرب الباردة وخلال عقد التسعينات من القرن الماضي اعلنت الهند عن نفسها كقوة نووية عندما اجرت تفجيراً نووياً لتدخل ضمن قائمة القوى النووية العالمية وهو طموح لدى قادة الهند في الوصول الى مصاف القوى الكبرى من خلال تعزيز مقومات قوتها العسكرية، غير ان هذا الامر كان محط انتقاد بعض القوى الكبرى واهمها الولايات المتحدة الامريكية التي فرضت عقوبات على الهند وعلقت التعامل معها في القضايا النووية، غير ان الولايات المتحدة الامريكية أعادت النظر في علاقاتها مع الهند لاسيما في عهد الرئيس بوش الابن حيث تبنت وثيقة استراتيجية الامن القومي لعام 2002 مبدأ التعاون مع القوى الاخرى، كما ادرك الرئيس بوش ان افضل وسيلة لمنع ظهور قوة تقف موقف المتحدي في وجه الولايات المتحدة الأمريكية هو ايجاد روحية التصرف بصورة تعاونية مع اقطاب النظام العالمي الاخرى وقد عملت الولايات المتحدة تشكيل تحالفات بزعامة واشنطن تعنى بقضايا محددة مع القوى الكبرى والمتوسطة الحجم كروسيا والصين واليابان والهند وإندونيسيا واستراليا والبرازيل بهدف ايجاد حلول للتحديات العالمية مثل أمن الطاقة والمسالة الكورية والبرنامج النووي الإيراني والتغييرات المناخية، وفي هذا الاطار تبلورت شراكة الولايات المتحدة الامريكية مع الهند في مرحلة ما بعد احتلال العراق 2003 وتبلورت حول رغبة الهند في تخليص قطاع الطاقة النووية الهندي من العقوبات المفروضة عليه بالمقابل كان لدى الولايات المتحدة الرغبة في ان تصبح الهند إحدى القوى الصاعدة سوقا للبضائع الامريكية وشريكا من الممكن ان يسهل رعاية وادارة المصالح الامريكية في آسيا وبالفعل نجحت الهند في الحصول على ما تريد من الشراكة مع الولايات المتحدة الامريكية بالتخلص من الحظر المفروض عليها من مجموعة الموردين النووية (وهو عدم التعامل مع دول تجري تجارب نووية ليست اطرافا في معاهدة عدم انتشار الاسلحة النووية) وكذلك لقي ذلك ترحيب روسيا وفرنسا، كما رحبت الهند بالاعتراف الامريكي بها كقوة اقليمية حيث تسعى الهند الى اقامة نظام متعدد المراكز لا سيما انها بدأت تشعر بأهميتها في المدرك الامريكي وقد جاء ذلك في تصريحات المسؤولين الامركيان، فقد صرحت (كونداليزا رايس) وزيرة الخارجية ومستشارة الامن القومي في عهد الرئيس بوش الابن بضرورة وضع شراكات واعادة النظر بالشراكات الامريكية مع القوى الكبرى والصاعدة من اجل تحقيق السلام والاستقرار العالمي وايجاد نظام

توازن قوى ينحاز الى جانب الحرية[31]، كما استمر التواصل بين الهند والولايات المتحدة في عهد الرئيس السابق (باراك اوباما) والرئيس الحالي (دونالد ترامب) في العديد من القضايا ذات الاهتمام المشترك لا سيما تلك التي تخص الهند وسعيها في ممارسة دور اقليمي ودولي اكبر، فمن خلال تبادل الزيارات الرسمية بين رؤساء كلا الدولتين تم اصدار اتفاق سمي (بإعلان دلهي للصداقة) وتضمن رؤية استراتيجية مشتركة لمنطقة اسيا والمحيط الهادي ومنطقة المحيط الهندي كما تضمن تعزيز الحوار الاستراتيجي والتعاون التجاري بين الدولتين وجاء ذلك خلال زيارة الرئيس السابق باراك اوباما الى الهند عام 2015، كما تواصل هذا التقارب وتعزيز الشراكة في عهد الرئيس الحالي دونالد ترامب حيث تم انشاء خط ساخن بين مكتب رئيس الوزراء الهندي والبيت الابيض في الولايات المتحدة الامريكية [32].

(31) سيدهارت فاراداراجان، مصدر سبق ذكره، ص.269ص272.

Brief on India_u.s relation, (32) ministry of external affairs of India on websat: http://www.mea.gov.in/regional_organisation.htm

2 - الشراكة مع روسيا

تعدُّ روسيا الاتحادية احدى القوى الكبرى التي بحثت الهند عن تطوير العلاقات معها لتحقيق مجموعة من المصالح الذاتية في سعيها لاداء دور اقليمي ودولي بشكل اكبر، ومنذ حقبة الحرب الباردة طورت الهند علاقاتها مع الاتحاد السوفيتي (السابق) وتمتعت بعلاقات ايجابية معه لاسيما في بداية سبعينات القرن الماضي حيث تم التوقيع على معاهدة السلام والصداقة والتعاون عام 1971 وبموجب هذه المعاهدة ازداد حجم التبادل التجاري والتعاون العسكري بين الدولتين وتجسد ذلك في تحول الاتحاد السوفيتي السابق الى المورد الرئيس للسلاح الى الهند واصبحت العلاقات الهندية – السوفيتية وتدعيمها ركنا من الاستراتيجية السياسية والعسكرية لكلتا الدولتين، غير ان السنوات الاخيرة من الحرب الباردة شهدت فتورا في العلاقات بين الطرفين واستمرت حتى بدايات عقد التسعينات مع قيام روسيا الاتحادية كوريث للاتحاد السوفيتي السابق[33].

(33) ستار جبار علاي، مصدر سبق ذكره، ص.194ص195.

غير ان تطورات النظام الدولي ما بعد الحرب الباردة والبيئة الدولية الجديدة فرضت على كل من الهند وروسيا الاتحادية البحث عن سبل جديدة لتحقيق مصالحها وجاء ذلك في اطار سعي كل منهما في التقارب والانفتاح على الدول الاخرى، وعلى هذا الاساس جاءت زيارة الرئيس الروسي الاسبق (بوريس يلتسن) الى الهند عام 1993 كمسعى لوضع العلاقات الهندية الروسية على اسس جديدة ووقع الطرفان على معاهدة جديدة تحل محل اتفاقية السلام والصداقة والتعاون لعام 1971، وبذلك استطاعت الهند ترميم علاقاتها مع احدى القوى الكبرى وكاستجابة للتغييرات التي شهدها النظام الدولي، ودفع ذلك باتجاه تعزيز التعاون بين الطرفين

لا سيما في مجال الطاقة والتعاون العسكري، وقد شهد عام 2003 تطورا كبيرا في العلاقات الهندية الروسية عندما وقع الطرفان على الشراكة الاستراتيجية بين الهند وروسيا الاتحادية حيث تجاوز الطرفان حالة الفتور في العلاقات الثنائية، وقد تجسدت اهداف كل من الهند وروسيا من خلال توقيع هذه الشراكة على تأكيد نفوذهما كلٌ في مجاله الاقليمي واحتواء عدم الاستقرار السياسي في افغانستان عن طريق الحد من انتشار التطرف الاسلامي من باكستان، كما اتفق البلدان على العمل لبناء هيكل عالمي متعدد الاقطاب على اساس المساواة بالسيادة واقرّا بالتحديات والمسؤوليات المشتركة للدول المتعددة الاعراق والمتعددة اللغات والاديان والدعوة الى تعزيز الامن والسلم الدوليين ودمقرطة العلاقات الدولية وانشاء نظام عالمي جديد عادل ومستقر [34].

ان سعي الهند في ممارسة دور دولي اكثر وضوحا يعكس قوة الهند وموقعها الجيوستراتيجي كونها تقع بين منطقتين من اكثر مناطق العالم اهمية ومجال تنافس القوى الكبرى وهي الشرق الاوسط واقليم آسيا الباسفيك وقد التقى هذا السعي الهندي مع مصلحة روسيا الاتحادية في كسر التفرد الامريكي وسعي الطرفين في خلق عالم متعدد الاقطاب في تحقيق مصلحة كل منهما بالدرجة الاساس وعلى هذا الاساس استمرت اللقاءات الثنائية سنويا منذ توقيع اتفاق الشراكة عام 2000 وتعزز بشكل اكبر في انضمامهما الى تجمع بريكس الى جانب الصين والبرازيل وجنوب افريقيا.

(34) فيديا نادكارني، الشراكات الاستراتيجية في اسيا توازنات بلا تحالفات، مركز الامارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية، ابو ظبي، 2014، ص159ـص160.

3 - الشراكة مع الصين

عند التطرق الى القوى الآسيوية يجب ان نضع في المقام الاول كلاً من الصين والهند فكلتاهما تتمتعان بميزات مشتركة في الحجم والسكان والقوة فضلا عن الطموح الاقليمي ولذلك فان حسابات التفاعل والتوازن داخل القارة الاسيوية يجب ان لا تخلو من تبادل العلاقة بين هاتين القوتين.

لقد سادت العلاقة بين الهند والصين حالة من الصراع والتنافس حول العديد من القضايا كما في مسألة الحدود والخلاف بينهما الذي وصل الى حد حالة الحرب التي شنتها الصين على الهند عام 1962 وفرضت سيطرتها على اراضٍ حدودية متنازع عليها مما ادى الى انقطاع العلاقات الدبلوماسية بين الدولتين، غيرً ان الهند قررت عام 1976 اقامة علاقات دبلوماسية مع الصين بعد ان ضمت (سيكيم) الى الاتحاد الهندي غير ان مشكلة الحدود بقيت القضية التي تطغى على اي لقاء بين البلدين طوال مدة السبعينات والثمانينات من القرن الماضي وتحديدا حتى

عام 1988 عندما حدث تحسن كبير في العلاقات بين البلدين بزيارة رئيس وزراء الهند (راجيف غاندي) للصين واتفق الطرفان خلالها على فصل مسألة الحدود عن الجوانب الاخرى للعلاقات الثنائية واستمرت تعزيز العلاقات الدبلوماسية خلال تسعينات القرن الماضي والاستمرار في تجميد القضايا الخلافية[35].

(35) ستار جبار علاي، مصدر سبق ذكره، ص164ـص166.

وفي مسعى الدولتين الى تعزيز العلاقات الثنائية فقد اعترفت الصين عام 2004 بتبعية ولاية (سيكيم) للهند مقابل اعتراف الهند بتبعية (التبت) للصين ولتعزيز التقارب الثنائي في مختلف المجالات جاءت زيارة (وين جياباو) رئيس مجلس الدولة الصيني الى الهند والتي استمرت اربعة ايام وقع خلالها مع رئيس الوزراء الهندي على اتفاقية للشراكة الاستراتيجية مثلت الاساس لانشاء (شراكة استراتيجية وتعاونية من اجل السلام والرخاء بين الهند والصين) وجاء في البيان الثنائي عزم الجانبين فصل القضايا الخلافية عن تطور العلاقات الشاملة على اساس الامن والتنمية والازدهار بشكل متبادل ومتكافئ والتصدي للتهديدات والتحديات العالمية، وقد اقر الجانبان اهمية تعزيز العلاقات السياسية رفيعة المستوى وتأكيد التعاون الاقتصادي بوصفه ركيزة مهمة في تعزيز العلاقات الثنائية فضلا عن تعزيز العلاقات الثنائية من خلال استضافة المهرجانات الشعبية في كلتا الدولتين بما يعزز الصداقة بين الشعبين الهندي والصيني، وعقب الإعلان عن هذه الشراكة تمَّ إصدار اعلان مشترك في عام 2006 صدر اثناء زيارة الرئيس (هو جينتاو) الى الهند وسعى الإعلان المشترك الى تطوير العلاقات بين الصين والهند والذي تضمن عشرة محاور جاءت تاكيدا وتعزيزا للشراكة الاستراتيجية لعام 2005[36].

(36) للمزيد عن الموضوع انظر: فيديا نادكارني، مصدر سبق ذكره، ص208ـص209.

ان الشراكة الهندية الصينية جاءت لتؤشر إلى تحول كبير في علاقات البلدين وشاهدا ليس على دفن احقاد التنافس بينهما بقدر ما هو شاهد على الادراك البرغماتي في كل من الصين والهند لتحقيق تطلعات كل منهما في الحصول على المكانة والقوة والنفوذ في القارة الآسيوية والذي لا يمكن تحقيقه الا من خلال الاستيعاب واستبعاد خيار المواجهة.

لقد عملت الهند من خلال شراكاتها مع القوى الكبرى على ايجاد فرص وسبل نحو اداء دور اكبر في النظام الدولي، انطلاقا من ادراكها ان تفعيل دورها يكون من خلال تعزيز افق التعاون بدلا عن التنافس مع القوى الكبرى وتجسد لك من خلال سعي هندي لتعزيز شراكات مع هذه القوى حيث تعدُّ هذه الوسيلة لتعزيز دورها اقل تكلفة من اضفاء طابع التنافس او الصراع او التدخل في شؤون الدول الاخرى ومزاحمة مصالحها وهذا ما تفردت به الهند عن غيرها من القوى الصاعدة.

الخاتمة: (الفرص والتحديات)

ان السعي الهندي لأداء دور فاعل في النظام الدولي تحكمه عدة عوامل ومتغيرات منها ما يشكل تحديات تقف حائلا دون ممارسة دور يتناسب مع طموح الهند كقوة صاعدة ومنها ما يدعم ذلك الدور، من حيث التحديات تواجه الهند مشاكل داخلية تعرقل تقدمها في سعيها لبناء قوة تمكنها من اداء دور خارجي اكثر فاعلية ومن بينها هي مشكلة الفقر المستشرية والتي تتطلب من الحكومة الهندية ايجاد حلول لها فما يقارب ربع سكان الهند يعيشون تحت خط الفقر ويشكل هذا تحدياً في سبيل تحقيق التنمية، كما انها تعاني من تخلف نسبي في وسائل الانتاج الزراعي وهو ما يعيق حالة التقدم الاقتصادي للبلد كما تاتي الكتلة السكانية الكبيرة والتي تتطلب من الحكومة عملاً موسعاً في سبيل تحقيق معدلات نمو عالية كاحدى التحديات والصعوبات في الاعتماد الهندي على الخارج لا سيما في مصادر الطاقة، فضلا عن ذلك تأتي حالة التنوع الديني والعرقي والمشكلات الداخلية كمعرقل اخر لسعي الهند في اداء دور فاعل اقليميا ودوليا.

على المستوى الخارجي تأتي بعض التحديات في المحيط الخارجي والمتمثل بالجوار الاقليمي المضطرب للغاية وبشكل مزمن وهذا يضعها امام تحديات خارجية ويجعلها تواجه ما يعرف عنه (الاستبداد الجغرافي) كما ان الانفتاح على دول جوارها التي تسودها انظمة فاشلة واستبدادية تحكمها معرقلات عدم الانسجام حيث ان هذه الدول لا ترغب في التعامل مع الهند كونها دولة ديمقراطية والتعامل معها قد يؤدي الى التأثر بالنموذج الديمقراطي ويهدد عروش ودكتاتوريات هذه الدول، فضلا عن ذلك فان للقوى الكبرى مصالح استراتيجية في آسيا وبالتالي لا ترغب في الصعود الهندي الذي قد يزيحها من مناطق معينة في القارة الآسيوية او يهدد مصالحها لا سيما روسيا والولايات المتحدة الامريكية فضلا عن حالة التنافس مع الصين التي تعدُّ نفسها زعيمة القارة الاسيوية.

اما من حيث الفرص فان الهند نجحت على المستوى الداخلي في اجراء الإصلاحات الاقتصادية منذ بداية عقد التسعينات من القرن الماضي وحققت نجاحاً اقتصادياً بعد ان تجاوزت كل مشكلاتها وتخلصت من الديون الخارجية واصبحت احدى الدول المتقدمة اقتصاديا إذ حلت في المرتبة السادسة من ناحية الناتج القومي عالميا وثالث اكبر اقتصاد اسيويا بعد كل من الصين واليابان كما انها استطاعت ايجاد حلول لمشكلاتها الاجتماعية الداخلية، وعلى المستوى الخارجي فان الهند من خلال انفتاحها على دول جوارها الاقليمي ودورها من خلال منظمة

(سارك) استطاعت ان تكون مركز التأثير في منطقة جنوبي آسيا كما انها توصلت الى تفاهم بشان المشاكل مع هذه الدول وتوجّهت سياسية الهند الخارجية لتعزيز ذلك الانفتاح على دول المنطقة والدول الاخرى خارج اقليمها من خلال تعزيز العلاقات الثنائية وتجاوز او تاجيل الموضوعات الخلافية كما حصل مع الصين، فضلا عن ذلك فان الهند تمارس اليوم دورا من خلال التجمعات الاقليمية والدولية حيث ان هذا الدور يدعم فرص الهند كاحدى القوى الصاعدة والساعية لخلق عالم متعدد الاقطاب يكون لها دور واضح فيه على الاقل من خلال عضويتها الدائمية في مجلس الامن، كما ان التقارب الذي حصل مع القوى الكبرى من خلال الشراكات الثنائية يعطي للهند فرصا لاداء ادوار اكبر حيث ان هذه الشراكات تعمل على تحقيق مصالح الطرفين وبالتالي فان الهند أمام فرصة لاداء ادوار اكبر خارجيا من خلال اشتراكها في ترتيبات القوى الكبرى من جانب والتفاهم مع هذه القوى حول تحقيق المصالح المشتركة.

وبناءا على ما تقدم فان الهند أمام فرص داعمة لاداء دور فاعل في النظام الدولي يفوق حجم التحديات التي تواجهها وعليه فإنها ستشهد تزايدا في دورها الدولي في السنوات المقبلة اذا استمرت هذه الفرص متاحة لها.

أثر المؤسسة الدينية في النظام السياسي الايراني

الباحث: رائد ارحيم محمد*

* باحث من العراق

المُقـدمة

المؤسسة الدينية في إيران من الموضوعات الحساسة والمهمة جداً، والتي تستحق إهتماماً خاصاً من لدى المختصين، فبدون فهمها على حقيقتها يتعذّر، ومن دون شك فهم الجوانب الأساسية في أحداث إيران المعاصرة ومحركاتها غير المرئية كما يجب[1]، خصوصاً بعد نجاح الثورة الإيرانية في إسقاط نظام الشاه في شباط من عام 1979م، وتأسيس نظام الجمهورية الإسلامية في إيران، ولقد صِيغَ هذا النظامُ السياسي، كنظام إسلامي قائم على أساس نظرية «ولاية الفقيه» التي هي محور هذا النظام، وأساس شرعيته، وهذه النظرية التي لم تأتِ من فراغ، إذ جاءت نتيجة لتضافر جهود الفقهاء من داخل المؤسسة الدينية الإيرانية. وعليه سنحاولُ في هذا البحث المتواضع بيانَ ماهية هذه المؤسسة، ومعرفة الدور السياسي والإجتماعي الذي لعبته وما زالت عبرَ مدد مختلفة من تاريخ إيران الحديث والمعاصر.

(1) ـ كمال مظهر احمد، دراسات: في تاريخ ايران الحديث والمعاصر، الامانة العامة للثقافة والشباب لمنطقة الحكم الذاتي، بغداد، 1985، ص183.

اولاً: هيكليّة الدراسة: إنتظمت هذه الدراسة في ثلاثة محاور، فضلاً عن المقدمة والخاتمة، فقد خُصّصَ المحورُ الاول/ لدراسة (ماهية المؤسسة الدينية الإيرانية)، أمَّا المحور الثاني/ إذ ركَّز على المؤسسة الدينية الإيرانية، وما لها من دور سياسيّ مؤثر في الساحة السياسية الإيرانية خلال مدد زمنية مختلفة، بينما تطرّق المحورُ الثالث الأخير/ الى توضيح مؤسسة الولي الفقيه إحدى أهمّ المؤسسات الدستورية والمحورية في مباني النظام السياسي الإيراني بعد قيام الجمهورية الإسلامية في عام 1979م، والتي تُجسِّدُ الثقلَ السياسيَّ (الدستوري) للمؤسسة الدينية الإيرانية.

ثانيًا: فرضيّة الدراسة:

تمتلك المؤسسةُ الدينية الإيرانية سلطة روحية ومادية لها تأثير كبير في المجتمع الإيراني من جانب، والنظام السياسي من جانب آخر، وذلك عبرَ مدد زمنية مختلفة، ولقد جاء هذا التأثيرُ لما تمتلكة هذه المؤسسةُ من مقومات مادية ومعنوية.

ثالثًا: أهمية الدراسة: تحظى دراسةُ موضوعة المؤسسة الدينية الإيرانية باهتمام متزايد من الآكاديميين والباحثين ورجال السياسة على السواء. نظراً للثقل الكبير الذي تمثله هذه المؤسسة وما تمتلكه من مقومات مادية ومعنوية يُمكنُها من التأثير في مجريات الأحداث السياسية والإجتماعية على الصعيدين الداخلي والخارجي الإيراني، والأهمُّ من ذلك هو: عامل الجوار، وقرب إيران من العراق، وارتباطهما معاً بروابط مختلفة وحالات مشابهة، والتي تعدُّ من أهم الأسباب التي دفعت الباحث تُجاه إختيار موضوع الدراسة.

رابعًا: منهجية الدراسة:

إعتمدنا في هذه الدراسة على المناهج الآتية:-

1 - **المنهج النظمي-التحليلي:** وعن طريقه تَتِمِّ دراسةُ مفهوم (المؤسسة الدينية)، الذي لايكتفي بتوضيح الإطار الدستوري والقانوني للنظام السياسي (مؤسسة الولي الفقية) وأنما الأبعدُ من ذلك بدراسة تفاعلات هذه المؤسسة مع البيئة الداخلية والخارجية، مما يوفّر لنا فهماً أكثرَ لهذه المؤسسة عن طريق الرجوع الى مفردات النظام الإجتماعي والثقافي والمبادئ والقيّم السائدة المكوّنة للمنظومة الإجتماعية الإيرانية.

2 - **المنهج التاريخي:** لقد اعتمدنا هذا المنهجَ، وذلك لضرورة تتّبع الأحداث التاريخية المهمة التي تُظْهِرُ الأهميةً والمكانة التاريخية للمؤسسة الدينية، وتأثيرَها في الواقع السياسي والإجتماعي الإيراني، مما يزيد في فهم الأحداث والمؤثرات السياسية والإجتماعية التي تَحْدُثُ حالياً في إيران.

المحور الأول: ماهيَّة المؤسسة الدينيَّة الإيرانيَّة:

(المؤسسة) بشكل عام هي مجموعةُ علاقات اجتماعية منظّمة لإحتواء وتنظيم الأفراد من أجل تحقيق الأهداف المشتركة، وإنٍ تنوّعَ الحاجات في المجتمع يبعث مؤسساتٍ متنوعة ومتعددة[2]، فإذا رجعنا الى القواميس اللغوية الميسَّرة الفرنسية والإنجليزية، فإننا نقرأ في تعريف لفظ (المؤسسة) «Institution» في اللغتين يعني

(2) ـ صادق الأسود، علم الإجتماع السياسي، أُسسه وأبعاده، مطابع جامعة الموصل، بغداد، 1986، ص281.

«بِنية تنظيمية ذات أصل بشري»، وان هذه البنية يمكن ان تكون سياسية الشأن كذلك في الدساتير والقوانين التنظيمية، وفي الأعراف السياسية او السيسيولوجية، فهي تدلُّ على بنية اجتماعية او منظومة من العلاقات الإجتماعية تتّسم بدرجة عالية من الإستقرار. كما قد تكون اقتصادية او فلسفية او غير ذلك[3]، وحسب ما تعنيه الكلمة بمدلولها القانوني، فهي مجموعة القواعد التي تتناول ذات الموضوع والوظائف التي تشكّل متحداً ومنسقاً ومنظماً[4].

وإذا عددنا هذه المؤسسة مؤسسةً عامةً على سبيل الفهم، فالمؤسسة العامة هي» شخص معنوي /اولاً، وهي من أشخاص القانون العام /ثانياً، وغرضها إدارة مرفق عام/ ثالثاً، والمنظمة او المؤسسة العامة تتميز باستهداف المصلحة العامة وموارد هذه المنظمة هو مورد الإدارة العامة غيرَ أن الذي نلحظُهُ على المؤسسة الدينية في إيران أنها تجمع ما بين المؤسسة العامة والخاصة، فهي تهتمُّ بالشؤون الدينية الخاصة بمذهب إسلامي معيّن دون المذاهب الأخرى، ومصدر تمويلها او إنفاقها والتي تكاد تكون مقصورة على ذلك الجانب حصراً[5].

وتفتقر المؤسسة الدينية (الإيرانية) الى الهيكل التنظيمي الموجود في الأحزاب السياسية الحديثة[6]، إذ لم تكن المؤسسة الدينية في إيران في أي مرحلة من مراحل تطور إيران الحديث حزباً سياسياً بالمفهوم الذي نألفه اليوم عن الأحزاب السياسية [7].

وتشتمل المؤسسة الدينية في إيران على مجموعة من الحوزات العلمية الدينية، وهي المكان الذي يؤمُّه طلابُ التعليم الديني على أيدي علمائها، ويندرجون في مراتبها من مستوى الى آخر[8].

كما إنها أيضاً مؤسسةٌ اجتماعية قائمة على مجموعة من النُظُم والروابط والضوابط الإجتماعية الخاصة التي تَحْكُمُ علماءَ الدين في كل عصر، وتساعدهم على أداء دورهم في المجتمع، ولكل فرد في هذه الهيأة لقبٌ مخصوصٌ، ومهمةٌ محددةٌ، وتضمُّ المؤسسةُ الدينية الى جانب الحوزات العلمية المراكزَ الدينيةَ، مثل: العتبات المقدسة والأضرحة والمساجد ودور النشر التابعة للحوزات والحسينيات والأوقاف[9].

وفي الحديث عن هُوِيَّة القاعدة الإجتماعية التي ينتمي إليها رجالُ الدين في إيران، إذ ترى ان من الصعوبة بمكان تحديد هذه الهُوِيَّة، وذلك لأكثر من سبب[10]:-

(3) ـ مجموعة باحثين، حراسة الإيمان: المؤسسات الدينية، ط2، مركز المسبار للدراسات والبحوث، دبي، الإمارات العربية المتحدة، 2011، ص26ـ27.

(4) ـ اسماعيل الغزال، القانون الدستوري والنظم السياسية، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، 1982، ص10ـ11.

(5) ـ فيصل عبد الجبار عبد علي، التاريخ السياسي للمؤسسة الدينية في ايران، رسالة ماجستير (غير منشورة)، مقدمة الى معهد الدراسات الاسيوية والافريقية (الملغى)، مركز دراسات العالم الثالث، جامعة بغداد، 1988، ص19.

(6) ـ محمد أحمد حسن السامرائي، الأحزاب والحركات السياسية في إيران (1950 – 1978)، رسالة ماجستير (غير منشورة) مقدمة الى المعهد العالي للدراسات القومية والاشتراكية، الجامعة المستنصرية، بغداد، 1980، ص311.

(7) ـ المنسي سلامة، إيران – الاضطراب الكبير، مركز البحوث والمعلومات، بغداد،(د.ت)، ص41، وللمزيد من المعلومات ينظر: محمد جواد ابو القاسمي، التنمية الثقافية في المجتمعات الاسلامية (الحالة الايرانية انموذجاً)، ترجمة: حيدر نجف، سلسلة الفكر الايراني المعاصر (1)، مركز الحضارة لتنمية الفكر الاسلامي، بيروت، 2007، ص 123ـ124.

(8) ـ نيفين عبد المنعم مسعد، صنع القرار في ايران والعلاقات العربية – الايرانية، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 2001، ص143.

(9) ـ سعد الانصاري، الفقهاء: حكام على الملوك، علماء ايران من العهد الصفوي الى العهد البهلوي «1500 – 1979»، دار الهدى، بيروت، 1986، ص 163ـ164.

(10) السيد زهرة، الثورة الايرانية: الابعاد الاجتماعية والسياسية، مركز الاهرام للدراسات السياسية والاستراتيجية، القاهرة، 1985، ص146.

1 - انه لا يتوفر لدينا معلوماتٌ دقيقة حول الأصول الإجتماعية، والانتماءات الطبقية لأفراد المؤسسة الدينيَّة الإيرانيَّة.

2 - ان رجال الدين في إيران لا يطرحون برنامجاً اقتصادياً واجتماعياً واضحاً يحدّد هوية الطبقات الإجتماعية التي يتبنون مصالحَها على وجه التحديد.

3 - ان حركة المؤسسة الدينية في إيران إستندت الى قاعدة إجتماعية واسعة تضمُّ شرائحَ وطبقات متعددة، بل ومتناقضة في بعض الأحيان.

في حين يذهب الدكتور (كمال مظهر احمد) في كتابه الموسوم بـ(دراسات في تاريخ إيران الحديث والمعاصر) الى رأي مخالف، إذ يرى: ان بسبب النفوذ الذي تتمتع به المؤسسة الدينية في إيران إن ذلك دفع كبار المتنفذين في المجتمع الإيراني الى الإنخراط في المؤسسة الدينية، فأصبحوا يؤلّفون أساس قمتها وقيادتها، فعلى طوال القرون الأخيرة كان كبار رجال الدين الإيرانيين ينتمون بالأساس الى الارستقراطية الإقطاعية وكبار ملاكي الأرض، وكان معظمهم على اتصال وثيق بالسوق وبالرأسماليين الفرس منذ ظهورهم، حتى صغار رجال الدين فإنهم كانوا في غالبيتهم الساحقة ينتمون الى فئات اجتماعية وسطى: كصغار التجار والحرفيين وفي حالات قليلة فقط، ولاسيما في الريف كانوا ينتمون الى الوسط الفلاحي ولعلَّ هذا الوصف لاينطبق بشكل أو بآخر على قادة الثورة الإسلامية في عام 1979 ويمكن ان نرى ذلك في العهد الصفوي والقاجاري[11]، وان سبب هذا التحالف هو العلاقة بين التجار والمراجع او الفقهاء من خلال تنفيذ بعض المشاريع الإجتماعية او دفع الأخماس والزكوات ورواتب الطلبة وبذلك شكلت البازار او التجار أبرز مورد اقتصادي حتى وقتنا الحاضر وهذا ما يفسر لنا سبب التحالف التاريخي بين المؤسسة الدينية وقطاع التجار (البازار)، والذي ظل يمثل القوة المحركة المركزية في حركات سياسية كبرى في التاريخ الحديث والمعاصر لإيران، مثل: الثورة الدستورية بين عامي (1906م – 1911م)، وحركة تأميم النفط بين عامي (1950م – 1953م)، والثورة الإسلامية بين عامي (1977م – 1979م)[12].

(11) كمال مظهر احمد، مصدر سبق ذكره، ص185.

لقد استمدت المؤسسةُ الدينية في إيران عناصرَ قوتها من المقومات التي تستند إليها، والتي أعطتها القدرة في ان تكون مؤثّرة ضمن إطارها الداخلي الذاتي او ضمن ما انعكس عليها من دور في صدد الساحة الإيرانية وتفاعلاتها مع معظم المفردات السياسية والإجتماعية والاقتصادية والتي كان من أهمها: مفهوم (التقليد) وطاعة الإمام ونائب الإمام طاعة تامة، إذ تستند مرجعية وزعامة فقهاء وعلماء الشيعة

(12) مارك تروغوت وآخرون، دور الفئات الدنيا في الثورات الشعبية: فرنسا (1848)، ايران (1891ـ 1979)، ترجمة: فاضل جتكر، معهد الدراسات الاستراتيجية، بغداد – اربيل- بيروت، 2007، ص40ـ41.

المسلمين الى ركنين: الأول/ إحاطتهم العلمية بشؤون الشريعة والفقه، ولذا يتحتم على الناس البسطاء مراجعتهم أصحاب إختصاص، أمَّا الآخر/ وهو الأهمُّ فيكمنُ في التوصية التي تُنسَب إلى الإمام (المهدي)[13] في الرجوع الى أفراد يمتازون بمقومات علمية وأخلاقية، إذ يقول:(فأمَّا الحوادث الواقعة، فأرجعوا فيها الى رواة أحاديثنا، فهم حجتي عليكم، وأنا حجة الله عليهم)[14].

ومن هذه المنطلقات، اختلفت وظيفة العالِم (المجتهد) عند الشيعة الإمامية[15] عن وظيفة (العالِم) لدى أهل السُّنة، فهي عند المسلمين الشيعة:أن يتولّى العالِم (المجتهد) وظيفتين او يتحلّى بصفتين هما: صفة الفقيه وصفة الفتوى[16]، مما جَعَلَ المجتهدين (مراجع التقليد) يمتلكون سلاحاً فعالاً متمثلاً في الفتاوى التي تجيز أمراً او تمنعه، فهي أكثر فاعلية من أي أمر آخر يطلقه جيش بأكمله، وهذا ما جعلهم قوةً سياسية واجتماعية واقتصادية ذاتَ حضور ملموس[17].

ومن جانب آخر، تتمتع المؤسسةُ الدينية في إيران بإمكانات اقتصادية هائلة تأتيها منذ زمن بعيد من الوقف الخاص والعام الذي لم يقتصر على الأراضي الزراعية وحدها، بل إمتد ليشمل: قنوات الري والخزانات والدور والدكاكين والحمامات، وغيرها من الأموال غير المنقولة[18].

كما اعتمدت المؤسسةُ الدينيَّة أيضاً، وبشكل تام على الرسوم الدينية (الخمس والزكاة...الخ)، والتي تجمع مباشرة من الأتباع، والتي تذهب مباشرة الى الزعماء الدينيين من مختلف المناطق، والذين بدورهم ينفقون ما يتجمع لديهم من أموال على إدارة المراقد والمساجد الدينية وفي تمويل المناسبات الدينية وما الى ذلك، ونتيجة لذلك منحت هذه القوة الاقتصادية الكبيرة رجال الدين إمكانيةَ ان يؤلفوا على طوال تاريخ إيران (منذ أواخر العصر الوسيط، ومن كلا العصرين: الحديث والمعاصر) فئة مستقلة عن (الشاه)[19] والسلطة الى حد كبير[20]، ومن المقومات الأخرى التي تمتلكها هذه المؤسسة هي: أنها ظلت تسيطر حتى العقود الأولى من القرن العشرين على الجانب الأساس من السلطة القضائية، وينطبق القول نفسه على مسألة (التعليم) ذات المردود الفكري الكبير، فحتى العقد الثالث من القرن العشرين كان رجال الدين يسيطرون تقريباً على كل شؤون التعليم في البلاد[21]. الأمر الذي منحهم إستقلالاً ثقافياً الى جانب الإستقلال الإقتصادي، وهو العامل الذي جعل من المؤسسة الدينية الإيرانية قوة مستقلة عن الدولة عبر التاريخ.

لقد مثَّل هذا الوضع الفريد للمؤسسة الدينية في إيران، أخطر الأدوار والذي يدعم

(13) الأمام (الغائب) او (المهدي المنتظر): هو محمد بن الحسن العسكري، الإمام الثاني عشر عند الشيعة الإمامية، وقد سمَّى أربعةَ نواب له بعد غيبته، وكانوا سفراءَ بينه وبين شيعته، وهم: عثمان بن سعيد العمري، محمد بن عثمان العمري، الحسن بن روح وعلي بن محمد السميري، واستمرت نيابتهم طيلة 69 سنة الأولى من غيبته، وتسمى (بالغيبة الصغرى)، وانقطع الاتصال بالإمام المهدي بعد انقضائها، فسُمي استمراره في الغياب (بالغيبة الكبرى) المستمرة الى ان يأذن الله له بالظهور. ينظر: سعد الانصاري، مصدر سبق ذكره، ص 24.

(14) كمال السيد، نشوء وسقوط الدولة الصفوية، مؤسسة باقيات، قم، 2005، ص 76.

(15) تدرجت سلطة اهل البيت في نظر المسلمين الشيعة – من الإمام علي بن أبي طالب(عليه السلام)، وتسلسلت حتى الإمام الثاني عشر، وهو (المهدي المنتظر)، اذ يعتقد الشيعة» ان الرسول (محمد صلى الله عليه وآله وسلم) قد وضح ان عدد الإئمة الذين يلون الامر من بعده اثنا عشر معصوماً، ولذا كانت الإمامة عند الشيعة ركناً واصلاً من أصول الدين» كالاعتقاد بالتوحيد والنبوة ويوم الحساب، ولهذا السبب اطلقوا عليهم تسمية (الشيعة الإمامية). ينظر: جرهارد كونسلمان، سطوع نجم الشيعة، ترجمة: محمد ابو رحمة، ط2، مكتبة مدبولي، القاهرة، 1993، ص63ـ64.

(16) سعد الأنصاري، مصدر سبق ذكره، ص25.

(17) منال محمد احمد، إيران من الداخل: تحولات القيادة السياسية من الشرعية الثورية الى الشرعية الدستورية، مركز المحروسة للنشر، القاهرة، 2009، ص126.

(18) كمال مظهر احمد، مصدر سبق ذكره، ص184.

(19) الشاه: هو اللقب الذي يطلق على ملوك ايران.

(20) السيد زهرة، مصدر سبق ذكره، ص140.

(21) كمال مظهر احمد، مصدر سبق ذكره، ص184 185.

مركزها في الحقيقة، فمعنى: ان يشكّل الزعماءُ الدينيُّون مثلَ هذا الهيكل المستقل المرتبط مباشرة بأتباعه، والمعتمد كلياً على دعمهم، معنى هذا هو: منح المؤسسة الدينية وضعاً مميزاً إزاء نظام الشاه وإزاء الجماهير، فهو من ناحية خَلَقَ مصدراً متجدداً للإحتكاك بدكتاتورية الشاه، ومن ناحية ثانية جعل لدى المؤسسة الدينية حساسيةً خاصةً لإهتمام الجماهير، ثم انه أسقط من ناحية ثالثة أحد القيود الكبيرة التي يمكن ان تكبّل حركةَ اي قوة سياسية[22]. ما مكّنها من لعب دور أساس مهم وخطر على مستوى الصراع السياسي والإجتماعي في حقب مختلفة من تاريخ إيران الحديث والمعاصر.

(22) السيد زهـرة، مصدر سبق ذكره، ص140ـ 141.

المحور الثاني: الدور السياسي للمؤسسة الدينيَّة في إيران:

مارست الزعامةُ الدينية نشاطاً مهماً في حياة إيران الدينية والسياسية، وربما كان العهدُ الصفوي يعدُّ بمثابة الحقبة الذهبية في تاريخ (الحوزة العلمية)، والتي إمتدت الى العهد القاجاري، وفي غضون هذين العهدين وقفت موقفَ المعارض أحياناً، وبالتعايش المهادن أحياناً أخرى. أمَّا العهد البهلوي فقد كان موقفه متصلباً، وفي معظم الأحايين معادياً، وكان موقف السلطة منها أشدَّ تصلباً، واستمر الموقف على هذه الشاكلة قرابة نصف قرن حتى بلغ ذروته في قيام الثورة الإيرانية في عام (1978-1979)، على الحكم البهلوي، وإسقاطه نهائياً[23].

(23) سعد الانصاري، مصدر سبق ذكره، ص151.

وقد أشَّرت بدايات القرن السادس عشر سيطرة الأسرة الصفوية على بلاد فارس، وتزامن هذا الحدث مع ظهور المؤسسة الدينية الذي أخذ دورها بالتنامي ونفوذها بالإتساع، وذلك عندما نشأ تحالف ناجح بين رجال الدين الشيعة، والطبقة المتوسطة، وأسرة الصفويين الحاكمة في إيران في ذلك الوقت وقد ادى ذلك التحالف الى قيام دولة شيعية في الشرق الإسلامي سنة 1501م[24]، إذ ظهرت مع قيام الدولة الصفوية، وتبنيها المذهبَ الشيعي بوصفه مذهباً رسمياً للدولة وسط العالم السني والذي كان يمثّل بوادر تحول حقيقي في العلاقة بين الفقيه والسلطة[25]، فقد كانت الدولة الصفوية في أمس الحاجة لدعم من علماء الشيعة، والآخرون كانوا في حاجة لمن يوفّر لهم أجواءاً آمنة لضمان ممارسة الشعائر الدينية بعيداً عن الإضطهاد، ويمكن القولُ: أن جوهر الإتفاق هو: الشرعية مقابل النفوذ[26]، ففي تلك المرحلة كانت العلاقةُ قوية بين فقهاء الشيعة والسلطة، إذ قامت قاعدة على الولاء والطاعة. وقد كان أغلب اولئك الفقهاء مستجلبين من الخارج بوساطة السلطة، وكان الملك هو الذي يعيّن المسؤول عن النشاط

(24) خالد احمد الملا السويدي، اثر المتغيرات الاقليمية والدولية على العلاقات الايرانية الخليجية(ـ1997 2000م)، دار كنان للنشر والتوزيع، دمشق، 2009، ص64.

(25) وجيه كوثراني، مصدر سبق ذكره، ص 107.

(26) كمال السيد، مصدر سبق ذكره، ص82ـ 83.

الديني، وكان يطلق عليه لقب (صدر الممالك)، وكان (الصدر) وظيفة معروفة في البلاط العثماني المجاور مع العلم ان اول من استخدم منصب (الصدر) هم النغول العثمانيون[27]، وتعدُّ الصدارة في الدولة الصفوية أرفعَ منصب ديني، ومن المناصب الحساسة في الدولة من ناحية، وفي قمة الهرم في (المؤسسة الدينية) من ناحية أخرى، ويلي منصب الصدارة في المؤسسة الدينية منصب (شيخ الإسلام)، والذي كان يدعى ايضاً (اخوند)[28].

إن العلاقة الودية، والتعاون الوثيق ما بين الدولة الصفوية والمؤسسة الدينية لم تدم طويلاً، بل توترت وتدهورت عاماً بعد عام، وانقلبت قطيعة ومعارضة شديدة تبعاً لجسامة الأحداث وأمزجة العلماء ومواقف الحاكمين وطبيعة المتغيرات الدولية، وبكلمة أخرى: كانت العلاقة وطيدة في مراحل التأسيس والبناء، وواهية في مراحل الإنحلال والإنحطاط[29].

ومع بدايات حكم (القاجار) ازدادت شوكةُ رجال الدين الشيعة في إيران، واستطاعوا التخلص من القيود التي كانت مفروضة عليهم في العصر الصفوي[30]، إذ استطاعت المؤسسة الدينية والدور السياسي للفقهاء ان يبرز كقوة حقيقية – فكرية سياسية- مستقلة مؤثرة في صياغة الأحداث الجديدة في إيران[31]. فقد تعززت قوةُ معارضة المؤسسة الدينية وفقهائها تُجاه الدولة القاجارية، نتيجة ارتباط حكم (القاجار) بالقوى الأجنبية والتي كانت تسعى لبسط سيطرة تامة على إيران، وتدمير خصائص المجتمع الإيراني[32]، وكذلك نتيجة للبصمات القاسية التي تركتها الإمتيازات الأجنبية على الأوضاع الإجتماعية والحالة الإقتصادية في إيران إذ عَرْقَلَ نمو الطبقة الوسطى الساعية لبناء اقتصاد شبه رأسمالي، ومطالب طموحها بالمشاركة في النفوذ والثراء، فأثارت حنق الملاّك والزرّاع وأصحاب البازارات والطبقة المثقفة النامية الباحثة عن المكانة الإجتماعية والمشاركة في السلطة، ونظراً للترابط العفوي بين المؤسسة الدينية وأصحاب الأملاك والبازار، كانت مشاركتُهم في مراحل الثورة الدستورية* (1905 - 1911) ملموسة للعيان[33].

والحقُّ أن ثورة (التنباك)[34] التي قادها آية الله الميرزا (محمد الشيرازي) من سامراء في عام 1891م، تُعدُّ أبرز نموذج لتعاظم سلطات الفقيه في مقابل الدولة في ذلك الوقت، فبعيداً عن أحداث مجريات تلك الثورة وانتقالاً لنتائجها، يلاحظ: ظهورُ المؤسسة الدينية بوصفها قوةً ومحركاً لا يستهان بها على الساحة الإيرانية من جهة، وتأثيرها في الثورة الدستورية في عام 1906م، من جهة أخرى[35]، ففي حين كانت القضية الدستورية تتفاعل على المستوى الفقهي الشيعي تلاحقت أحداثٌ داخليةٌ

(27) فهمي هويدي، ايران من الداخل، ط4، مركز الاهـرام للترجمة والنشر، القاهرة، 1991، ص59.

(28) كمال السيد، مصدر سبق ذكره، ص49ـ50.

(29) سعد الأنصاري، مصدر سبق ذكره، 10.

(30) خالد أحمد الملا السويدي، مصدر سبق ذكره، 64.

(31) منال محمد محمد أحمد، مصدر سبق ذكره، ص93.

(32) المصدر نفسه، ص95.

* الثورة الدستورية: وقامت هذه الثورة بتأليف برلمان في إيران وكان سببها هو سخط الشعب على القاجاريين وعقود والصفقات المستبدة المشروطة 1905 ـ 1911

ـ ينظر د. صالح حسين عبد الله الجبوري، الثورة الدستورية الايرانية (1905 ـ 1911)، مجلة جامعة تكريت للعلوم الانسانية، مجلد 16، العدد11، 2009.

(33) آمال السبكي، تاريخ إيران السياسي بين ثورتين (1906 ـ 1979)، سلسلة عالم المعرفة (250)، المجلس الوطني للثقافة والفنون والأداب، الكويت، 1999، ص19.

(34) ثورة التنباك: اندلعت ثورة التنباك عندما منح (ناصر الدين شاه) إحدى الشركات الانجليزية حق احتكار التبغ والتنباك، وقد ادى ذلك الى تضرر المزارعين، حيث لم يتمكنوا من بيع محاصيلهم الا لهذه الشركة التي كانت تشتري محاصيلهم بأبخس الأسعار، ومما فجر الامر محاولة موظفي هذه الشركة التبشير للمسيحية، فتحولت النقمة الى ثورة عمت كل ارجاء ايران، وعزز موقف هذه الثورة العصيان والفتوى التي اصدرها آية الله (ميرزا الشيرازي) الذي كان يعدُّ المرجع الشيعي الأعلى في العالم بتحريم التدخين، فهب الناس الى احراق غلايينهم، واتلاف ما في بيوتهم، وهاجم جموع الناس مقر الحكومة، واضطر الشاه في النهاية الى إلغاء امتياز الشركة كلياً في عام 1892م. ينظر: محمد علي الحاج العاملي، فقه الإنتخابات (مع الفتاوى الشرعية حول السياسة والانتخابات لمراجع الدين العظام)، دار المحجة البيضاء، بيروت، 2009، ص175 ـ 176، وكذلك ينظر: حسن الجاف، الوجيز في تاريخ ايران: ج3، بيت الحكمة، بغداد، 2005، ص268 ـ 272.

(35) سلطان محمد النعيمي، الفكر السياسي الأيراني (جذوره، روافده، اثره) دراسة تحليلية في ضوء المصادر الفارسية، مركز الأمارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية، ابو ظبي 2009، ص30.

زادت من سخط الجماهير إزاء النفوذ الأجنبي في البلاد[36]، وأدّت بالنهاية الى وضع دستور على طراز الدستورين: البلجيكي والفرنسي، يعاود تأكيد مبادئ المساواة وسيادة القانون وحرية التعبير، وينصُّ على إقامة نظام سياسي يسوده البرلمانُ مع دمج العناصر الدينية مثل تأليف لجنة من خمسة رجال دين مكلّفة بالسهر على توافق القوانين المصوّت عليها والشريعة الإسلامية[37].

ومن هنا تُعدُّ الثورةُ الدستورية هي النقلة النوعية الثالثة في تاريخ الفقهاء وعلاقتهم بالدولة، فالأولى/ تحققت بنسبة الخمس، وباستقلالهم عن جهاز الدولة، والثانية/ تحققت بتحالف الفقهاء مع الدولة الصفوية على قاعدة: أنهم مشروعية الحكم، اما الثالثة/ فقد تبلورت بعد نجاح الثورة الدستورية، وتثبيت مكاسبهم في الدستور الجديد[38].

إن المتتبع لوضع المؤسسة الدينية في إيران منذ العشرينات، أي منذ تولي (رضا شاه)[39] الحكم في إيران يلحظُ أن دورها قد تراجع كثيراً، فمن ضمن جهود (رضا شاه) لإضعاف المؤسسة الدينية جاءت خطواته في مجال الإهتمام بالتعليم العلماني، وسعيه لخلق نظام تعليمي غربي لتحديث إيران، وكانت خطوه مهمة في طريق إضعاف المؤسسة الدينية التي كانت قد هيمنت على قطاع التعليم لسنوات طويلة[40]، ومن خطواته الأخرى لإضعاف دور المؤسسة الدينية، إصداره قانوناً مدنياً، وآخر للعقوبات كان مستمداً من القانون الفرنسي تمهيداً لإضعاف دور القضاة من رجال الدين وحصره في نطاق ضيق لا يتعدى الزكاة والخمس فقط، وكذلك تأسيسه لوزارة الأوقاف لإبعاد رجال الدين عن القضايا الرئيسة التي كانت تناط بهم في هذا المضمار، وخطا الشاه خطوة أبعدَ من ذلك كله عندما أقدم على ضرب المؤسسة الدينية في أهم ركائزها حين استولى في عام 1939م، على أراضي وأملاك تعود للوقف، والتي كانت تدرُّ ارباحاً عالية تؤلف مورداً لا يضاهيه اي مورد آخر للمؤسسة الدينية، وعلى صعيد آخر: حاول الشاه إدخال بعض التغيرات في نمط الحياة الإجتماعية الإيرانية، فأصدر أمراً قرَّر بموجبه لبس القبعة البهلوية، والسراويل الغربية. كما طلب من النساء ترك الحجاب، والدخول في الحياة العامة سافرات، إلّا أن هذه الإجراءات لم تمرّ دون مقاومة، فقد أثارت بعض الأوساط الإجتماعية، لاسيما رجال الدين الذين عدّوا هذه الإجراءات منافية للتعاليم والمبادئ الإسلامية، فبدأت المواجهة بين رضا شاه والمؤسسة الدينية تأخذ أبعاداً متنوعة تمثلت /اولاً: بالإستياء والإحتجاج، ثم تحوّلت إلى مصادمات عنيفة وتظاهرات دامية ذهب ضحيتَها عشراتُ القتلى والجرحى[41].

(36) فهمي هويدي، مصدر سبق ذكره، ص68.

(37) تييري كوفيل، ايران: الثورة الخفية، ترجمة:خليل احمد خليل، دار الفارابي، بيروت، 2008، ص29ـ27.

(38) مصطفى اللباد، حدائق الاحزان، ايران و(ولاية الفقيه)، ط 2، دار الشروق، القاهرة، 2007، ص42.

(39) رضا شاه بهلوي، ولد رضا شاه في قرية (أشت) إحدى قرى المنطقة الجبلية الى الشمال من طهران يوم 1878/3/16م، ومات أبوه بعد ثمانية أشهر من ولادته، فارتحلت به أُمُّه الى طهران في عام1879م، وعاشت مع أخ لها، وهناك تعلَّم بعض أصول القراءة والكتابة، وعندما صار في الخامسة عشرة من عمره ألَحقه خالُه جندياً بفرقة القوقاز الفارسية، وأخذ بعد ذلك يترقى في الجيش حتى وصل الى رتبة جنرال في عام1920م، وفي 1921/2/21م، قام رضا خان بانقلاب عسكري، وتولى قيادة الجيش ووزارة الحربية، ثمَّ تولَّى رئاسة الوزارة في 1923/10/28م، بعد طرده شاه أحمد قاجار في 1925/12/13م، أجبر البرلمان الإيراني على تعيينه شاهاً، واختار لنفسه إسم (بهلوي)، وتمَّ تتويجه في 1926/4/25م، وفي 1941/8/25م، قامت القوات الروسية والبريطانية بغزو إيران، فأجبرت (رضا شاه) على التنازل عن العرش لولي عهده (محمد رضا) في يوم 1941/9/16م، بعدها نُفِيَ الى جنوب أفريقيا حتى توفي في يوم 1944/6/25م، ودفن في القاهرة ثم نقل جثمانه الى وطنه في 1950/5/3م، ينظر: محمد وصفي ابو مغلي، دليل الشخصيات الإيرانية المعاصرة، إيران والخليج (16)، مركز دراسات الخليج العربي، جامعة البصرة، 1983، ص40ـ41.

(40) طاهر خلف البكاء، التطورات الداخلية في ايران 1941ـ1951م، بيت الحكمة، بغداد، 2002، ص23ـ24.

(41) المصدر نفسه، ص25ـ 26

وفي مرحلة لاحقة، أي بعد سقوط (رضا شاه بهلوي) وتولية ابنه محمد رضا شاه[42] عرش إيران بعد ايلول/ سبتمبر من عام 1941م، شهدت الساحة الإيرانية نوعاً من الإنفتاح والحراك ما لبث أن اصطدم بسياسات (محمد رضا شاه) التي سعت للحيلولة دون تفعيل دور المؤسسات المدنية والأحزاب السياسية في الحياة السياسية الإيرانية، ولعلَّ ذلك التحالف الذي نشأ بين آية الله الكاشاني[*] مع الجبهة الوطنية بقيادة (محمد مصدق)[43] يُعدُّ من أبرز الخطوات التي قامت بها المؤسسة الدينية على الساحة السياسية في إيران أنذاك غير ان ذلك التحالف القائم على وفق أسس براجماتية ما لبث ان انفض[44].

إلَّا ان الإنحسار في المعارضة الدينية سرعان ما انفك. والتي وصلت في بعض الأحيان الى المطالبة بإسقاط حكم الأسرة البهلوية، بل العمل بشكل حقيقي من أجل تحقيق هذا الغرض، إذ استطاع الإتجاه الأصولي من داخل المؤسسة الدينية، ومن خلفه آية الله (الخميني) بقيادة جبهة سياسية عريضة جمعت أغلب قوى المعارضة الإيرانية الساعية لإسقاط نظام الشاه[45]، وهذا ما أشَّرته فعلاً المدة من عام 1963م، وحتى الإطاحة بالنظام القائم في شباط 1979م. وبعد النجاح في تقنين وضع المؤسسة الدينية سياسيا، إذ ساهمت في قلب السلطة، وتشكيل نظام يوفق ما بين الإمامة التي تقضي بالطاعة التامة للولي الفقيه بوصفه نائباً للإمام، وبين الشورى التي تأخذ برأي الشعب مستفيدة في ذلك من آليات الديمقراطية الغربية[46]، وذلك عن طريق تأسيس نظام الجمهورية الإسلامية الإيرانية، القائمة على نظرية (ولاية الفقيه).

المحور الثالث: المؤسسة الدينيَّة في السلطة (مؤسسة الولي الفقيه):

يشكّل الإطار الايديولوجي الذي يرتكز عليه النظام السياسي للجمهورية الإسلامية في إيران، والذي جعل منه نظاماً مميزاً بالفعل عن غيره من النظم السياسية القائمة في عالمنا المعاصر. هذا الإطار او الخصوصية الفريدة التي إتصف بها هذا النظام منذ عام 1979م، تبلور عبر صياغات دستورية في مجموعة من المبادئ والأهداف التي صارت تشكّل بدورها الإطار الدستوري، والذي بموجبه توضع السياسات والتوجهات، وكذلك الآليات اللازمة لتحقيقها من جهة، وتحدد - في الوقت نفسه- الإختصاصات والصلاحيات الخاصة بالعناصر المؤسسية المشكلة لهيكل هذا النظام من جهة أخرى[47]. وتاكيداً لما سبق، إستند هذا النظام الى مرجعية دينية قائمة

(42) محمد رضا بهلوي: ولد في فجر يوم 1919/10/26م، وكان ابوه (رضا بهلوي) في ذلك الوقت ضابطاً في الجيش الإيراني برتبة (كولونيل)، وبعد ان صار ابوه ملكاً على إيران أصدر مرسوماً ملكياً يقضي بتعيين محمد ولياً للعهد، سافر الى سويسرا، وهو في الثاني عشر من عمره للدراسة، وبعد خمس سنوات عاد الى إيران، إلتحق بالكلية الحربية في طهران ليتخرج فيها برتبة ملازم ثانٍ، تولي عرش إيران بتاريخ 1941/9/26م، بعد أن خُلع ابوه من الحكم من القوات البريطانية والروسية الغازية

ايام الحرب العالمية الثانية، استمر محمد رضا بهلوي بالحكم حتى قيام الثورة الإيرانية في عام 1979م، إذ أضطر الى ترك إيران بتاريخ 1979/1/15م، وطاف امريكا والمكسيك ومراكش بحثاً عن ملجأ يؤويه، ثم استقر في مصر، وبقي فيها حتى وفاته في القاهرة بتاريخ 1980/7/26م. ينظر: محمد وصفي ابو مغلي مصدر سبق ذكره، ص 44ـ47.

(*) اية الله الكاشاني: ابو القاسم المساخاني (1877 ـ 1962) قارع الاستعمار البريطاني في العراق وبعد انتكسة ثورة العراق غادر الى ايران واشترك مع محمد معدن في حركتة وكان له اثر بارز في مقارعة القاجاريين واليهود في نوفمبر 14 مارس 1962 ودفن جوار مرقد عبد العليم الحسين.
ـ ينظر فهمي هويدي، ايران من الداخل،دار الشروق،2011.

(43) محمد مصدق، ولد في عام 1880م، ونشأ كأحد افراد الصفوة الإيرانية الحاكمة، بوصفه من احد موظفي الدولة الإيرانية، حصل على درجة الدكتوراه في القانون في جامعة لوزان في سويسرا، وعاد الى إيران في عام 1914م، إذ عُيّن رئيساً لحكومة مقاطعة فارس في عام1921م، ثم عُين وزيرا للاقتصاد وبعدها وزيرا للشؤون الخارجية لمدة وجيزة كما انتخب عضوا في البرلمان في عام 1923م، عارض انتخاب (رضا خان شاه) لإيران، فأجبره الشاه على اعتزال الحياة السياسية في عام1941م، عاد مصدق الى الحياة السياسية عندما انتخب مجدداً للبرلمان في عام 1944م، دافع مصدق بكل جرأة عن القومية، ولعب دوراً مهماً في معارضة منح الإتحاد السوفيتي امتياز العمل في حقول النفط شمالي ايران، كذلك الإمتيازات المعطاة لبريطانيا في جنوبي إيران، وبنى مصدق قوة سياسية ذات ثقل كبير، أساسها دعواته الى تأميم شركات النفط، وفي عام 1951م، أجاز البرلمان الإيراني تأميم النفط، فزادت قوة مصدق وشهرته، الأمر الذي أجبر الشاه على تعيينه رئيساً

على مبدأ (ولاية الفقيه) مجسدة دستورياً بـ(مؤسسة الولي الفقيه)، والتي ظهر في إطارها نظام تتوازى فيه المؤسسات الدستورية (التشريعية، والتنفيذية، والقضائية) تاركاً نوعاً من الإزدواجية، وبمعنى آخر وجود ازدواجية مؤسسية او (ثنائية) في السلطة من داخل هيكل النظام السياسي الإيراني والتي تتمثل في، الأولى: مؤسسات دستورية (معينة) تجسد المبدأ الإسلامي للنظام، والأخرى: مؤسسات دستورية (منتخبة) تمثّل الأساس الجمهوري للنظام السياسي، كما ان هناك (ثنائية) أخرى من داخل السلطات الثلاث نفسها والتي تكمن في: الأولى داخل السلطة التشريعية متمثلة بـ(مجلس الشورى الإسلامي، ومجلس صيانة الدستور)، والثانية داخل السلطة التنفيذية متمثلة بـ(رئيس الجمهورية ورئيس الوزراء حتى التعديل الدستوري في عام 1989م) والثالثة/ داخل المؤسسات الأمنية المتمثلة بـ(الجيش النظامي، والحرس الثوري، ومعه الباسيج)

وعلى هذا الأساس يتكوَّن هيكلُ النظام السياسي الإيراني من أربع سلطات هي مؤسسة القيادة (الولي الفقيه أو المرشد)، والسلطات الثلاث: (التشريعية، والتنفيذية، والقضائية) القائمة على أساس الفصل المرن بين السلطات، إذ هناك علاقات واختصاصات متشابكة ومشتركة ما بين تلك المباني الأربعة للنظام.

والذي يهمنا هنا، هو التركيز على مؤسسة الولي الفقيه وما لها من دور رئيسي تلعبه من الناحية الواقعية والمعنوية والذي يجسّد ثقل المؤسسة الدينية في الحياة السياسية الإيرانية.

يُعدُّ منصب الولي الفقيه اقوى مؤسسة في إيران الى حد بعيد، ويرتبط هذا المنصب بشكل لصيق بالنظرية السياسية الدينية «ولاية الفقيه» التي نادى بها آية الله الخميني، وعلى هذا الأساس يُستعمَلُ في إيران مصطلح (المرشد الأعلى للثورة) و(الولي الفقيه) عموماً كمترادفي.[48]

ويجعل الدستور الإيراني الإيمان (بولاية الفقيه) من الركائز الأساسية للجمهورية الإسلامية، فلا يستقيم نظامُها إلَّا بها، ولا يكتسب شرعيته إلَّا بأعمالها، وبناءاً على ما تقدم فإن المرشد يتمتع بوضع شديد التميّز والتمدّد أيضاً، لأنه باختصار شديد يتدخل في عمل مختلف سلطات الدولة[49]، وقد أكدت ذلك المادة (5) من الدستور الإيراني، إذ تقول: (في زمن غيبة الإمام المهدي (عجل الله تعالى فرجه) تكون ولاية الأمر وإمامة الأمّة في جمهورية إيران الإسلامية بيد الفقيه العادل المتقي البصير بأمور العصر الشجاع القادر على الإدارة والتدبير).[50]، في حين

للوزراء، واستمرت مسيرة الصراع على تطوير الحكومة بين الرجلين، بعدها حاول الشاه صرف مصدق عن عمله رئيساً للوزراء في عام1953م، فخرجت الجماهير المؤيدة (لمصدق) للشوارع مدافعة عنه، ومجبرة الشاه على مغادرة البلاد. ولكن بعد ايام قليلة، وبدعم من الولايات المتحدة الأمريكية نُحي (مصدق) عن الحكم، وعاد الشاه الى البلاد وحكم على مصدق بالسجن ثلاث سنوات بتهمة الخيانة، وبعد انتهاء المدة فُرضت عليه الإقامةُ الجبرية في منزله في قرية «أحمد آباد» الى ان توفي في عام 1967م. ينظر: ذبيان الشمري، إيران: محمد غيث الحاج حسين، ضرورة الثورة الإسلامية عهد مصدق، موقع الادان 11 ت1، 2007.

(44) سلطان محمد النعيمي، مصدر سبق ذكره، ص43ـ44.

(45) كانت هناك قوى اخرى معارضة لنظام الشاه، لعبت دوراً فعالاً بقيام الثورة واسقاط الشاه في عام 1979م، وكان أهم هذه القوى:

المثقفون الليبراليون (نهضة التحرير)، وعلى رأس هذه الجماعة (مهدي بازركان)، الذي اصبح فيما بعد رئيس وزراء الحكومة المؤقتة بعد سقوط النظام.

الإصلاحيون، وهم بالأساس من المتأثرين بأفكار المفكر الإسلامي (علي شريعتي).

الوطنيون التقليديون، ويمثّل هذا التيار(الجبهة الوطنية) وهي: من أقدم الأحزاب السياسية في إيران، وبرز منها: (محمد مصدق) الذي تولى رئاسة الحكومة مدة الخمسينات، وقام بتأميم صناعة النفط الإيراني.

اليسار الإيراني، وعلى رأسها حزب (توده) الشيوعي، وجماعات الفدائيين (فدائيي خلق)، ومجاهدي خلق التي كانت تتبنى الأفكار الشيوعية والإشتراكية.

ينظر: آمال السبكي، مصدر سبق ذكره، ص209 ـ 213.

(46) مجموعة باحثين، حراس الإيمان: المؤسسات الدينية، مصدر سبق ذكره، ص128.

(47) محمد السيد عبد المؤمن واخرون، مصدر سبق ذكره، ص64.

(48) ويلفريد بوختا، من يحكم إيران؟ بنية السلطة في الجمهورية الإسلامية الإيرانية، ترجمة: مركز الإمارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية، ابو ظبي، 2003، ص69.

(49) نيفين عبد المنعم مسعد، مصدر سبق ذكره، ص78.

(50) دستور الجمهورية الإسلامية في إيران، المشرق للثقافة والنشر، طهران، 2003، المادة (5).

ربطت المادة (57) السلطات الثلاث بالمرشد الأعلى إذ نصَّت على أن (السلطات الحاكمة في جمهورية إيران الإسلامية هي: (السلطة التشريعية، والسلطة التنفيذية، والسلطة القضائية)، وتمارس صلاحياتها بإشراف ولي الأمر المطلق، وإمام الأمة، وذلك وفقاً للمواد اللاحقة في هذا الدستور، وتعمل هذه السلطات مستقلة عن بعضها البعض)[51]، وبحسب نص هذه المادة المذكورة، فإن نطاق عمل وصلاحيات مؤسسة (القيادة /المرشد) يستوعب جميع السلطات الثلاث الأخرى مما يعني: أنها مؤسسة فوقية/ إحتوائية، اي أنها تعلو فوق السلطات الثلاث: وهي في ذات الوقت تحتوي هذه السلطات[52].

(51) المصدر نفسه، المادة (57).

(52) محمد السعيد عبد المؤمن وآخرون، مصدر سبق ذكره، ص69.

فقد نصَّت المادة (109) من الدستور الإيراني على الشروط والصفات الواجب توافرها في القائد وهي:

1 - الكفاءة العلمية اللازمة للإفتاء في مختلف أبواب الفقه.

2 - العدالة والتقوى اللازمتان لقيادة الأمّة الإسلامية.

3 - الرؤية السياسية الصحيحة والكفاءة الإجتماعية والإدارية والتدبير والشجاعة والقدرة الكافية للقيادة، وعند تعدد من تتوفر فيهم الشروطُ المذكورة يفضلُ مَن كان منهم حائزاً على رؤية فقهية وسياسية أقوى من غيره.

أمَّا عن وظائف القائد وصلاحياته[53] فقد حددت المادة (110) من الدستور وظائف وصلاحيات القائد، وهي كالآتي:

(53) ومن الجدير بالذكر هنا «ان للمرشد فضلاً عن ما ذكر من صلاحيات ومهام مناطة به حق إعادة النظر في الدستور، وذلك بالتشاور مع مجمع تشخيص مصلحة النظام وعلى وفق حكم موجه الى رئيس الجمهورية. وللمزيد من التفاصيل ينظر» المادة (177) من الدستور الايراني.

1 - تعيين السياسات العامة لنظام جمهورية إيران الإسلامية بعد التشاور مع مجمع تشخيص مصلحة النظام.

2 - الإشراف على حسن إجراء السياسات العامة للنظام.

3 - إصدار الأمر بالإستفتاء العام.

4 - القيادة العامة للقوات المسلحة.

5 - إعلان الحرب والسلم والنفير العام.

6 - نصب وعزل وقبول إستقالة كل من:

أ - فقهاء مجلس صيانة الدستور.

ب - أعلى مسؤول في السلطة القضائية.

ت - رئيس مؤسسة الإذاعة والتلفزيون في جمهورية إيران الإسلامية.

ث - رئيس أركان القيادة المشتركة.

ج - القائد العام لقوات حرس الثورة الإسلامية.

ح - القيادات العليا للقوات المسلحة، وقوى الأمن الداخلي.

1 - حل الإختلافات، وتنظيم العلاقات بين السلطات الثلاث.

2 - حل مشكلات النظام التي لا يمكن حلها بالطرق العادية عن طريق مجمع تشخيص مصلحة النظام.

3 - إمضاء حكم تنصيب رئيس الجمهورية بعد انتخابه من الشعب. أمَّا بالنسبة لصلاحية المرشحين لرئاسة الجمهورية من حيث توفر الشروط المعينة في هذا الدستور فيهم، فيجب ان تحصل قبل الانتخابات على موافقة مجلس صيانة الدستور، وفي الدورة الأولى تحصل على موافقة القيادة.

4 - عزل رئيس الجمهورية مع ملاحظة مصالح البلاد، وذلك بعد صدور حكم المحكمة العليا بتخلفه عن وظائفه القانونية او بعد رأي مجلس الشورى الإسلامي بعدم كفاءته السياسية، على أساس من المادة (89).

5 - العفو او التخفيف من عقوبات المحكوم عليهم في إطار الموازين الإسلامية بعد اقتراح رئيس السلطة القضائية، ويستطيع القائد ان يوكل شخصاً لأداء بعض وظائفه وصلاحياته.

من جانب آخر يتمتع (الولي الفقيه) «بنفوذ كبير» شامل لكل شؤون إيران، ونافذ في كل مؤسسات النظام[54]. فضلاً عن كل ما ذكرناه من اختصاصات وصلاحيات دستورية[55]، إلا ان له من الناحية الواقعية نفوذاً بارزاً في الساحة السياسية الإيرانية، فـ (للولي الفقيه) مكتب وهيأة موظفين، وطاقم مستشارين، وممثلين في أجهزة الدولة، ومؤخراً جهاز مخابرات، فعلى سبيل المثال، يقوم مكتب المرشد الأعلى، «وهو المؤسسة الرسمية التي يمارس عن طريق المرشد الأعلى سلطته»، إذ يقوم بترتيب اجتماعات المرشد، ومناسبات ظهوره وزياراته، كما يقوم بإطلاعه على آخر الأحداث والتطورات السياسية في إيران. كما يشكل (ممثلو المرشد الأعلى) عنصراً رئيساً آخر في سلطة خامنئي ويرتبطون بشكل وثيق بمكتبه، ويعينهم او يوافق عليهم بصورة شخصية، وهؤلاء (الممثلون) موجودون في كل وزارة ومؤسسة حكومية

(54) محمد السعيد عبد المؤمن وآخرون، إيران: جمهورية إسلامية أم سلطنة خمينية؟، مصدر سبق ذكره، ص 86.

(55) وللمزيد من الإطلاع على الصلاحيات الدستورية للولي الفقيه راجع: المادة (110) من الدستور الإيراني.

مهمة وفي معظم الهيآت الثورية والدينية، وكلهم تقريباً من رجال الدين، وأغلبهم يحملون درجة «حجة الإسلام» ويشكّل هؤلاء الممثلون في مجموعهم شبكة سيطرة متنوعة في طول البلاد وعرضها، إذ تكرس جهودها لغرض سيطرة المرشد الأعلى بما يضمن أكبر قدر ممكن من المراقبة لأي إنحرافات في العقيدة[56].

(56) ويلفريد بوختا، من يحكم إيران؟...، مصدر سبق ذكره، ص 69 – 70.

الخاتمـــة

مارست الزعامةُ الدينية نشاطاً مهماً في حياة إيران الدينية والسياسية، وربما كان العهدُ الصفوي يُعدُّ بمثابة الحقبة الذهبية في تاريخ (الحوزة العلمية)، والتي إمتدت إلى العهد القاجاري، وفي غضون هذين العهدين وقفت موقف المعارض أحياناً، وبالتعايش المهادن أحياناً أخرى. أمَّا العهد البهلوي فقد كان موقفها متصلباً، وفي معظم الأحايين معادياً، وكان موقف السلطة منها أشدَّ تصلباً، واستمر الموقف على هذه الشاكلة قرابة نصف قرن حتى بلغ ذروته في قيام الثورة الإيرانية في عام (1978-1979)، على الحكم البهلوي، وإسقاطه نهائياً.

وبعد نجاح الثورة الإيرانية، أُسس نظام الجمهورية الإسلامية في إيران بقيادة آية الله (الخميني). ولقد صِيغَ هذا النظام السياسي، نظاماً إسلامياً قائماً على أساس نظرية «ولاية الفقيه» التي هي محور هذا النظام، وأساس شرعيته، وهذه النظرية التي لم تأتِ من فراغ، إذ جاءت نتيجة لتضافر جهود الفقهاء من داخل المؤسسة الدينية الإيرانية.

لقد جاء هذا النظام ليمزج بين مفردات إسلامية مع أخرى ديمقراطية لتظهر بشكل جلي خصوصية هذا النظام، والتي تميّزه عن باقي أنظمة العالم إذ إستندت شرعية هذا النظام الى مبدأين أساسين: الأول / «المبدأ الإسلامي»، والذي يجسّد الشرعية الإلهية للنظام، والآخر/ «المبدأ الجمهوري» ممثلاً للشرعية الشعبية. ولقدِ انعكست هذه الثنائية على مؤسسات النظام الدستورية لنكونَ أمام نوعين من المؤسسات هما: «مؤسسات دستورية معيّنة» تجسّد إسلامية النظام، كمؤسسة الولي الفقيه (والتي تعدّ التجسيد الدستوري للدور السياسي للمؤسسة الدينية الإيرانية ودورها القيادي والريادي في الحياة السياسية الإيرانية)، ومجلس صيانة الدستور ومجمع تشخيص مصلحة النظام «وبالمقابل هنا مؤسسات دستورية منتخبة» قائمة على آراء الشعب، وتستخدم آليات ديمقراطية مثل الإنتخابات والتداول السلمي للسلطة، وتتجسد هذه بمجلس الشورى الإسلامي ورئاسة الجمهورية ومجلس الخبراء، مع إقرارنا بسطوة المؤسسات (المعيّنة) على المؤسسات (المنتخبة)، وهذا ما يؤكد أهمية وقيمة المؤسسة الدينية الإيرانية وتحكمها بالواقع السياسي والإجتماعي الإيراني.

المُراسِلُ الحربيُّ التلفزيوني

الباحث كاظم عيدان شديد* * باحث من العراق

أولًا: مَدْخَل

إن الحرب على العراق من الجماعات الإرهابية لم تكن حربا عسكرية فحسب بل كانت حرباً ميدانية وحرباً إعلامية، فضلا عن أنها أحيانا أكثر حدة من الأولى، واتصفت التغطية الإعلامية للحرب على العراق بكثافة غير معتادة وتدفق غير مسبوق للأخبار والتقارير والصور، كما ظهرت في هذه الحرب تكنولوجيا متطورة جعلت منها حدثاً بصرياً وتكنولوجياً استثنائياً، ولكنها في الوقت ذاته كانت أكثر الحروب ممارسة للتضليل والتوجيه باستعمال التقنية السمعية البصرية الحديثة، مما دفع القنوات الفضائية العراقية الى إرسال المراسلين الحربيين الى الخطوط الأمامية للحرب لأجل استقصاء المعلومات من أرض الحدث عوضا عن تلقيها من مصدر خارجي، وهذه سابقة في حد ذاتها إذ صار الإعلام العراقي المرئي مصدراً للأخبار، وفي ضوء ذلك تضمُّ القنوات الفضائية أعداداً من المراسلين، الموجودين في مناطقَ تكون فيها أحداث تستحق المتابعة الإعلامية ومهمة للجمهور والمؤسسة الإعلامية على حد سواء، إذ يقومون بتغطية الأحداث وموافاتها بالأخبار والمعلومات والتقارير حول الأحداث العسكرية الجارية.(*)

وتحصل القنوات الفضائية غالبا على العديد من التقارير الإخبارية، وتقدم للجمهور وقائع ومعلومات[1]، لا سيما وأنهم يشكّلون مفصلا مهما وحيويا لأي قناة تلفزيونية تسعى الى التميز والى استقطاب الجمهور[2]، فضلا عن بثهم رسائلهم الاتصالية المتمثلة بالتقارير الإخبارية التلفزيونية، يقوم المراسل الحربي بشرح التطورات والتفاصيل الخاصة بالخبر[3]، فعلى الرغم من الدور الذي تؤديه الجودة العالية وتقنيات الصورة في الارتقاء بمكانة القناة، إلا أن المراسل يبقى له الدور الأهم في

(*) ينظر ملحق رقم (2).

(1) مهند علي تهامي وسؤدد الآلوسي، النظام الإعلامي العربي نحو نموذج نظري جديد، عمان: دار أسامة للنشر والتوزيع، 2012، ص76.

(2) محمد معوض، الخبر الإذاعي والتلفزيوني، القاهرة: دار الكتب الحديثة، 2000، ص36.

(3) محمود حسن إسماعيل، التنشئة السياسية دراسة في دور أخبار التلفزيون، القاهرة: دار النشر للجامعات، 1997، ص80.

نجاح القناة أو فشلها، ويساهم عن طريق تعزيز المعلومات اثناء تقديم الأخبار[4].

والمراسلون الذين تبعث بهم وسائل الإعلام هنا وهناك لموافاتها بآخر الأخبار وأهمها وأحدثها على أنواع منهم[5]:

1 - **المراسل الداخلي**: هو المراسل الذي يعمل داخل الوطن، ولكنه في مدينة غير التي بها المحطة[6].

2 - **المراسل الخارجي**: هو المراسل الذي يتّخذ مقر عمله في احدى العواصم العالمية خارج أرض الوطن[7].

3 - **المراسل الإقليمي**: هو المراسل الذي يختصُّ بتغطية الأخبار في منطقة أو إقليم معين، أو مجموعة دول تشكل وحدة بشرية أو جغرافية كمنطقة الشرق الأوسط أو شمالي أفريقيا أو جنوبي آسيا[8].

4 - **المراسل المؤقت**: هو الصحفي الذي توفده محطته الى مكان معين في العالم لتغطية حدث مهم إخباريا، ثم لا يلبث أن يعود الى المحطة مرة أخرى بعد انتهاء مهمته[9].

5 - **المراسلون الحربيون**: ويبرز نشاطهم وأهميتهم أثناء الحروب والنزاعات المسلحة في تحمل الأخطار ومواجهة الظروف غير الطبيعية لتغطية أنباء المعارك في جبهات القتال، فيكونون تارة في الخطوط الأمامية مع الجنود، وتارة مع الجيوش حين زحفها وقتالها[10]. وللقيام بهذا الواجب نجد فريقَ عملٍ خاصاً يؤهل للقيام بمهمة الحصول على الأخبار العسكرية والتعليق عليها وتحليلها، وهنا تظهر أهمية المراسل الحربي، وهذا الفريق يتمثل في[11]:

أ. رئيس قسم الشؤون العسكرية Chief Military Editor: هو المشرف أو المسؤول على تنفيذ السياسة العامة للمؤسسة الإعلامية وهو صاحب القرار التنفيذي بشأن الرسالة الاتصالية الحربية.

ب. المحرر العسكري Military Editor: هو المحرر العلمي الذي يقوم بترجمة وتبسيط المعلومات الحربية والعسكرية الى لغة سهلة وسليمة يفهمها المشاهد العادي والجندي محدود المعلومات.

ت. الناقد الحربي Military Ceitic: هو الشخص الذي يقيّم وينقد الخطط الحربية والشؤون العسكرية إذا كانت خبرته وسمعته في المحيط الحربي

(4) توماس فيرينكزي، الصحافة، بيروت: البحار ناشرون والهلال للطباعة والنشر والتوزيع، ترجمة أنسام الأسعد، 2013، ص76.

(5) عبد النبي خزعل، فن تحرير الأخبار والبرامج في الفضائيات التلفزيونية والقنوات الإذاعية، بيروت: دار النهضة العربية، 2010، ص162.

(6) رفعت عارف الضبع، الخبر، القاهرة: دار الفجر للنشر والتوزيع، 2011، ص180.

(7) خالد مجد الدين محمد، مصدر سبق ذكره، ص95.

(8) رفعت عارف الضبع، مصدر سبق ذكره، ص184.

(9) كرم شلبي، الخبر الاذاعي وفنونه وخصائصه في الراديو والتلفزيون، مصدر سبق ذكره، ص45.

(10) عبد النبي خزعل، فن تحرير الأخبار والبرامج في الفضائيات التلفزيونية والقنوات الإذاعية، مصدر سبق ذكره، ص163.

(11) محمود محمد الجوهري، المراسل االحربي، الاسكندرية: دار المعارف، 1999، ص13.

لها اعتبارها أو كان صاحب عقلية عسكرية لها وزنها وقيمتها عند أولي الشأن من رجال الحرب.

ث. المراسل الحربي MilitaryCorrespondent: هو المندوب الذي يرسل الى ميدان القتال في مهمة خاصة أثناء الحرب، وهذه الوظيفة لا توجد إلا في حالة الحرب، وهي من أهم فقرات فريق العمل لأنه يعد مصدر المعلومة.

ويرى الباحث أن المراسلين الحربيين يعدون الركيزة الأساسية للمؤسسات الإعلامية ولا سيما القنوات الفضائية الإخبارية التي زجت مراسليها الى الميدان من أجل الحصول على تغطية إخبارية تلفزيونية عن العمليات العسكرية وكرست تلك التغطية لاجراء مقابلات ميدانية مع القادة والجنود والمتطوعين.

ثانيًا: مفهوم المراسل الحربي

يختلف مفهوم المراسل الحربي لدى الكثير من الباحثين، فمفهوم الصحفي يشمل المراسل الحربي والصحفي المستقل وينطبق عليهما ذات المعنى لاسيما أن المراسل الحربي يرافق القطعات العسكرية، بتصريح منها ويمارس الصحفي عمله بعيدا عن القطعات العسكرية، والأمر مختلف تماما للعاملين في الاعلام الحربي[12]، بناءا على ذلك رأينا تغيير الأسلوب والانتقال من العمل التقليدي المتمثل بالمراسل الثابت، نقصد هنا ثابت المكان، الذي يمكن توقع حركته وأماكن وجوده، إلى المراسل المتنقل حسب العمليات العسكرية الذي يرسل الخبر بنفسه من دون الحاجة إلى اشخاص آخرين[13].

وتجدر الاشارة الى أن أول تعريف وضع للمراسل الحربي هو الذي تضمنته المادة (2/أ) من مشروع اتفاقية الأمم المتحدة لحماية الصحفيين الذين يقومون بمهام خطرة[*] في مناطق النزاع المسلح إذ جاء فيها: «كل مراسل أو مخبر صحفي ومصور تلفزيوني ومصور فوتوغرافي ومساعديهم الفنيين في السينما والإذاعة والتلفزيون الذين يمارسون النشاط المذكور بشكل معتاد بوصفه مهنتهم الأساسية»[14]، ويعرف «قاموس القانون الدولي الإنساني» المراسل الحربي في زمن النزاعات المسلحة بأنه «الشخص الذي يسعى إلى الحصول على المعلومات أو يقوم بالتعليق عليها أو يستخدمها لغرض نشرها»[15]، ويرى «الجوهري» أن المراسل الحربي «Military Correspondent» هو المندوب الذي يرسل الى ميدان القتال في مهمة خاصة أثناء الحرب، وهذه الوظيفة لا توجد إلا في حالة الحرب»[16]، ويعرف «هاشم حسن»

(12) جميل حسين الضامن وأحمد ابو الوفا، المسؤولية الدولية عن انتهاك حماية الصحفيين ووسائل الاعلام أثناء النزاعات المسلحة في ضوء أحكام القانون الدولي، القاهرة: دار الكتب القانونية، 2012، ص27.

(13) عبد الرحمن الراشد، المراسلون الجريئون، بغداد: دار المدى للثقافة والنشر، 2014، ص275.

(*) مفهوم المهمة الخطرة: أن نص المادة (179) لم يوضح ما المقصود بالمهام المهنية الخطرة في مناطق النزاع المسلح، ولعل المقصود بها أنها المهمة التي تغطي كل نشاط يعدُّ جزءاً طبيعيا من وظيفة الصحفي في معناها الواسع، وأن المهمة الخطرة تتمثل في تلك المهمة التي تمارس في مناطق النزاعات المسلحة والتي يمكن أن يتعرض الصحفي خلال وجوده فيها الى مخاطر جدية تهدد حياته أو سلامة جسده، ويرى آخرون أن المقصود بالمهام الخطرة في مناطق النزاع المسلح هي المهام التي تجرى في مناطق تشهد أعمالا عدائية وتشكل خطرا حالا على حياة الصحفي وليس المقصود أن نعطى تحديد جغرافي لمناطق نزاع محدد، ينظر: جميل حسين الضامن وأحمد ابو الوفا، مصدر سبق ذكره، ص87.

(14) جميل حسين الضامن وأحمد ابو الوفا، مصدر سبق ذكره، ص28.

(15) المصدر نفسه، ص28.

(16) محمود محمد الجوهري، مصدر سبق ذكره، ص16.

المراسل الحربي: «بأنه مراسل صحفي يرافق القوات المسلحة أثناء قيامها بواجباتها المسلحة، ويضطلع بمهمة تزويد وسائل الإعلام بالتقارير الإخبارية والتحقيقات الصحفية، والصور الفوتوغرافية والسينمائية وغيرها من المواد الإعلامية، ويحمل تصريحاً رسمياً يسمح له بموجبه في مرافقة القوات المسلحة أو المرابطة في أرض المعركة»[17].

(17) هاشم حسن، مصدر سبق ذكره، ص36.

ثالثًا: صفات المراسل الحربي التلفزيوني

إن أكثر المهمات التي يضطلع بها المراسل الحربي، هي إغناء الجمهور بالمعلومات الحربية عن العمليات العسكرية بعد صياغتها بما يتفق وطموح ونهج المشاهد، فهو الاوسع معرفة بالمكان الذي يعمل فيه أو هكذا يفترض أن يكون على اطلاع بالمعلومات، فالمعلومات هي مادة الإعلام الدسمة كانت ولا تزال عصب الحرب[18]، الأمر الذي يجعل المراسل الحربي الأقرب الى معرفة الزمان والمكان وأبعادهما الأخرى التي لا يعرفها المشاهد البعيد، وعليه فالمعرفة الواسعة التي يقتضيها مثل هذا الأمر ينبغي أن يكون توفرها من المسلمات، وإلا فإن سبب وجود المراسل الحربي ينتفي ويمكن أن تحل محله البيانات العسكرية، لذا يتطلب من المراسل الحربي أن تكون له الخبرة[19].

(18) اسماعيل محمود عبد الرحمن، الإعلام والارهاب والثقافة البديلة، الاسكندرية: مكتبة الوفاء القانونية، 2014، ص21.

(19) نوفل الجنابي، المراسلون الجريئون، بغداد: دار المدى للثقافة والنشر، 2014، ص126.

كما أن على المراسلين الحربيين أن يكونوا أمينين في نقل الواقع الذي يخدم القضية من دون أن يختلقوا الاخبار وينشئوا القصص والتقارير التي تهدد مصداقية المحطات التلفزيونية، فهي محطات خدمة إخبارية تهدف إلى إيصال خبر سريع ودقيق ويتمتع بأكبر قدر ممكن من المصداقية، وكلمة (ممكن) لأن المصداقية من المطلقات وهي تتأثر بما حولها من ظروف خارجة عن إرادة المراسل والقناة نفسها. [20]

(20) نوفل الجنابي، مصدر سبق ذكره، ص126.

والمراسل الحربي أمين على جيش بلاده وأنه مزود بكل الوسائل التي تكفل له أداء مهمته من حرية الى اتصال مباشر بضباط الشؤون العامة في جبهات القتال[21]، فعرفت الصحافة مهمة المراسل الحربي الذي ينتقل الى ميادين الحرب ويختلط بالجنود ويعيش معهم وينقل أخبار المعارك وصورها، في سبيل تعزيز معلومات الجمهور، وما يحدث فيها من مواقف إنسانية وما يقوم به القادة العسكريون من تخطيط عسكري وتغيير الخطط تبعا لسير المعارك والحروب وأن يخضع في تحركاته الى إستراتيجية خاصة بأوامر الوحدات الحربية الميدانية[22]، وهناك اعتبارات وصفات خاصة ينبغي أن تتوفر للمراسلين الحربيين من بينها ما يتعلق

(21) محمود محمد الجوهري، مصدر سبق ذكره، ص33.

(22) عبد الرزاق علي الهيتي، مصدر سبق ذكره، ص27.

بالإلمام بالعمل وتخصصاته، ومن بينها ما يتصل بشخصيته وقدراته، وهذه الصفات والاعتبارات للمراسل الحربي يمكن تفصيلها على النحو الآتي: [23]

1 .يجب أن يكون المراسل الحربي ذا شخصية تحوز القبول وتوحي بالثقة(*) به والاطمئنان إليه وسماعه ومشاهدته، وهي غاية لا يصل إليها إلا من توفرت فيه صفات معينة في النواحي الجسمية والنفسية والذهنية والخلقية.

2 .ذو خبرة عملية، وأن يكون مؤهلا آكاديميا في مجال الإعلام، مُلمّاً بلغة أجنبية، في الأقل بمصطلحات مهنته، ويجب أن يكون ملماً بأصول الحوار التلفزيوني وما يجب أن يطرحه من أسئلة والطريقة التي تمكنه من الحصول على المعلومات.

3 .قوة الملاحظة والموهبة والقدرة على استيعاب كل جديد، وأن يكون ذا ذاكرة تعي الأرقام وتختزن الحقائق، فإن القدرة على الملاحظة الدقيقة لا غنى عنها، وفائدة التقارير تقوم على دقتها التي لم يمسها التحوير والتغيير.

4 .الحس الصحفي الذي يؤهله تأهيلا كاملا لتطبيق هذه القواعد والإستفادة منها، فهي على رغم من أهميتها تعد من العوامل المساعدة.

5 .القدرة على الإتصال والتكيف مع الجمهور حسب الثقافة والمستوى التعليمي واللغة، والقدرة على خلق أصدقاء في مجال عمله، عن طريق إجراء مقابلات مع الجنود والقادة الميدانيين، والقدرة على التفاعل والتفاهم مع الجمهور وخلق روح العمل كفريق، وان العلاقات الانسانية هي جزء لا يتجزأ من العمل ومن ثمَ تصبح المهارة الإنسانية شرطا أساسيا[24].

6 .الثقافة شرط أساس لاسيما في مجال التخصص وأن تكون عميقة بعيدة عن السطحية بالنسبة لرجل الإعلام الحربي، يضاف لكل ما سبق كفاءة علمية عسكرية، وهذا يتطلب منه أن يعرف أنواع الاسلحة المستخدمة في ميدان القتال، وخبرة ميدانية عسكرية، والمقصود هنا في مجال الإعلام والتغطيات والتحليلات وتحرير الأخبار فيما يخص المجال العسكري.

7 .أن يكون صحفيا شاملا، يتمتع بالمهارات المتعددة واللازمة لمواكبة العصر وتطوراته من سرعة في تغطية الأحداث، فالأحداث التي يمر بها العراق جعلت المراسل الحربي قادراً على القيام بمهام المصور والمحرر والمونتاج، ليقوم بالكتابة والتصوير والمونتاج على الدرجة نفسها من الاتقان، لكي يعزز تقاريره

(23) ينظر الى:
ـ نوفل الجنابي، مصدر سبق ذكره، ص27.
ـ علي بن عبد الله الكلباني، الإعلام العسكري، مصدر سبق ذكره، ص196.
ـ كرم شلبي، الخبر الاذاعي فنونه وخصائصه في الراديو والتلفزيون، مصدر سبق ذكره، ص48.
ـ محمود محمد الجوهري، مصدر سبق ذكره ـ 141.

(*) الثقة: تعني احترام الإنسان لذاته، واعتزازه بشخصيته، وقدرته على التعلم والتفكير وقدرته على صنع القرارات من خلال رؤية شاملة للبدائل المطروحة أمامه والقدرة على اتخاذ القرار من خلال استعداده لتحمل المسؤولية. ينظر: عبد الباري إبراهيم درة، المهارات العشر للثقة بالنفس النظرية والتطبيق، عمان: دار وائل للنشر والتوزيع، ط2، 2013، ص52.

(24) علي السلمي، السلوك الانساني في الادارة، القاهرة: دار غريب للطباعة، بلا تاريخ، ص226.

من ارض المعركة، حتى لا يحتاج معه في الميدان مصوراً خاصاً، والصورة أيا كان نوعها تعدُّ خبرا بصرف النظر عما يكتب تحتها، فقد تكون تعبيرية موضحة يفهم منها كل شيء.

8 .الموضوعية(*) كي يكون أكثر إقناعا، والسرعة في الأداء لما تتطلبه طبيعة الأحداث من سرعة.

9 .أن يتمتع بلياقة بدنية ونفسية للعمل كمراسل حربي والقدرة على تحمّل أعباء العمل في ظروف وأماكن خطرة، والقدرة العالية على التحمل، إذ من المرجّح التعرّض للأخطار ولمشاهد مؤلمة، فالمشاعر والعواطف تؤدي دوراً رئيساً في رفع مستوى الأداء.

10. أن تكون له الرغبة (والدافعية الذاتية)(*) للقيام بمهمة المراسل الحربي، والإيمان بعقيدته وبرسالته ووطنه ومبدئه وهدفه وبقواته المسلحة.

11. ينبغي أن يكون مثابراً على الإطلاع، ذكيا متحفظاً مستنيراً مرناً دقيقاً متتبعاً للتطورات العسكرية التي تجري في جيش بلاده وفي جيوش العالم بوجه عام إن أمكن.

(*) الموضوعية: مفهوم ظهر كرد فعل على التحيز وتشويه الحقائق بالحذف أو الإضافة التي هي من السمات التي تخالف الموضوعية، وقد حدد الباحث «سيغال ليون» بعض النقاط التي يرى الالتزام بها يحقق معنى الموضوعية وهي: (تقديم الأنباء في حياد تام- تقديم الأنباء الصادقة- فصل الأنباء عن الآراء- عرض وجهات النظر المختلفة في حال وجود آراء متباينة حول موضوع الخبر، مع أهمية ذكر المصدر). ينظر: عبد الكريم علي الدبيسي، المعايير المهنية في الصحافة الالكترونية، مجلة الاتصال والتنمية، بيروت: دار النهضة العربية، العدد الرابع، 2012، ص54.

(*) الدافعية: هي الرغبات والحاجات تسير وتوجه السلوك الانساني نحو أهداف معينة، فتكون الدافعية (Motivation) هي كل ما يتعلق بتلك القوى التي تنشط السلوك الإنساني، أو تحافظ عليه في مستوى معين أو توجهه وجهة معينة. ينظر: عبد الباري إبراهيم درة، مصدر سبق ذكره، ص217.

وفي ضوء ما تقدم يرى الباحث أن مهمة المراسل الحربي مع مهمة نقل المعلومات الى الجمهور، يقوم بنقل الواقع من قلب الميدان لأننا نلاحظ كل تجارب الماضي من حروب العالم همهم الوحيد أي (المراسلين الحربيين) الكتابة عن الحرب قصصا وأحداث إنسانية مر بها المقاتلون في جبهات القتال وبالتالي فأن مهمة المراسل الحربي الأساس هي نقل صور لا يراها الجمهور.

رابعًا: واجبات المراسل الحربي:

وقت السلم:

يقوم بتغطية الانشطة والفعاليات المتعلقة بالتشكيلات والمؤسسات العسكرية كالتمارين التعبوية والمظاهرات والمهرجانات والفعاليات الأخرى ذات الطابع العسكري، وقبالة هذا التطور في وسائل الاعلام والاتصال، أصبح تأثير الإعلام يمتد ليؤثر في الأمن القومي للدول[25].

(25) أسامة هيكل، مصدر سبق ذكره، ص41.

أ. وقت الحرب:

أولًا: أن التقدم والتطور التكنولوجي الذي حققته وسائل الإتصال أدى إلى تطور وسائل نقل التقارير والأخبار فكانت له إنعكاسات عميقة من حيث الكم والنوع

والأداء(*)، فبعد أن كانت تنقل الرسائل بوساطة الافراد استخدمت التكنولوجيا الحديثة لنقل الرسائل[26]، ولاسيما الأفلام التي تنقل المشاهد الحية، إذ ان قوة الصورة تمثل شاهدا قويا على لحظات تاريخية، لأن للصورة الأثر البالغ في التأثير في الجمهور المتلقي للمعلومات تكون في معظم الأحيان وليدة اللحظة وفي ظروف معينة وفريدة لا يمكن أن تتكرر، وغالبا ما يكون المراسل الحربي الذي ينقل الحدث مستعدا[27]، لنقل صورة واقعية عن سير المعارك أو الاستعدادات الجارية لها من ميدان المعركة مباشرة عن طريق عدة فنون صحفية وهي:

1 - الخبر التلفزيوني.

2 - التقرير التلفزيوني.

3 - التحقيقات والمقابلات التلفزيونية.

4 - التغطيات الإخبارية التلفزيونية المباشرة.

ثانيًا: في ضوء الفنون أعلاه يؤدي المراسل الحربي التلفزيوني الأدوار الآتية:

1 - تزويد القنوات الفضائية بالمعلومات التي تنسجم والسياسة الإعلامية له، ويقصد به الانتماء، أي مدى إستعداد المراسلين العاملين في المؤسسة للوقوف خلف أهدافها وغاياتها، والإنتماء إليها[28].

2 - تدوين الأحداث الحربية بشكل آني وواقعي حفظا لحقائق المعارك والمساهمين فيها وللإستفادة منها كدروس للمراحل وللأجيال القادمة، فالمحطات التلفزيونية هي محطات خدمة إخبارية تهدف إلى إيصال خبر سريع ودقيق يتمتع بأكبر قدر ممكن من المصداقية[29].

3 - المساهمة في تكوين رأي عام ايجابي ازاء الجهود المبذولة لخدمة العمليات العسكرية.

4 - المساهمة في تعزيز معنويات الجمهور والقطعات العسكرية من جانب والتأثير بالاتجاه السلبي في معنويات القوات العسكرية للعدو، عن طريق حذف الأخبار التي يمكن أن تساعد العدو، وإنتاج دعاية تؤدي إلى كسب الرأي العام[30].

5 - نقل حالات الاستبسال والأعمال البطولية الفردية والجماعية للاستفادة منها في تشجيع المقاتلين الآخرين للإقتداء بها من جانب، والمساهمة بتعميق مفاهيم البطولة والتضحية والفخر والإعتزاز بالنفس بالنسبة لجماهير الشعب

(*) أن التعريف الأساس للأداء: هو عبارة عن النتائج أو السلوك أو النشاط الذي يظهره الفرد أثناء العمل أو القيام بأي نوع من المجهود، وهو بذلك يتساوى مع مصطلح الانجاز.وهنا يمكن القول أن الاداء هو الانجاز الذي يعكس النتائج التي تترتب على السلوك الذي يقوم به الفرد في بيئة العمل.
ينظر: حسنين شفيق، الإعلام والتنمية البشرية أساسيات بناء الشخصية الإعلامية، مصدر سبق ذكره، ص323.

(26) عبد الباسط محمد عبد الوهاب، مصدر سبق ذكره، ص26.

(27) خالد مجد الدين محمد، مصدر سبق ذكره، ص96.

(28) فيصل بن جاسم بن محمد الأحمد آل ثاني، مصدر سبق ذكره، ص215.

(29) نوفل الجنابي، مصدر سبق ذكره، ص126.

(30) دايفد ميلر، مصدر سبق ذكره، ص98.

من جانب آخر، وفي المقابل فإنها تشعر الرأي العام بزيف العدو وادعاءاته من تضليل وكذب وانهم رسموا صورة للحرب عكس الحقيقة، بوصف الأخبار سلاحاً فيجب السيطرة عليها[31].

(31) عبد الرزاق محمد الدليمي، مصدر سبق ذكره، ص269.

6 - إعطاء تصور مناسب عن عوامل النصر أو الإندحار في ساحة المعركة عن طريق استقراء الأحداث وتطوراتها والتحليل الموضوعي لها، «وقد مارست القنوات الفضائية هذه الأدوار فكان عملها يتضمن الكثير من أنباء الحرب تتناولها بالتحليل والتعليق على اسبابها ونتائجها وما ستؤول إليه الامور بعدها، وتبين آثار الحرب على الاوضاع الاقتصادية والاجتماعية والسياسية لدى المناطق المجاورة لهذه المناطق التي تشهد الحروب والصراعات». [32]

(32) عبد الرزاق علي الهيتي، مصدر سبق ذكره، ص26.

خامسًا: الإلتزامات المفروضة على المراسل الحربي

عندما يصرح للمراسلين الحربيين بمرافقة القوات المسلحة في ميدان المعارك، لذا فإن المراسلين الحربيين قد وجدوا أنفسهم قبالة مسائل أكثر إثارة للقلق، وفي مقدمتها معالجة الأخطار التي قد تهدد صدقيتهم إن كانوا سيعدون شركاء للقوات العسكرية وليسوا مجرد مرافقين لها[33]. وتذكر «ألفت جمال الدين الطنطاوي»، مديرة ومنتجة في شبكة الفضائيات المصرية: «هناك فرق بين تغطية أخبار الاحداث الداخلية والأحداث الدولية، فيجب على المراسل الذي يشارك في تغطية أخبار القتال أن يدرك بأن تغطيته الإخبارية تؤدي دوراً سياسياً فضلا عن دوره الإعلامي، ويجب أن يدرك تداعيات نشر أو عدم نشر بيان أو نبأ معين.» [34] ويؤكد السيناتور «هيرام جونسون» عن حقيقة المعلومة وصدقها فيذكر: «هو زمن الصدق النسبي بالنسبة الى سياسات الإعلام الجماهيري، فالحقيقة هي الضحية الأولى عندما تنشب الحرب، والحقيقة أن الحرب كانت تشكل دائما أقصى اختبار للإستقلال الصحفي»[35]. وعليه كان بعض مراسلي الحرب يرَون أن تجربتهم مع الوحدات العسكرية تجسد تطورا في ممارسة المهنة في أثناء الحروب، فإنهم يعانون من مشقة إقناع جمهور وسائل الإعلام بالخطوة النوعية التي قطعتها وسائل الإعلام في تغطية الحروب، وذلك للأسباب الآتية: [36]

(33) روبرت هوديرن، مصدر سبق ذكره، ص448.

(34) ليزا شنيلنفر ومهند الخطيب، حرب الكلمات كيف يمكن للصحفيين العرب والأميركيين التفاهم لتحقيق تغطية إعلامية افضل، ترجمة: مفيد ديك، واشنطن: المركز الدولي للصحفيين، 2005، ص70.

(35) إيان هارجريفز، مصدر سبق ذكره، ص64.

(36) عبد الله الكندي، تغطية الصحافة العربية للحروب دراسات في فلسفات التغطية ومضامينها في حربي الخليج الثانية والثالثة، عمان: دار الفارس للنشر والتوزيع، 2008، ص38.

1 - إن القادة العسكريين لا يوافقون عادة على نشر الصور سوى تلك التي تبرز انتصاراتهم، وإذا لم يفعلوا فإنهم يحتجون ربما بقوة على كل من يحاول أن يكتبه بدون موافقتهم، إذا كانت تبث معلومات عن الجنود والضباط وتتحدث عن بطولاتهم، وكان لهذه الصور الحية الدور البارز في تقوية الروح المعنوية

لدى الجمهور بشكل عام وتعزيز روح التضحية لدى الجنود في جبهات القتال[37].

2 - إن صيغة التعامل مع المراسلين الحربيين تغيرت في الشكل، لكن هل تغير مضمونها هو الآخر تجاه غياب تعدد المصادر؟، وفي ظل غياب إمكانية الاستعانة بمصادر إخبارية غير عسكرية، فإن صعوبة تحرك المراسل الحربي في أرض المعركة بمفرده، وضيق المساحة التي لا تسمح له أن ينشط فيها والتي لا تمكنه من التحري فيما يقدم له من أخبار رسمية تسوغ التساؤل السابق[38].

3 - إن حرية التصرف في المادة الإعلامية التي يرسلها مراسلو الحرب تظل دائما في يد مسؤولي قاعة التحرير البعيدين عن حقائق أرض المعركة، وحرية التصرف تعني في قاموس التعامل الإعلامي إلغاء النشر، أو البث، أو تأجيل بثه الى غاية فقدان آنيته، ومن ثمَ أهميته، أو إعادة صياغته وتلخيصه، وغيرها، كما ذهب «روبرت فيسك» مراسل «الأندبندنت» أحد أهم الصحفيين الغربيين المتخصصين في شؤون الشرق الأوسط، إذ أشار الى أن: «كلا من شبكة CNN CBS ABC قد وافقت على وجود مسؤولين من مشاة البحرية الأمريكية بغرفة أخبار تلك الشبكات في ولاية أتلانتا للموافقة على مسودة تقارير المراسلين الحربيين قبل إذاعتها»[39].

سادسًا: معدات المراسل الحربي التلفزيوني

المراسلون الحربيون مرصودون، فحركتهم معروفة وأوقاتهم محددة سلفا، إنهم كما يقول الاصطلاح الإنكليزي (Sitting Ducs)[40]، والسلامة هي صفة إيجابية وجزء من أنجاز العمل بشكل جيد وسريع، ويجب أن تكون من أولويات المراسلين الحربيين، فالمراسل الجيد يقوم باستثمار الوعي بالسلامة، تماما كما يقوم بتنمية مهارات المقابلات والبحث عن الاحداث المهمة[41]، فالمراسلون الحربيون كالجنود يرتدون سترا وأقنعة واقية وقبعات قتالية ونظارات شمسية تعدُّ اسلحتهم على خط النار، يطالعنا المراسلون والموفودون الإعلاميون بصورة مغايرة لما اعتدنا رؤيته، رؤوس مغطاة بالخوذات الفولاذية العسكرية، وجعب مضادة للرصاص وثياب عملية ومعدات خفيفة ضرورية لإيصال الرسائل الإخبارية من أرض المعركة، فباتت المراسلات اكثر حضورا من الناحية العملية على حساب الناحية الجمالية والشكلية، ومع ذلك يتعرض الإعلاميون لخطر الموت بسبب الأسلحة الثقيلة والمتطورة المستخدمة في الحرب[42].

(37) عيسى محمود الحسن، الصحافة المتخصصة، مصدر سبق ذكره، ص82.

(38) عبد الله الكندي، مصدر سبق ذكره، ص38.

(39) هويدا مصطفى، الإعلام والأزمات المعاصرة، القاهرة: دار مصر المحروسة، 2008، ص116ـ115.

(40) نوفل الجنابي، مصدر سبق ذكره، ص24.

(41) الاتحاد الدولي للصحفيين، أخبار حية دليل البقاء للصحفيين، عمان: مطبعة فارس، 2003، ص3.

(42) حازم الحمداني، مصدر سبق ذكره، ص73.

سابعًا: الضغوط والعوامل المؤثّرة في المراسل الحربي التلفزيوني

تُعدُّ التغطية الإخبارية التلفزيونية الحربية من التغطيات المهمة والخطرة في مناطق الحرب، اذ تضع المراسل الحربي التلفزيوني أمام تحديات امنية ومهنية، ترتبط بصعوبة الحصول على المعلومات في بعض الأحيان، وعدم توفر المعدات اللازمة لحماية المراسل الحربي أثناء النزاعات في أحيان أخرى، إذ أنهم يعرضون حياتهم وسلامتهم للخطر، لا سيما التهديدات والمخاطر التي قد تصل الى مستويات عالية، فضلا عن أنها أصبحت جزءا من المهنة الإعلامية لا يمكن تجنبه، لذا فالهجمات العسكرية لها تأثير ملموس على عمل المراسل الحربي، فهي تقلل من عزيمته وهمته في التغطية التلفزيونية، وبالتالي فإنها تحرم الجمهور من حقه بالمعرفة، وهناك العديد من الضغوط التي تواجه المراسل الحربي التلفزيوني والتي تؤثر بدورها في أدائه الإعلامي منها:

أولًا: حظر بث أحداث منتقاة

«ليس هناك أخطر من مفهوم الأمن القومي على حرية الإعلام، فهو الحجة التي تستخدمها كل الحكومات في العالم لتقييد حرية الإعلام حتى في بريطانيا، إذ قالت (تاتشر رئيسة وزراء بريطانيا) عام 1988 إنه في وقت الحرب يجب أن توقف بعض حرياتك المدنية»[43]. ولان الحروب أساسا تحتاج الى مستوى عال من التعبئة الجماهيرية للإستمرار في الحرب وحسم نتيجتها، لذلك عرفت الجيوش أهمية الإعلام وأصبح لكل جيش في أي دولة إدارة خاصة تعنى بالإعلام، وتعمد للاتصال بالمؤسسات الإعلامية لمدَها بالأخبار والمعلومات العسكرية المرغوب نشرها، كما تحرص على عدم تسرب المعلومات العسكرية المؤثرة التي تمس أمن الجيش والوطن، لأن القيادات العسكرية والسياسية تعدان المعلومات حول الجيوش وإمكاناتها من الأمور السيادية التي يجب الحفاظ عليها[44]، كالأسرار العسكرية، فهذه القيود تمثل عائقاً على المراسل الحربي التلفزيوني، وتضع القنوات الفضائية أمام مسؤولية كبيرة تجاه تناول الأحداث العسكرية، وتأتي الجهات المسؤولة بحظر البث فيما تراه خشية عدم الدقة وعدم المصداقية والموضوعية في تناول هذه القضايا، وأحيانا يحظر البث تحت مسمى «حماية الأمن القومي»[45].

ويورد جاك نيلسون(*) وجهة نظر مماثلة لذلك، في نقاش حول وسائل الإعلام عقد بمدة وجيزة عقب انتهاء حرب الخليج الثانية: «أعتقد أن الأولويات حول ما يجب تغطيته كانت توضع بشكل واضح عن طريق جلسات الإيجاز، في يوم يكون التركيز

(43) سليمان صالح، أخلاقيات للإعلام، ط3، الكويت: مكتبة الفلاح للنشر والتوزيع،، 2012، ص355.

(44) عبد الرزاق علي الهيتي، مصدر سبق ذكره، ص26.

(45) حسنين شفيق، إعلام تحت التهديد التغطية الإخبارية من قلب الخطر الإنتهاكات والسلامة المهنية للإعلاميين، القاهرة:دار فكر وفن للطباعة والنشر والتوزيع، 2015، ص187.

(*) جاك نيلسون: مدير مكتب صحيفة لوس أنجلس تايمز في واشنطن.

في أنواع معينة من الغارات الجوية، وفي يوم ثان يجب التركيز في تلويث الخليج بالبترول أو إحراق الآبار، وفي يوم آخر تجد نفسك تركز في أسرى الحرب، إن المبادرة تأتي من الحكومة نفسها أو من الجيش» [46].

(46) علام خالد السرور وسؤدد فؤاد الآلوسي، مصدر سبق ذكره، ص182.

إن طبيعة أوضاع وأجواء تغطية الحروب تولد ضغطا ليس بالسهل على المراسل إذ تختلط معايير أخلاقيات الإعلام بسبب الظرف الذي يعيشه المراسل وما يشاهده من أحداث قد تؤثر في القيم الإعلامية، وبين الحاجة الى التخفيف لأقل درجة ممكنة من إثارة مشاعر الجمهور في الوقت ذاته [47].

(47) بسام عبد الرحمن المشاقبة، الاعلام المقاوم بين الواقع والطموح، عمان: دار أسامة للنشر والتوزيع، 2011، ص227.

ثانيًا: أخلاقيات المراسل الحربي

يُعرّف (كوهين وإليوت) أخلاقيات الصحافة « بأنها ذلك الفرع من الأخلاقيات المهنية الذي يتناول المشكلات المتعلقة بسلوك المندوبين الصحفيين والمحررين والمصورين الفوتوغرافيين، والمنتجين، وجميع المهنيين الذين يعملون في انتاج الأخبار وتوزيعها»[48]، لاسيما أن المواثيق الأخلاقية الإعلامية توفر إحساسا بالذاتية المهنية، وتشير الى نضج المهنة، وهي تساعد في تشكيل صورة واضحة عن ممارسي المهنة، وتحدد ما يتوقعه منهم المجتمع، والميثاق الأخلاقي يساعد على تحسين مستوى الأداء المهني، وتعزيز الإحساس الداخلي بالإنتماء للمهنة، والحرص على كرامة الإعلامي وصورته لدى المجتمع[49].

(48) سليمان صالح، مصدر سبق ذكره، ص355.

(49) مي العبد الله وعبد الكريم شين، المعجم في المفاهيم الحديثة للإعلام والاتصال المشروع العربي لتوحيد المصطلحات، بيروت: دار النهضة العربية، 2014، ص29.

الى جانب ما يتمتع به الذين يقومون بمهنة الإعلام ومنهم المراسل، من حقوق وضمانات، عليهم أن يلتزموا في المقابل بمجموعة من المسؤوليات والواجبات والمبادئ الأساسية أو القواعد السلوكية التي يشعرون إزاءها بنوع من الواجب أثناء ممارستهم لمهنتهم، كما أنها تمثل نوعاً من الضغوط عليه، وتتمثل في: [50]

- نقل الأخبار بدقة دون تحريف أو تشويه، وذكر الحقيقة من غير المراوغة أو تستر لا مسوغ له.
- الالتزام قدرَ الإمكان بالموضوعية والصدق ضمن سياق المعلومات المتاحة لتعزيز الحدث الإعلامي المرتبط بالتطورات العسكرية لاسيما في نقاط المواجهة.
- عدم الخلط بين الرأي والخبر في تغطية الأحداث العسكرية.
- الحرص على العمل من أجل التدفق الحر والمتوازن للمعلومات العسكرية.
- هناك إلتزامات خاصة بالمراسلين الذين يعملون في بلاد أجنبية بأن تكون كتاباتهم عن هذه البلاد دقيقة وعادلة.

(50) حسنين شفيق، إعلام تحت التهديد التغطية الإخبارية من قلب الخطر الإنتهاكات والسلامة المهنية للإعلاميين، مصدر سبق ذكره، ص187.

والقيم والأخلاقيات التي يجب أن يلتزم بها المراسل في بحثه عن الخبر وصياغته ويقدمه للجمهور، تجعله يتحمل مسؤوليات عدة، يمكن تصنيفها كالآتي [51]:

(51) مرعي مدكور، الصحافة الإخبارية، القاهرة: دار الشروق الأولى، 2002، ص160.

1 - تُجاه نفسه.

2 - مسؤوليته تُجاه المصدر.

3 - مسؤوليته تُجاه المجتمع.

1) مسؤولية المراسل الحربي تُجاه نفسه

تتحدّد مسؤوليةُ المراسل الحربي التلفزيوني تُجاه نفسه في [52]:

(52) حسنين شفيق، إعلام تحت التهديد التغطية الإخبارية من قلب الخطر الإنتهاكات والسلامة المهنية للإعلاميين، مصدر سبق ذكره، ص188.

أ. معرفة جيدة بالمجال الذي يعمل به، وهذه المعرفة طريقها العلم والتخصص الدقيق:

- الإعداد الجيد.
- تَلقّي التدريب المهني.
- الإلمام بعلوم العصر وثقافاته.

ب. التحرك السريع لمواقع الأحداث العسكرية، وليس معناه السبق الإعلامي من أجل الحصول على الأخبار وتسويقها، فالمسؤولية الإعلامية والأخلاقية تضيف الى عنصر السبق الإعلامي للمراسل الحربي التلفزيوني عنصر «القيم» فالعملية الإخبارية هنا هدفها إعطاء القوة والمناعة والقدرة على شق الطريق بالإقناع العقلي والاستمالة الوجدانية[53].

(53) حسنين شفيق، المصدر نفسه، ص188.

ت. حسن الأداء المهني، بمعنى التزامه المهني بالقيم والسلوكيات الأخلاقية أن يفضل العمل الجاد والدؤوب ليقدم المعلومات لجمهوره عن طريق[54]:

(54) مرعي مدكور، مصدر سبق ذكره، ص162.

- مشاركته في الأحداث بوجوده الدائم في مكان الحدث.
- مراقبة الحدث وملاحظته.
- توجيه الأسئلة للمصادر وشهود العيان.
- تكون هناك ثقة متبادلة بينه وبين مصادره.
- عدم المبالغة في سرده الأخبار التي يشتقها ومراعاته للحقائق الثابتة.
- خدمة الحقيقة وَحَدَها وعدم نشر جزء منها فقط لخدمته أو خدمة مؤسسته فالموضوعية هي الأساس بغية الحقيقة.
- عدم تحكيم مزاجه الشخصي في التهجم على المصادر أو الجمهور.

2) مسؤولية تعامل المراسل الحربي مع مصادره

إحترام المراسل لوعوده تُجاه المصدر، ولذلك يجب على المراسل أن لا يَعِدُ بأي شيء لا يستطيع تنفيذه، ولكن إذا قطع على نفسه وعداً للمصدر فإنه يجب أن يحترم هذا الوعد، وهناك ثلاث حالات لا بدَّ أن يحترم فيها المراسل وعوده هي[55]:

أ. إسناد المعلومات الى مصادرها.

ب. عدم الكشف عن أسماء المصادر التي تطلب عدم الكشف عنها (سر المهنة).

ت. عدم نشر المعلومات التي تطلب المصادر عدم نشرها.

(55) سليمان صالح، مصدر سبق ذكره، ص441.

3) مسؤولية خاصة تُجاه المجتمع ومنها.

يُعدُّ النظامُ الإجتماعي من أكثر العوامل المؤثرة في عمل المراسل الحربي إذ يتراوح بين قيّم إجتماعية وأعراف سائدة كالعادات والتقاليد تكمن في أذهان الإعلاميين يلتزمون بها حتى وإن كانوا لا يؤمنون بها، من ضمن المعوقات الإجتماعية ما يمكن أن نسميَه بالذوق الإجتماعي الذي يفرض على المحررين الالتزام به في رسائلهم الاتصالية ويعكس هذا الاهتمام المحاولات للحفاظ على القيم الثقافية والإجتماعية السائدة[56]، لذا نجد المراسل في إنتقائه الأحداث التي يسعى إلى تقديمها أن تكون هادفة لتعزيز وتدعيم القيم والمبادئ والتقاليد السائدة[57].

(56) هالة إسماعيل بغدادي، الصحافيون التلفزيونيون الإخباريون القواعد والقيود، الاسكندرية: المكتب الجامعي الحديث، 2011، ص38.

(57) عظيم كامل الجميلي وثناء إسماعيل العاني، صناعة الأخبار الصحفي والتلفزيونية، عمان: دار صفاء للنشر والتوزيع، 2011، ص156.

4) مسؤولية خاصة بسياسة المؤسسة ومنها[58]:

- مخاطبة الجمهور بلغة واضحة لفهمها.
- الصدق والدقة فيما يقدم من مواد وتقارير إعلامية.
- الإتقان والتوازن وتجنب التحريف أو التشويه أو ذكر انصاف الحقيقة.
- التمييز بين ما هو خبر أو وقائع وبين ما هو رأي.
- حق المواطن في المعرفة.

(58) حسنين شفيق، إعلام تحت التهديد التغطية الإخبارية من قلب الخطر الإنتهاكات والسلامة المهنية للإعلاميين، مصدر سيق ذكره، ص39.

ويقول البروفسور جون إل هالتنج أستاذ الإتصالات بجامعة ستانفورد: إن قوانين أخلاقيات الصحافة يمكن تلخيصها في المبادئ الآتية[59]:

- مراعاة المسؤولية نحو الجمهور، باستخدام سلطاتهم من أجل المصلحة العامة وليس من أجل الحصول على امتياز خاص.
- تقديم التقارير الإخبارية بصورة أمينة وصحيحة ودقيقة، كما يجب أن تكون كتابة التقرير كاملة ومتوازنة وشاملة ومفصلة.

(59) حسنين شفيق، المراسل الإعلامي وفضائح الميدان، القاهرة:دار فكر وفن للطباعة والنشر والتوزيع، 2014، ص39.

ثالثًا: ضغوط المؤسسة الإعلامية على المراسل الحربي

إن سياسة المؤسسة الإعلامية يَتِمُّ وضعها قبل صدورها، وبالتحديد عند تأسيسها إذ يَتِمُّ تحديدُ رؤية خاصة تقوم عليها المؤسسة الإعلامية، ومن ثم الحفاظ على هذا السياق، وتتم عملية انتقاء الأخبار والأحداث على وفق الرؤية التي تتضمن سياسة المؤسسة الإعلامية[60]، وهذه الرؤية ليست مجرد رؤية سياسية تحدّد موقفَ الوسيلة وانتماءها السياسي، بل إن الأساس هو التعبير عن توجّه سياسي أو مبدأ اقتصادي أو نزعة اجتماعية أو دينية تؤمن بها الوسيلة الإعلامية[61].

من ناحية أخرى «يرى كريس باركر أن أهمية ملكية التلفزيون تكمن في قضايا التقييد Constraint والاستقلال، المتصلة بالتنوع أو الحكم الاحتكاري، ولذا يذهب بعض الباحثين الى أن تنوع البرامج مرتبط بتنوع السيطرة والملكية»، فلا شك أن التمويل يحدّد نوع الإدارة المستخدمة في الفضائيات واتجاهاتها، والإدارة بدورها تتحكم في القدر المتاح لحرية التعبير ونوعه وهذا يدل على أن الملكية تؤدي دوراً كبيراً وفعالاً في تحديد سياسة الوسيلة الإعلامية[62].

رابعًا: ضغوط المنافسة، والتوقيت، والسبق، على المراسل الحربي التلفزيوني

يحرص المراسلون الحربيون الذين يعملون في بيئة يحكمها التزاحمُ على «السبق الصحفي» من أجل الوصول الى أحداث متميزة، ففي بعض الأحيان يتجاوزون القوانين، فالتطور التكنولوجي قد يسرع من عملية تغطية الحرب، جاعلا من الأسهل الحصول على المعلومات، ومن الأصعب الحيلولة دون وصولها الى الجمهور[63]، «فهو يبحث عن المعلومة ويختار مضمون الرسالة ثم يتوجّه بها الى الجمهور، وهو بذلك يؤدي دورا مهمّاً بين صانع المعلومة (المصدر) والجمهور(المتلقي)»[64].

إن حرية التصرف في المادة الإعلامية التي يرسلها مراسلو الحرب والتي تُعدُّ سبقاً صحفياً تبقى في يد المسؤولين البعيدين عن حقائق أرض المعركة، وكل هذا السبق وهذه المنافسة- من أهم الضغوط على المراسلين الحربيين في القنوات الفضائية- الخوف من خطفه من المنافس، وبين التأخير في بثه، وحرية التصرف تعني في قاموس التعامل الإعلامي:[65]

- إلغاء النشر أو البث.
- تأجيل بثه لغاية فقدانه آنيته ومن ثمَ أهميته.

(60) محمد سلمان حتو، مناهج كتابة الأخبار الإعلامية وتحريرها، عمان: دار أسامة للنشر والتوزيع، 2012، ص304.

(61) عظيم كامل الجميلي وثناء إسماعيل العاني، مصدر سبق ذكره، ص160ـ161.

(62) الأسد صالح على الأسد، إنفجار الفضائيات العربية الأبعاد الأهداف التأثيرات الثقافية، عمان: دار غيداء للنشر والتوزيع، 2011، ص94.

(63) دايفد ميلر، أخبرني أكاذيب الدعاية والتضليل الإعلامي في الحرب على العراق، ترجمة: إبراهيم العريس، بيروت: بيسان للنشر والتوزيع والاعلام، 2007، ص105.

(64) منال هلال المزاهرة، نظريات الإتصال، عمان: دار المسيرة للنشر والتوزيع، 2012، ص239.

(65) عبد الله الكندي، تغطي الصحافة العربية للحروب دراسات في فلسفات التغطية ومضامينها في حربي الخليج الثانية والثالثة، بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 2008، ص38.

- أو بتر المادة الإعلامية.
- إعادة صياغته وتلخيصه.

إن المراسل الحربي قد يبقى يدور في فلك آليات التعامل الإعلامي مع مادته الإعلامية، اذ انه يخشى في كثير من الأحيان عمليات تأخير وتأجيل البث التي قد تضعف من دافعيته وحماسه إزاء الأحداث الحربية، إن سباق التنافس مع زملاء المهنة قد يؤدي الى تحسن أداء العمل وسلوكياته، إذ إن وسائل الإعلام المتنافسة تأخذ على عاتقها أحياناً مبادرة إستكشاف قضية بعمق بدل الإكتفاء بمجرد معلومات سطحية[66]، كما يؤدي هذا التنافس الى نظر المراسل الحربي التلفزيوني لزملائه الذين يمثلون هنا جماعة ضغط الى أنه يقوم بالأساليب الأتية في معالجة الأحداث: [67]

(66) حسين دبي الزويني، المراسل التلفزيوني بين الخصائص المهنية وفوبيا الاتجاه الآخر، القاهرة: الدار الثقافية للنشر، 2011، ص67.

(67) حسنين شفيق، مصدر سبق ذكره، ص40.

- إعتماد أسلوب التحوير والمبالغة.
- الجري وراء السبق على حساب الدقة وتكامل الموضوع.
- عدم اللجوء الى الوثائق والتسجيلات.
- الإفتقار الى الفهم الدقيق لمعنى الأحداث.
- إحتمال حدوث فوضى ولا مسؤولية من فرط الحرص على السبق الإعلامي.
- ضغط زملاء المهنة يمكن أن يأخذ أشكالا عدّةً، تتمثل في الرواتب والحوافز المالية والتقديرات والترقيات ما يجعلُ المراسلين دائما في حالة مقارنات تؤثر بلا أدنى شك في أدائهم الإعلامي.

خامسًا: ضغوط المصدر على المراسل الحربي

وتتمثل الضغوط على المراسل الحربي التلفزيوني بطلب مراجعة التقارير قبل أرسالها، وقد يطلبون حذف بعض التعليقات[68]، فقد يسعى المسؤولون إلى مراجعة القصة الإخبارية قبل بثها، وقد يطلبون تعديل أو حذف بعض التعليقات أو عدم كشف شخصياتهم[69]، ومهما كانت التعليمات الصادرة إلى القنوات الفضائية لتلافي بث الأخبار غير المرغوب في بثها فإن وجود الرقيب العسكري يجعلهم يتجاوزون عن إتباع التعليمات إعتمادا منهم على أن سلطة الرقيب هي التي ستحدّد الموضوعات التي لا يجب بثها[70]، وثمة مشكلة اخرى تواجه العلاقة بين المراسل الحربي وبين مصدر معلوماته الرسمي، وهذه المعضلة تتمثل بالمعلومات غير الموثوقة أو المسندة والتي لا يشير الى اسم مصدرها، وفي

(68) ستيوارت آلان، مصدر سبق ذكره، ص321.

(69) حسين دبي الزويني، مصدر سبق ذكره، ص75.

(70) محمود محمد الجوهري، مصدر سبق ذكره، ص51.

بعض الحالات يعرض المراسل الحربي عدم ذكر المصدر مقابل الحصول على معلومات[71].

إن عملية اسناد المعلومات الى مصادرها هي قضية في غاية الاهمية بالنسبة لعمل المراسلين، بل هي القاعدة الذهبية لحماية سمعة المؤسسة الإعلامية وتجنب المساءلة القانونية، لذلك يجب توثيق مصدر أي قول أو معلومة أو تصريح بشكل واضح وصريح لسببين[72]:

أ. تمكين الجمهور من تكوين أحكامهم الخاصة بمصداقية المعلومات.

ب. حماية سمعة الوسيلة الإخبارية عند المساءلة أو التحدي.

سادسًا: ضغوط الخطورة للمراسل الحربي

عمل المراسل الحربي التلفزيوني، لا يخلو من المخاطر على حياته أو حريته، فقد يصبح هدفا سواء بالخطأ أم عمدا، وكثيرا ما تعرض بعضهم للقتل أو الاختطاف أو الاعتقال، ومن ناحية أخرى، بعضهم يتهمُّ بالتعاون مع أجهزة المخابرات ويشكك بعمله[73].

ولأن مهنة المراسل الحربي تقتضي منه أن يكون في الميدان بالقرب من الحدث لكشف القصص فهم أكثر عرضة للخطر، لكن المخاطر اليوم أصبحت على درجة عالية، فالتهديدات أصبحت جزءاً من المهنة لا يمكن تفاديه، لاسيما عند ارسال المراسلين تقاريرهم اثناء الحرب، ويتزايد الخطر ويفقدون أرواحهم[74]، وفي هذا السياق ذكر تيري إندرسون[*]: «إن على الصحفيين القيامَ بعملية تقييم مستمرة للأخطار وأن يعرفوا متى يتراجعون، عليك دائما وباستمرار، في كل دقيقة أن توازن بين الأخطار وفائدتها، وحالما تصل الى النقطة التي تشعر عندها بعدم الارتياح للتوازن في هذه الصيغة، اخرج، اذهب، واترك المهمة، فهي لا تستحق ذلك، لا توجد أي رواية إخبارية تستحق الموت من أجلها»[75].

ويرى الباحث أن المراسل الحربي لا يختلف عن الجندي إذ تتعرض حياته للخطر أو يصاب أو يفقد، وقد شهدت الكثير من الحروب استشهاد العديد من المراسلين الذين كانوا اشبه بالفدائيين من اجل أن ينقلوا الى المشاهدين معلومات وتفاصيل ما يجري في ساحات القتال، حيث يمضي المراسلون الحربيون أغلب وقتهم في مناطق الحروب، ومناطق الاشتباك، والتجمعات العسكرية والتي هي عرضة للقصف أكثر من غيرها ويعملون على تزويد مؤسساتهم الإعلامية بالأخبار العسكرية، فقد

(71) عبد الستار جواد، صناعة الاخبار، بغداد: دار الكتب للطباعة والنشر، 2000، ص43ـ44.

(72) عبد الستار جواد، مصدر سبق ذكره، ص44.

(73) بيتر ماك اينتيري، أخبار حية دليل البقاء للصحفيين، عمان: مطبعة فراس، 2003، ص22.

(74) المصدر نفسه، ص1.

(*) تيري اندرسون: الرئيس الفخري المشارك للجنة حماية الصحفيين والمدير السابق لمكتب وكالة الاسوشيتد برس في بيروت، الذي كان رهينة في لبنان لحوالي سبع سنوات. متابعة الباحث للموقع الالكتروني بتاريخ 21/ 3/ 2017 https://www.youtube.com/watch?v=uSjHniAGraE

(75) ليزا شنيلنغر ومهند الخطيب، مصدر سبق ذكره، ص78

شهدت العمليات العسكرية استشهاد العديد من المصورين والمراسلين الحربيين ضحوا بحياتهم وهم يؤدون أعمالهم، وكانوا كالجنود الذين يحملون السلاح في ساحة الميدان، ومن بين الأمثلة الحية على ضغوط الخطورة التي عاشها المراسلون الحربيون، استشهاد المراسل (علي الانصاري) مراسل قناة بلادي الفضائية وإصابة مراسل قناة العراقية الفضائية (حيدر شكور) و(علي جواد)، ومراسل وزارة الدفاع (علاء عيدان)

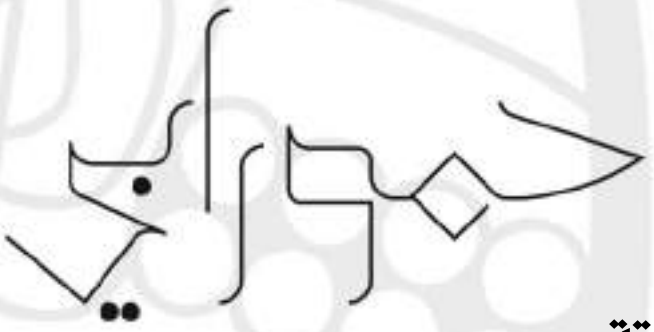

الأبواب الثابتة

- **البحث المُترجَم** — مركز حمورابي للدراسات والبحوث
- **عرض الرسائل والأطاريح** — زهراء صالح مهدي
- **عرض الكتب العربية والأجنبيّة** — هبة علي حسين، مركز حمورابي للدراسات والبحوث الإستراتيجيَّة

البحث المترجم:
الهدفُ الحقيقيُّ لحربِ ترامب التجارية

ترجمة: مركز حمورابي للبحوث والدراسات الإستراتيجيَّة

بقلم: ماثيو بي*
الموقع: مركز ستراتفور

* محرّرٌ دوليٌّ أَقْدَمُ في مجال الطاقة والتكنولوجيا في مركز ستراتفور.

كان أملُ رئيسِ اللجنةِ الأوربيَّةِ جان كلود يونكر أن يقومَ بما لم يفعلْه أحدٌ حتى الآنَ بإسترضاء الرئيسِ الأمريكي دونالد ترامب للصفقة التجارية. وعندما سافر الى واشنطن، كان يحمل في جعبته عرضاً يهدف الى استبعاد الحرب التجارية بين الإقتصادين الرئيسين في العالم. إلَّا أن الاحتمالات لم تكن في صالحه. فبدلاً من القيام بالترتيبات لكسر الحواجز التجارية في العالم، كانت إدارة الرئيس الأمريكي تريد الإلتزام بالرسوم الجمركية العالية على البضائع، مثل الألمنيوم والصلب ومكائن الغسيل والمنتجات الصناعية الصينية. وطالما كان هذا الهدف يركز على حماية السوق المحلية – وليس فتح الأسواق الأجنبية- ستكون جهودُ يونكر وبقيةِ زعماءِ العالمِ تذهبُ هباءاَ.

الصورة الكبرى

لقد هدّدت إدارةُ الرئيس ترامب بفرض المزيد من الرسوم الجمركية على استيراد السيارات وقطع غيارها، وبالتالي ترفع الرهان في الصراع التجاري ضد أعدائها وحلفائها على حد سواء. إن أحد أهداف هذا الأمر، بالطبع، هو كسر الحواجز أمام الصادرات الأمريكية، وهي السياسة التي طالما جرى البحث عنها لحماية المُصنّعين الأمريكان من المنافسة ومن الإستيرادات.

وقد واجه الإتحادُ الأوربي – وخصوصاً ألمانيا – هذه المشكلةَ فيما يخصُّ

الرسومَ الجمركية على السيارات. وسترسلُ بروكسل وفداً كبيراً الى واشنطن لتقديم المقترحات حول تبادل الصفقات التجارية مقابل وقف التهديدات، ومن المتوقع ان تكون مهمةُ هذا الوفد صعبة.

صناعة المذهب التجاري

إشتكى ترامبُ من العجز التجاري الأمريكي قبل أن يدخل المجالَ السياسي. وعندما كان ضيفاً على برنامج اوبرا وينفري في عام 1988 تحدّث عن العلاقات التجارية مع اليابان قائلاً: «إنها ليست تجارة حرة. إذا ذهبتَ الى اليابان الآن وتحاول بيع شيء ما، يجب ان تنسى ما تحاول بيعه. إنسَ الأمر. انه أمر مستحيل تقريباً.... إنهم يأتون الى هنا ويبيعون سياراتهم ويهدمون شركاتنا».

والآن، بعد مضي ثلاثين سنة ما زال يغنّي نفس اللحن (مثلاً حول الهواتف الذكية الصينية بدلاً من اليابان) الذي يكرره من البيت الأبيض يومياً. ورغم كل هذا النقد وإمكانات تغيير موقفه تُجاه هذه القضايا إلاَّ أنه لم يتغيّر واستمر في تركيزه على رسالته الخاصة فيما يتعلق بالتجارة.

من الواضح جداً ان تعريف ترامب للتجارة العادلة لا يتماشى والقواعد التي تحكم التجارة، وانما في النتائج الأخيرة. فإذا أراد طرفٌ التصديرَ أكثرَ من الطرف الآخر، فهذا الأمر يُعدُّ ربحاً. انه رأي يعود تأريخه الى أوربا في القرن السادس عشر، وهو الأمر الذي شجّع السياسيين الجمهوريين في إتهام الرئيس تفكيره في سياسة تجارية ذات مذهب خاص.

لقد رفض الإقتصاديون في القرن الثامن عشر هذه الإستراتيجية بعدّها مضللة، ففي كتاب ثروة الأمم للكاتب آدم سمث، جرت مناقشةُ التالي « لا شيء.... أكثر سخافة من هذا المبدأ ككل حول التوازن في التجارة». فبدلاً من التركيز على الحجم التجاري، قام الإقتصاديون الليبراليون التقليديون مثل سمث ودافيد هيوم ودافيد ريكاردو بتشجيع البلدان على التخصص والمتاجرة بالسلع التي ينتجونها بشكل جيد – بدلاً من الإنتاج السيىء – من أجل تعظيم الإنتاج والثروة.

وبالطبع، لا يتفق ترامبُ مع المصوّتين الإمريكيين المحتملين على هذا. ففي رأيهم، ان 60 عاماً من التخصص والتجارة الحرة قد أفرغت الصناعة التصنيعية وكذلك المجتمعات التي ساندت هذا التخصص، مثل مدينة ديترويت مثلاً، او مدينة غاري في ولاية انديانا.

لقد أصبحت التجارة أسلوباً خلاقاً لتدمير الولايات المتحدة الأمريكية، وإيجاد

وتدمير مدن كبرى في مختلف أنحاء البلاد خلال مرور الزمن. ومن هذه المجتمعات التي عانت التدمير اكثر من العمل الخلاق، من المؤكد ان يبرز مؤخراً نوعٌ من ردود الأفعال السياسية. وكان الجواب هو سياسة ترامب التجارية، التي يبدو ان الرئيس سيتبعها بغض النظر عن تحذيرات الإقتصاديين لحماية قاعدته الإنتخابية والعمل بما يراه مناسباً وصحيحاً بالنسبة للإقتصاد الأمريكي.

التركيزُ على السوقِ المحليَّة

ولأجلِ الوصول الى هذا الهدف، ركَّز البيتُ الأبيض اولاً على تحديد الإستيراد. لم تكنِ القضيةُ تأمينَ الدخول للأسواق الخارجية، كما تبيّن الرسوم الجمركية التي فرضتها واشنطن على مواد الألمنيوم والحديد الصلب. قامت إدارة الرئيس ترامب بالمناقشة لتحديد الإستيراد كان ضرورياً لتشجيع الإنتاج المحلي وتشغيل مصانع الحديد والصلب الامريكية بنسبة 80% من طاقتها، إضافة الى مسألة الأمن القومي. (كان الهدفُ الاستقرارَ الإقتصادي والصناعي – وبعبارة أخرى، معدلات العمالة وليس القدرات العسكرية الأمريكية).

وحتى عندما يتمُّ منح الإعفاءات من الرسوم الجمركية، تسلّمت واشنطن طلبات من الدول التي وافقت على وضع سقف صادراتها حسب الشروط الأمريكية. ولمً تفاجأ إدارة الرئيس ترامب من الرسوم الجمركية التي فرضتها الدول على الصادرات الأمريكية رداً على الموقف الأمريكي لأن هذه الإدارة تهدف الى حماية التصنيع المحلي وهو الأمر الأساس في هذه المحاولة.

والأمر صحيح بالنسبة للمفاوضات حول إتفاقية التجارة الحرة الأمريكية (نافتا) واتفاقية التجارة الحرة بين الولايات المتحدة وكوريا الجنوبية (كوروس). ومن خلال محادثات (النفتا) ظلت الولايات المتحدة الأمريكية صامدة في التزاماتها في تدقيق الإتفاقية لصالح قطاع السيارات المحلي.

قامت واشنطن بالتركيز على قواعد أكثرَ صرامة حول مسألة المنشأ التي زادت من القيمة المضافة بنسبة 50% لأسعار السيارات المباعة في المناطق التجارية. ومنذ ذلك الحين، خفّفوا الشروط داعين صناع السيارات المكسيكيين الى زيادة الأجور لتصل الى 15 دولاراً في الساعة. وبكلتا الحالتين استفاد العمال الأمريكيون في صناعة السيارات. وبالمثل، أصرَّت واشنطن في المحادثات مع كوريا الجنوبية (كوروس) على العودة الى الوعود السابقة ان تفتح أسواقها للسيارات الكبيرة، مثل البيك آب والناقلات ضمن المنافسة الكورية.

المحاولة لعقد صفقة تجارية

لكنَّ لألمانيا موقعاً خاصاً في أجندة ترامب التجارية من خلال تعنيفاته الشديدة. يؤمن الرئيس ان ألمانيا هي «الرابحة» في المجال التجاري بسبب فائضها – الذي يُعدُّ دليلاً لعدم العدالة في العمل التجاري من جانبها. وفي الوقت نفسه، تعتقد ألمانيا ان 20-25% من الرسوم الجمركية على السيارات المستوردة قد تكون مكلّفة بالنسبة لصناعة سياراتها المتوجّهة الى الولايات المتحدة الأمريكية.

وإذا نظرنا الى الصفقة التجارية الخاصة بيونكر، نجد ان خصائصها غير واضحة، ويبدو أن العرض مجرد إتفاقية تجارية بسيطة إذ يقوم الجانبان برفع الرسوم الجمركية عن البضائع الصناعية، تاركة اكثر القطاعات حساسية مثل الأمور الزراعية وبالتالي ستكون هذه الإتفاقية مثالية بالنسبة لألمانيا.

فالبنسبة لألمانيا أصبحت بضائعُها الصناعية منافسةً لتلك المنتجات الأمريكية، ولهذا لن تكون خطراً كبيراً على سوق الإتحاد الاوربي. (ستكون البداية قطع البضائع التي هي أقل منافسة بالنسبة لدول الإتحاد الأوربي).

ومن ناحية أخرى، تستفيد ألمانيا – بسبب وضعها الصناعي المتميّز – إذا قامت الولايات المتحدة بتقليل بعض الحواجز الجمركية لأعضاء الإتحاد الاوربي.

وزيادة إلى ذلك، تحتاج الإتفاقية التجارية التي تشتمل على البضائع المصنّعة على موافقة الأغلبية المؤهلة في الإتحاد الأوربي من أجل تمريرها، بدلاً من التصويت بالإجماع، وهذا يعني أن الدول الصغيرة مثل البرتغال ولاتفيا لن تكون قادرة على تعطيل هذه الإتفاقية.

ولكنَّ فرنسا ربما ستكون هناك رواية اخرى، رغم انه ليس لديها الكثير لتفقده او تربحه من الإتفاقية تحت النظر طالما أنها تستثني الزراعة. وعلى كل حال، تقوم فرنسا بتصدير القليل من سياراتها الى الولايات المتحدة الأمريكية مقارنة مع ألمانيا. كما ان الحكومة الفرنسية كررت مراراً انها لن تتفاوض مع الولايات المتحدة تحت الضغوط.

زيادة الى ذلك، في محاولة فرنسا في تعزيز «الإستقلال الإستراتيجي» للإتحاد الأوربي تحاول ان تتأكد ان واشنطن قد وافقت على رفع الرسوم الجمركية على الصلب والألمنيوم قبل القيام بأية تنازلات لإدارة الرئيس ترامب.

مشاكلُ بلا حدود

لكنَّ التعقيداتِ لا تتوقفُ داخلَ الإتحاد الأوربي. فالإتفاقيةُ الضيّقة التي إقترحها يونكر توفّر المناخَ للصراعات مع قواعد منظمة التجارة العالمية التي تتطلب إتفاقات

ثنائية متكاملة. وبالإضافة الى ذلك، قد يفتقد الرئيس ترامب السلطة للتوقيع بنفسه على الإتفاقية. فسلطة ترويج التجارة الأمريكية – التي تضع القواعد التي يقوم الكونغرس الأمريكي بمنح سلطة التفاوض للرئيس – وضعت بعض المطالب في ان تقوم الإتفاقية التجارية بتوفير الأرضية لمتابعة شؤونها وبشكل سريع. وتتطلب هذه الشروط ان تغطي الصفقة بعض القضايا، مثل حماية الاستثمارات التي تستوجب، لاحقاً، التصويت بالإجماع في الاتحاد الاوربي. وقد تحاول ألمانيا إقناع الكتلة بتخفيض الرسوم الجمركية بنسة 10% على السيارات لتتناسب مع مستوى 2،5% في الولايات المتحدة الأمريكية (وبالمقابل، من المحتمل ان تطالب بروكسل بان تزيل الولايات المتحدة نسبة 25% على استيراد الشاحنات).

وإذا استثنينا الجدوى الاقتصادية، فقد لا تكون الصفقة التجارية الصغيرة في مجال البضائع الصناعية من صالح الولايات المتحدة الأمريكية، فهي تتوخّى الإستفادة العظمى من التنافس – تخصصها كما ورد في كتابات هيوم وسمث وريكاردو – في الصادرات الزراعية وليس في البضائع الصناعية.

وبالمثل، تحمّل القطاعُ الزراعي الأمريكي عبء الرد على الرسوم الجمركية الأمريكية. وربما ستقوم الولايات المتحدة بالضغط لتكون الزراعة ضمن الصفقة التجارية مع الإتحاد الاوربي، وهو أمر قد لا يتناسب مع الموقف الفرنسي.

زيادة الى ذلك، أصبح الإستهلاك متأصلاً في الثقافة الأمريكية، وبالتالي فإن العجز التجاري المستمر سيكون حتمياً. وإذا قلّلنا الحواجز الجمركية على البضائع الأوربية فإنه من الممكن تقليل العجز التجاري الأمريكي مع الإتحاد الاوربي – وبالتالي سيوفِّر الدولارُ الأمريكي القوي للمستهلكين قدرةً شرائيةً أكبرَ عَبْرَ البحار.

آفاقٌ قاتمةٌ للنجاح

من هذا المنظور، من الصعب تخيّلُ أن تصل الولاياتُ المتحدة الأمريكية والإتحادُ الأوربي الى صفقة سريعة لتغيير الرسوم الجمركية على السيارات، رغم محاولات وجهود يونكر. وحسب ما متوفر من الظواهر، لا يبدو الرئيسُ ترامب مُهتمّاً بما فيه الكفايةُ في كسر الحواجز التجارية للبضائع الأمريكية عَبْرَ البحار، بقدر ما هو مهتمٌّ في تحديد الإستيرادات الى داخل الولايات المتحدة الأمريكية، وبالتالي سيصلُ الإتحادُ الأوربيُّ وشركاءُ الولاياتِ المتحدةِ التجاريون الى نفس المأزق في محاولتهم التفاوض مع الولايات المتحدة حول الأمور التجارية.

عاجلاً أم آجلاً، قد تشعر أوربا بالراحة من الحرب التجارية التي يقوم بها الرئيس ترامب – ليس بسبب تصرفاتها وانما بسبب الزيادة في المعارضة المحليَّة للسياسة التجارية للإدارة الأمريكية. وقد أوضح الإقتصاديون أن الرسوم الجمركية قد تساعد المنتجين الأمريكيين للصلب والألمنيوم، إلَّا أنها لن تؤذي الصناعات التي تستهلك هذه المواد – التي تستخدم عدداً أكبرَ من الأفراد التي قد تفقد 146000 وظيفة، حسب بعض التقديرات.

أمَّا الرسوم الجمركية المفروضة على البضائع الصينيَّة التي تركز على المواد الإحتياطية فقد تقلّلُ من الوظائف الأمريكية. ومن المعتقد أن الولايات المتحدة ستخسر 830000 وظيفة إذا استمر الرئيسُ ترامب بإتّباع سياسة الرسوم الجمركية على السيارات، حسبما أورده مركزُ أبحاث السيارات. وإذا إستثنينا مخاطرَ العمالة قد تؤدي الرسوم الجمركية الى زيادة التضخم – بزيادة الضر ائب على المستهلكين الأمريكيين بمختلف المسميَّات.

وفي ذلك الوقت، قد تُجْبِرُ النتائجُ المحليَّةُ لسياسات ترامب الإقتصادية الرئيسَ الأمريكيَّ الى التراجع او مواجهة الهجمات من الناخبين والصناعات المتخبطة والمشرِعين القانونيين.

أما بالنسبة ليونكر وبقيةِ زعماء العالم، فلا يعتقدُ أن اللحظة الحاسمة ستتِمُّ سريعاً، إذ قد يوافقُ ترامب على عرض الإتحاد الأوربي حول الصفقة التجارية، في حالة حصول ضجة كافية بالداخل على الرسوم الجمركية. ورغم الآمال بعقد الصفقة التجارية مع الرئيس ترامب، قد لا يكون أمام يونكر وبقية الزعماء الأوربيين الكثيرُ للحديثِ عن الموضوع.

وهكذا فإنَّ أيَّ تقدمٍ في المعركة، ستتحولُ معركةُ ترامب إلى معركة تجاريَّة بحدّ ذاتها.

الموقع: https://worldview.stratfor.com/article/real_target_trumps_trade_war

عرض الرسائل والأطاريح الجامعية

زهراء صالح مهدي*
باحثة في مركز حمورابي للبحوث والدراسات الإستراتيجيّة

* باحثة من العراق

الصدمات النفطية وآثارها على اقتصاديات الدول الريعية

دراسة تحليلية مقارنة (العراق، والجزائر، وإيران)

للطالب: علاء عبد كطافة
أُطروحة دكتوراة ـ جامعة النهرين ـ كليّة العلوم السياسية ـ 2018

يحتلُ البحث في الصدمات الاقتصادية أهمية كبيرة في النظرية الاقتصادية، إذ إن أحد إفرازات التطورات الاقتصادية العالمية منذ منتصف ثمانينيات القرن الماضي وحتى الوقت الحاضر، هو تكرار الصدمات الخارجية التي تتعرض لها دول العالم، وفي أولويتها الصدمات النفطية تبعاً لانعكاساتها على مجمل القطاعات الاقتصادية، وتلقي بظلالها على مختلف اقتصادات العالم سواء أكانت متقدمة أم صاعدة أم نامية، وتتفاوت درجة تأثير هذه الصدمات من اقتصاد إلى آخر، وفيما يخص وجهة البحث، فإن الدول الريعية تبقى أكثر حساسية لهذه الصدمات كونها تتَسم باعتمادها على مورد طبيعي يربطها أشد الارتباط بالاقتصاد العالمي. وهنا تأتي أهمية دراسة الريع في النظرية الاقتصادية بصفة عامة ونظرية التوزيع بصفة خاصة، إذ يثار الجدل حول ما كون الريع فائضاً، ويجب تحليلهُ ضمن نظرية التوزيع أم نظرية الدخل، فالريع مثار للجدل والنقاش تبعاً لاختلاف وجهات نظر الباحثين فيه، وهذا لا يفترق عن رؤى مفكري المدارس في تفسيرهم للريع، كعائد منذ ظهور التنظير حوله إلى الآن.

مثلت الصدمات النفطية تقلبات في أسعار النفط بما فيه الكفاية لإحداث ركود عالمي أو انخفاض كبير في النشاط الاقتصادي العالمي وارتبطت بالسوق النفطية العالمية

التي توصف بأنها سوق غير مستقرة، إذ تتحكم بها عوامل متغيرة، وكثيراً ما تؤدي هذه العوامل إلى حدوث اختلال كبير بين كميات النفط المعروضة والمطلوب، فالنفط سلعة عالمية إستراتيجية تتداخل مجموعة من العوامل في التأثير في سعرها، وهذا الأمر يجعل العوامل السياسية الدولية التي تحركها الدول الصناعية المتقدمة وعلى رأسها مركز المنظومة الراسمالية الولايات المتحدة الأمريكية تؤثر في أسعار النفط وفق مصالحها الأقتصادية، هذا إلى جانب المنافسة بين أوبك ووكالة الطاقة الدولية؛ ومن ثم التأثير في كمية المعروض النفطي، وفي أسعار النفط، هذا إلى جانب تأثير النفط الصخري الذي كان لهُ الدور الكبير في الصدمة النفطية الأخيرة منذ حزيران (2014) والذي آثر على المعروض النفطي وأسعار النفط من قبل الولايات المتحدة الأمريكية والأسعار من قبل الدول المنتجة لهُ.

وتُعدُ الدول الريعية (النفطية) ومنها (العراق، والجزائر وإيران) من أكثر الدول المتأثرة بالصدمات النفطية، إذ تتأثر اقتصادات هذه الدول بشدة بالتغيرات السريعة والمفاجئة في أسعار النفط؛ بسبب ارتباط أغلب متغيراتها الاقتصادية بأسعار النفط الخام، وكان قطاع النفط هو قاطرة الاقتصاد المحلي، مما ينعكس على حجم الإيرادات النفطية لمعظم الدول المنتجة للنفط، التي تعد مصدراً رئيساً في تمويل الناتج المحلي الإجمالي والموازنة العامة، فضلاً عن ارتباط أسعار النفط بالدولار الذي يمثل العملة القيادية والعملة الأساس لتسعير النفط، وهو ما يجعل كل قطاعات الاقتصاد المحلي تعتمد على القطاع النفطي وتتغذى من ايراداته.

إن معامل ارتباط اقتصادات هذه الدول بالقطاع النفطي يبين لنا تفاوت التأثير ما بين دولة وأخرى، فنلاحظ اختلاف الأثر بين دولة وأخرى وقد يتحكم به كون الاقتصاد ذا تنوع ومشجع لباقي القطاعات أو كونهُ اقتصاداً ريعياً نفطياً. وعند مقارنة تأثير الصدمات النفطية على العراق، والجزائر، وإيران نجد أن نسب التأثير متفاوتة مع اختلاف معامل الارتباط لمتغيرات اقتصاد كل دولة من هذه الدول، إذ نجد أن المتغيرات الاقتصادية في العراق هي الأكثر ارتباطاً قياساً بالجزائر، ويكون الإرتباط اقل في ايران التي يتسم اقتصادها بأنهُ أكثر تنوعاً والاقل ارتباط مقارنة بباقي الدول الريعية، وقد اختلفت الإجراءات المتخذة لتفادي الصدمات النفطية حسب وضع الأقتصاد، وقوة ارتباط المتغيرات لكل دولة بايرادات النفط وأسعاره، وعلى هذا فإنّ على الدول الريعية تطوير اقتصاداتها وتقليل الاعتماد على النفط واستخدام مختلف الآليات لتنويع الاقتصاد.

وتوصل الباحث الى مجموعة من الاستنتاجات والتوصيات وهي:

الاستنتـاجـات

1 - تشكل الصفة الريعية للاقتصادات النامية وما ترتب عليها من درجة الاعتمادية على (المورد الواحد)، وما ولدته تراكماً مع الزمن مذ اكتشاف النفط وتصديره، من خصائص لفت طبيعة المجتمع والدولة متمثلة بـ (الدولة الريعية- العقلية الريعية- السلوك الاقتصادي الريعي- الثقافة الريعية... الخ)، خصائص لا تقل خطورتها عن الخصائص العامة للتخلف؛ لصعوبة الخروج من ربقتها في ظل ازدياد اعتمادية هذه الدول على الريع النفطي وفشل العديد من الدول النفطية في الارتقاء بدرجة تنويع اقتصاداتها، مما يجعل هذه الاقتصادات عرضة بشكل اعمق لحركة اسواق النفط العالمية، وتبدو هذه الاقتصادات وكأنها مطعمة على الخارج.

2 - أن الإصلاحات في هياكل الاقتصاد الوطني بالعمل على تنويع مصادر الدخل امر بالغ الصعوبة في أغلب الدول الريعية؛ لأنهُ يستلزم إصلاحاً سياسياً شاملاً ليس من السهل القيام به؛ ولأنهُ يفترض بالضرورة تغيراً جذرياً في شكل الحكم، وهذا ما لا تسمح به القيادات السياسية المسيطرة التي تحتكر الاستيلاء على الريع وتتحكم بتوزيعه، وإن السلطة السياسية في دول الاقتصاد الريعي لا تسمح بتغيير موازين القوى الاجتماعية لمصلحة قيم مجتمع العمل والإنتاج والعمل على حساب مجتمع السلطة والعائلة

3 - لم تُعد دول أوبك الجهة الوحيدة في سوق النفط العالمية، سواء من ناحيتي الانتاج والتسعير، إذ اضحت الدول خارج الأوبك فاعل أساسي في قرارات الانتاج، ولم تعد القيادة السعرية محصورة بدولة واحدة مثل السعودية (كمنتج متمم)، بل بدت روسيا منتجاً ومصدراً رئيساً، ومن المؤكد أن المستقبل سيفتح الباب لدخول منتجين مؤثرين آخرين مثل العراق، اذا ما وصل الى مستوى (6 مليون برميل يومياً).

4 - هناك تقلبات سريعة ومفاجئة في أسعار النفط، تأخذ شكل دورات الاعمال (Business Cycle)، ويمكن تسميتها بدورات (اسعار النفط)، وهي دورات انتعاش (ايجابية) وأخرى ركودية (سلبية)، ترتبط في جلها على درجة تعافي الاقتصاد العالمي أو تأزمه، فيما بدت بعضها لا ترتبط بعلاقة دالية بمستويات الطلب العالمي على النفط من عدمه، وهذا يمكن أن تفسر بعوامل سياسية واستراتيجية، طالما أن النفط ليس سلعة اقتصادية فحسب، إذ أن سعي

السعودية لإغراق السوق النفطية لإخراج منتجي النفط الصخري من السوق، لم تحقق أهدافها، واستمر انتاج النفط الصخري الأميركي برغم التكاليف الحدية العالية، وهو ما يفسر تحت بند الأمن القومي الأميركي.

5 - من جوانب القوة الاقتصادية التي تتمتع بها الولايات المتحدة، هو تسعير النفط العالمي بالدولار، وهذه ميزة تحرص على الاحتفاظ بها، لتوظيفها في ضمان تأثيرها كقوة اقتصادية على المستوى العالم، فضلاً عن وجود علاقة سببية عكسية باتجاه واحد من سعر صرف الدولار إلى سعر النفط العالمي، أي أن التغيرات السابقة في سعر صرف الدولار، تفسر التغيرات الحالية في سعر النفط العالمي، إذ أن أي تغير في سعر صرف الدولار ينعكس في المقابل على سعر النفط الخام العالمي، وبدورة ينعكس على اقتصادات الدول الريعية النفطية ويؤثر فيها، من جانبي تسعير النفط وارتباط ذلك بعملاتها من جانب اخر.

6 - تُعد اسعار النفط مقارنة بمختلف الموارد الطبيعية، الأكثر حساسية بالعوامل السياسية العالمية، فهي لا تتأثر فقط بعوامل العرض والطلب، بل تتجاوز ذلك إلى أمور أخرى كالمضاربات والإشاعات والتصريحات وغيرها، كما أنها تتأثر بالأحداث العالمية والاستقرار السياسي في دول الانتاج.

7 - على الرغم من أن انتاج النفط الصخري لا يمثل سوى (5-6%) من مجمل إنتاج النفط العالمي، إلا أن احتياطياته منتشرة بدول كثيرة، وهي لا تماثل جغرافية توزيع الاحتياطيات النفطية التقليدية، مما يرفع من درجة المنافسة بين المصادر التقليدية وغيرها، ولا سيّما الصخرية منها، إذ ستتشجع بلدان أخرى للدخول في انتاج النفط الصخري، طالما أن تكاليف انتاجه تنخفض باستمرار في ضوء التطورات التكنولوجية وأساليب الانتاج.

8 - تختلف الدول المنتجة في طبيعة اقتصاداتها وجهود التنمية الاقتصادية، واتجاهات السياسات الاقتصادية التي اعتمدتها، وبالتالي فأن درجة الاعتمادية على عوائد النفط، ونسبة مساهمته في تكوين الناتج المحلي الاجمالي، وكذلك نسبتها من أجمالي الصادرات، بجانب نسبة عوائد النفط إلى اجمالي الايرادات، مختلفة من اقتصاد إلى أخر من بلدان العينة (العراق، الجزائر وإيران)، وعلى وفق هذا فأن بلدان النفط اختلفت في درجة اهتمامها وقدرتها في تنويع مصادر الدخل الوطني، عن طريق تحويل الثروة من النفط

إلى مصادر وأصول منتجة. وهو ما ترتب عليه اختلاف قدرتها على التكيف مع صدمات اسعار النفط (بوجهها السلبي). فضلاً عن حدة تأثيرها المتفاوتة، تبعاً لقدرة الاقتصادات على امتصاص الصدمة.

9 - تؤدي الوكالات الدولية المتخصصة بالطاقة دوراً كبيراً في التأثير في الاسواق النفطية العالمية، واستطاعت تحويل السوق النفطي من سوق منتجين إلى سوق مستهلكين في آحيان كثيرة، ومن خلال سياسات متعددة بعضها اقتصادية عبر الاستثمار في البدائل الطاقوية غير الاحفورية، كما انها استطاعت توظيف علاقات الدول المستهلكة الكبرى (الولايات المتحدة وبريطانيا وفرنسا)، مع اكبر منتجي نفط منظمة اويك (السعودية)، لإعتماد سياسات انتاجية من شأنها التأثير في اسعار النفط، إذ أن اصرار السعودية على زيادة انتاجها مع الانخفاض المستمر لأسعار النفط، جرى تأويله لصالح الاضرار بروسيا وايران.

10 - جميع دول العينة (العراق والجزائر وإيران)، تعاني اقتصاداتها من اختلالات هيكلية عميقة، وفي جميعها تؤدي الدولة دوراً مركزياً في القطاع النفطي، إلا أن نمط السياسات والامكانات التي تحتكم عليها كل دولة وظروف استقرارها السياسي والاقتصادي، أدت دوراً في تخفيف حدة هذه الاختلالات، وهذا ما يمكن ملاحظته في الاقتصاد الايراني عند مقارنته بالاقتصادات الأخرى (العراقي والجزائري)، في مؤشرات نسب إسهام قطاع النفط في (GDP)، وكذلك في نسبة الصادرات غير النفطية الى اجمالي الصادرات.

11 - يؤدي النفط دوراً فاعلاً في اقتصادات دول العينة (العراق والجزائر وإيران)، وهو في العراق والجزائر يعد قطاعاً محورياً لاستدامة نشاط مجتمعاتها والايفاء بالحاجات الاساسية للسكان، فهو المصدر الأساس في تمويل الاقتصاد والموازنة العامة للدولة، ومن دونه لا يمكن المحافظة على الاستقرار السياسي، وتعد حالة إيران أقل وطأة من حالتي العراق والجزائر، تبعاً لحالة تنويع مصادر الدخل، ودرجة ريعية هذه الاقتصاد مقارنة بالاقتصادين العراقي والجزائري، ولعل أبرز ما يمثله ذلك في الأمن الغذائي، فدرجة انكشاف الاقتصاد الإيراني غذائياً هي أقل بكثير من كلا الاقتصاديين، وهو ما يشكل ضغط كبير على موازناتهما لتمويل قائمة الغذاء، مما يجعل كل ذلك معتمداً على اسعار النفط.

12 - جاءت أغلب متغيرات النموذج القياسي متطابقة مع منطق النظرية الاقتصادية وكالآتي:

أ. في حالة العراق كلما ازدادت الايرادات سواء العامة أو النفطية أو غير النفطية، فأن فائض الموازنة يزداد، وكذا والحال نفسه ينطبق على متغير اسعار النفط، وهذا يدل على العلاقة الطردية بينه وبين فائض الموازنة، أما متغير النفقات العامة فجاءت اشارته (سالبة) للدلالة على أنه كلما زادت النفقات العامة؛ أثر ذلك بصورة سلبية على فائض الموازنة في الاقتصاد العراقي.

ب. أما في الجزائر فأن جميع متغيرات النموذج جاءت مطابقة مع منطق النظرية الاقتصادية، ما عدا المتغير المستقل (النفقات العامة)، إذ جاءت قيمته (موجبة)، أي أنه كلما ازدادت النفقات العامة يؤثر ذلك على فائض الموازنة في الاقتصاد الجزائري. وهو تناقض مع النظرية الاقتصادية.

ت. وفي حالة إيران فأن جميع متغيرات النموذج جاءت مطابقة مع منطق النظرية الاقتصادية، ماعدا المتغير التابع (فائض الموازنة) والمتغير المستقل (الايرادات النفطية)، وهذا مؤشر سلبي على فائض الموازنة، إذ كلما تقل الايرادات النفطية يقل فائض الموازنة، أما عند الفرق الاول فقد سجل المتغير المستقل (النفقات العامة) احتمالية حرجة وهو ينعكس سلباً على فائض الموازنة وهذا يطابق النظرية الاقتصادية.

13 - أن قيمة احصائية WALD في العراق بلغت (0.017030-)، وهذا يدل اقتصادياً على نجاح السياسات الاقتصادية المتخذة من قبل السلطة المالية في الاقتصاد العراقي، إذ تعد الاخطاء في الآجل القصير منخفضة جداً (0، 1%)، وممكن اصلاح تلك الاخطاء في الآجل الطويل. أما في الجزائر فأن قيمة الاحصاء WALD بلغت (228717.1-) وهذا يدل اقتصادياً على عدم فاعلية السياسة الاقتصادية الجزائرية بجانبها المالي، إذ أن الاخطاء في الأمد القصير مرتفعة، ولا يمكن اصلاح تلكم الاخطاء في الآجل الطويل، إلا من خلال تغيير السياسات الاقتصادية. أما في إيران فإن قيمة احصائية WALD بلغت (1.761109-)، وهذا يدل اقتصادياً على عدم فاعلية السياسة الاقتصادية الايرانية، إذ أن الاخطاء في الآجل القصير مرتفعة بمقدار (1.7)، ولا يمكن اصلاحها في الآجل البعيد، إلا بكلف اقتصادية مرتفعة.

14 - دلت الدراسة بأن هناك علاقة توازنية طويلة الأمد بين متغيرات النموذج في العراق، وهذا يدل اقتصادياً على أن المشاكل الاقتصادية التي يعاني منها الاقتصاد العراقي في الأمد القصير، من الممكن تجاوزها في الامد الطويل باقل كلفة ممكنة. أما في الجزائر فأن وجود علاقة توازنية طويلة الامد بين متغيرات النموذج مع ارتفاع قيمة احصائيةWALD، يدل اقتصادياً على أن المشاكل الاقتصادية التي يعاني منها الاقتصاد الجزائري في الامد القصير، من الصعب تجاوزها في الأمد الطويل، واذا ما قررت السياسة الاقتصادية تجاوزها، فأن الكلف ستكون مرتفعة. وفي إيران على الرغم من أن هناك علاقة توازنية طويلة الأمد بين متغيرات النموذج، ولكن اخطاء الأمد القصير مرتفعة، فأن ذلك يدل اقتصادياً على أن المشاكل الاقتصادية التي يعاني منها الاقتصاد الايراني في الأمد القصير من غير الممكن تجاوزها في الأمد الطويل إلا بكلف مرتفعة.

15 - إن فعالية السياسة المالية في الاقتصاد العراقي موجبة في الأمدين القصير والطويل، علماً أن أغلب الاقتصادات الريعية تظهر لنا نتائجها سالبة في الأمد القصير وموجبة في الأمد الطويل، الأمر الذي يدل على أمكانية اصلاح الاخطاء في الامد الطويل ولكن بكلف مرتفعة في تلك الاقتصادات.أما في الجزائر فان اخطاء السياسة المالية مرتفعة في الامد القصير، وهو يدل على عدم التحكم بالنفقات العامة بصورة سليمة، ولكن من الممكن اصلاحه في الامد الطويل من خلال زيادة الايرادات وتقليل النفقات العامة وتفعيل الايرادات الضريبية. وفي إيران فأن اخطاء السياسة المالية مرتفعة في الامد القصير، وهذا يدل على عدم التحكم بالنفقات العامة وايرادات النفط بصورة سليمة، ولكن من الممكن اصلاحها في الامد الطويل من خلال زيادة ايرادات النفط وتقليل النفقات العامة، من خلال رسم السياسات والتحكم في الايرادات العامة والضرائب وخفض معدلات التضخم.

16 - أن الاقتصاد العراقي لازال يرزح تحت وطأة الريعية، فكان معامل متغير الايرادات النفطية هو الاكبر بين كل المعاملات الاخرى، عدا الايرادات العامة، اذ بلغ (227.6772) ومن الطبيعي أن يكون متغير الايرادات العامة أكبر بسبب أنه يجمع بين نوعين من الايرادات، وهي الايرادات النفطية والايرادات غير النفطية، أما المعاملات الاخرى فكان الفرق بينها وبين معامل متغير الايرادات النفطية مرتفع جداً. أما الاقتصاد الجزائري فلازل يعتمد على الايرادات العامة

حيث كان الاكبر من كل المعاملات الاخرى، اذ بلغ (11.7878) وهو المتغير الذي يحتوي الايرادات النفطية وغير النفطية، اما المعاملات الاخرى فكان الفرق بينهما وبين معامل متغير الايرادات النفطية منخفض لحد ما. أما في إيران فقد اظهرت النتائج ان الاقتصاد الايراني لازال يعتمد على (الايرادات النفطية) بشكل اساس، إذ كانت الأكبر من كل المعاملات الاخرى، اذ بلغ معامل الايرادات النفطية قيمة(7.5045) وهو المعامل الاكبر بين معاملات جميع متغيرات النموذج.

التوصيـــات:

1 - إقامة الصناديق السيادية (صناديق الاستقرار وصناديق الاستثمار) التي تمول من الفوائض المالية في الموازنة العامة، أو عن طريق تخصيص جزء من الإيرادات النفطية، أو من خلال الاموال غير المصروفة في الموازنـــات السنويـــــة، والغرض منهـــا تشجيـــع الاستثمارات الوطنيـــة وحماية الاقتصاد الوطني من تقلبـــات الأسعار العالمية، وكذلك لضمـــان حصة الأجيال القادمة من الثروة النفطية.

2 - على دول العينة (العراق بخاصة) وضع استراتيجية تنموية شاملة، تعتمد مستويات متوسطة وبعيدة، الغرض منها خفض اعتمادية الاقتصاد على النفط عن طريق التخصيص الكفء للموارد النفطية في تنمية قطاعات الانتاج الحقيقي الأخرى.

3 - على الدول الريعية أن تعمل على تحديد سعر عادل للنفط؛ وذلك بالاستفادة من ثقل مركزها في سوق النفط العالمية، وأن تشارك في بناء حوار فعال بين المنتجين والمستهلكين.

4 - على الدول الريعية وعلى رأسها (العراق، والجزائر، وإيران) عدم الاعتماد على النفط فقط وتنويع القطاعات الاقتصادية وتشجيعها، وهذا يبعد الدول الريعية عن الصدمات النفطية وتأثيرات أسعار النفط وتقلباتها ذات التأثير على جميع المتغيرات الاقتصادية.

5 - على الدول المنتجة بذلُ مزيدٍ من الجهد لاستغلال نفطها على الوجه السليم؛ باتخاذ تدابير استهلاكية وإنتاجية أكثر كفاءة، وبالتصرف الرشيد بالموارد المالية التي تحققها صادراتها النفطية؛ بإقامة استثمارات في المجالات التي

تحقق عوائد أكبر، وتسهم في دفع التنمية الأقتصادية قدماً، والسعي نحو تنويع مصادر الدخل، وتطوير بقية قطاعاتها الأقتصادية وستبقى القوة المالية للدول المنتجة محدودة المفعول؛ ما لم تتحول إلى قوة اقتصادية، ولن يتم ذلك إلا ببناء القدرة الذاتية التي تعزز القدرة التفاوضية في علاقات الدول المنتجة مع المستهلكة، لتحويل هذه العلاقات من علاقات تبعية إلى علاقات قائمة على المصالح المتبادلة والمساواة.

6 - ضرورة قيام العراق بعقد صفقات مع المستهلكين الكبار للنفط وعلى راسهم الصين والهند؛ وتكون عقود طويلة الاجل تضمن استقرار الصـــادرات النفطية تحسباً لاشتداد المنافسة على اسواق النفط، وفي الوقت نفسه تضمن هذه العقود الطويلة الاجل مكانت العراق في الاسواق العالمية للنفط بوصفه منافساً لاكثر المنتجين، وضمانه مبيعات مستقرة تصل إلى (6 مليون ب/ ي). ويحتاج العراق إلى جهود في هذا المجال لزيادة حجم الحصة التصديرية له ضمن الأوبك، ومن ضمنها إقناع الدول الأعضاء في المنظمة في تعويض العراق عما فاتهُ من حصصه التصديرية خلال السنوات الماضية، والتي استفادت منها هذه الدول، وكذلك السعي الحثيث للبحث عن احتياطيات جديدة

7 - وجوب إيلاء الدول الريعيـة عموماً ودول العينة خصوصاً الاهتمام بالصناعات التحويلية؛ لأهميتها الاستراتيجية في خلق بنية اقتصادية متماسكة توفر اداءاً اقتصادياً مستقراً، فضلاً عن قدرتها في الحد من آثار الصدمـات الاقتصاديـة والسياسيـة، وتساعد على نمو ذاتي مستدام.

دور متغير الطاقة في الاستراتيجية الروسية حيال دول آسيا الوسطى

للطالب: احسان محمد عبد الحسين
رسالة ماجستير _كلية العلوم السياسية_جامعة النهرين_2018

تمخض عن تفكك الاتحاد السوفييتي عام 1991، أفول نظام الثنائية القطبية وانهيار المنظومة الاشتراكية وتفكك الاتحاد السوفييتي إلى (15)جمهورية ومن ضمنها روسيا الاتحادية، وتحولت دول آسيا الوسطى إلى ساحة للتنافس نظراً للخصائص للجيو-استراتيجية التي امتازت بها فضلاً عن امتلاكها لاحتياطيات كبيرة من موارد الطاقة من (النفط، الغاز الطبيعي)، وتسهم في سد النقص العالمي لموارد الطاقة في

حالة حصول انخفاض في أحدى الدول المنتجة لموارد الطاقة، وقد سعت روسيا الاتحادية لا سيما بعد عام 2000 إلى ضم دول آسيا الوسطى تحت مظلتها الامنية إذ ما زالت تحلم بعودتها تحت وصايتها، وبالمقابل نلاحظ أن دول آسيا الوسطى تحاول فك التبعية الاقتصادية والامنية التي فرضت عليها واستقلالها بالكامل لا سيما في مجال نقل موارد الطاقة ومد خطوط أنابيب حديثة لنقل موارد الطاقة إلى الاسواق العالمية دون اللجوء الى شبكة الانابيب الروسية، إذ أخذ التنافس والصراع أبعادا جيو- استراتيجية واقتصادية، وكما أدى دور متغير الطاقة في الاستراتيجية الروسية فضلاً عن الدول المتنافسة دوراً بالغ الاهمية في سياساتها الطاقوية، لما له من ابعاد (السياسية، الاقتصادية، الامنية والعسكرية).

إن التوجة نحو اقتصاد السوق والانفتاح على العالم الخارجي كان له أثراً بالغ الأهمية في زيادة توجه هذه الدول نحو نظام (النيوليبرالي) في محاولة فك التبعية الاقتصادية الروسية، بعد تغلغل الولايات المتحدة الأمريكية للمنطقة بعد أحداث الحادي عشر من أيلول عام 2001، وحلفاؤها من دول الاتحاد الأوربي ودول الجوار الأقليمي إذ تمثلت حالة الصراع والتنافس بين الشركات العابرة للقومية المتخصصة في المجال الطاقوي أشبه ما تكون بالحرب الباردة، وقد تمخض هذا التنافس بين الشركات عن إنشاء خطوط نقل موارد الطاقة ومدها لغرض توصيلها إلى الأسواق العالمية لغرض تنويع مصادر امدادات الطاقة وتأمينها وعدم الاعتماد على مصدر واحد.

إن توجه الأنظار نحو دول آسيا الوسطى وبخاصة المطلة على بحر قزوين من قبل الدول الكبرى ودول الجوار الإقليمي لغرض الاستحواذ على مصادر الطاقة، كما أن الموقع الجيوبولتيكي لدول آسيا الوسطى الخمسة (أوزبكستان، تركمنستان، كازاخستان، قيرغيزستان، طاجيكستان) الحبيس شكل معوق أساسي في عملية استغلال ونقل موارد الطاقة لهذه الدول إذ فرضت حالة التنافس للدول الكبرى ودول الجوار الإقليمي إلى إنشاء العديد من المشاريع الخاصة بنقل موارد الطاقة الناضبة (النفط، الغاز الطبيعي) من بحر قزوين (pipelinas) بلاعتماد على شبكة خطوط

وكان المشروع الروسي والمشروع الأمريكي وكذلك مشاريع الاتحاد الأوربي والمشاريع الصينية من أهم مشاريع نقل موارد طاقة في المنطقة وبخاصة في (كازخستان، تركمنستان)، إذ شكل التنافس بين القوى المتنافسة على موارد الطاقة لتحقيق أهداف استراتيجية نظراً للدور الذي تلعبه مصادر الطاقة في سياسة الدول المتنافسة، فضال عن توفير امدادات أمنة ومستقرة لغرض مواكبة حركة التطور والنمو الاقتصادي

عرض الكتب باللغة العربيَّة

باحثة هبة علي حسين*
باحثة في مركز حمورابي للبحوث والدراسات الإستراتيجيّة

* باحثة من العراق

الأحزاب السياسيَّة الكورديَّة في سوريا 1957 - 2000

الباحث: خليل شاخكي.
الناشر: دار الخليج، الأردن، 2018.

يتناول كتابُ الأحزاب السياسية الكوردية في سوريا 1957 – 2000 رصداً للتنظيمات السياسية الكوردية في سوريا خلال هذه الحقبة وتحليل موقفها من مختلف الأحداث، وتأثيرها في اوضاع الكورد السوريين بصور عامة، وأثر الاحزاب السياسية في توجيه بوصلتهم السياسية في التعامل مع القضايا المختلفة وتمَّ إختيار موضوع الدراسة خلال هذه المدة، لأن عام1957 شَهِدَ ولادةَ اول حزب سياسي كوردي سوري منظّم هو الحزب الديمقراطي الكورديَ في سوريا (البارتي).

جاء التوقفُ عند عام 2000 لأنه يشكّل بدايةَ مرحلةٍ جديدةٍ بالنسبة للأحزاب الكورية السورية نتيجةَ وفاة الرئيس حافظ الأسد وتولّي نجلِه بشارٍ الأسد الحكمَ خلفاً له، إذ دخلت الحياة الحزبية في سوريا منعطفاً جديداً.

تَكْمَنُ أهميةُ الدرلسة لأسباب عدّة، منها أن هذا الموضوع لايحظى بالإهتمام من قبلُ بالرغم من وجود حياة حزبية نشيطة بين كورد سوريا والذين يعدّون القومية الثانية في سوريا، ولمعرفة الأفكار التي راجت بين السياسيين الكورد خلال هذة المرحلة، والدور البارز لعدد من الشخصيات الكوردية في تأسيس الأحزاب السياسية وتأثيرهم ومشاركتهم في الحياة الحزبية السورية بصفة عامة، كما يُعدُّ الموضوعُ مدخلاً لمعرفة تطورات السياسة الداخلية السورية بصفة عامة، فضلاً عن الاهتمام الواضح من الإعلام العربي والعالمي لكورد سوريا مؤخراً.

جرى تقسيم الدراسة الى مقدمة وخمسة فصول وخاتمة، وذيلت بقائمة للمصادر والمراجع والملاحق، إذ تناول الفصل الأول، تأسيس العديد من الجمعيات والأندية الكوردية في سوريا قبيل تأسيس (البارتي)، وأهمُّها جمعية مساعدة فقراء الكورد، وجمعية الأمل، ونادي الشباب الكورد في عامودا، وشَهِدَ الحراكُ الكوردي تقدماً ملحوظاً في نهاية الأربعينيات وبداية الخمسينيات من القرن الماضي، وسعى لكي تستند إلى قاعدة توسع نظرتها الى مجمل التطورات السياسية والإجتماعية التي شهدتها سوريا في السنوات الأولى من استقلالها ووقوعها ضحية انقلابات عسكرية متتالية 1949-1954.

ركز الفصل الثاني على تأسيس الحزب الديمقراطي الكوردي (البارتي) 1957-1964 وقد تطرق الى مقدمات تأسيس الحزب (البارتي)، وكيفية تأسيس الحزب وبرنامج ونشاطات الحزب، وإعتقال قيادات الحزب عام 1960، واخيراً الى تراجع دور الحزب 1961 – 1964.

كما كرس الفصل الثالث لدراسة الأحزاب السياسية الكوردية بين الإنشقاقين الاول والثاني 1965 – 1975، وضمَّت إنشقاق الحزب الديمقراطي الكوردي في سوريا.

يتناول الفصل الرابع الأحزاب الكوردية في سوريا وأزمة الإنشقاقات المتكررة 1975- 1990، وانشقاق الحزب اليساري الكوردي في سوريا عام 1975، وتأسيس الحزب الديمقراطي التقدمي الكوردي في سوريا،

كما تَطرَّقَ الفصلُ الخامسُ الى الأحزاب الكوردية السورية في العَقد الأخير من حكم الرئيس الأسد 1990 – 2000، فقد شملت دخول ممثلي الكورد البرلمان السوري عام 1990.

الثُقلُ الآسيويُّ في السياسيَّة الدوليَّة

(مُحدِداتُ القوّةِ الآسيويَّة)

الباحث: مجموعة باحثين

الناشر: المركز الديمقراطي العربي للدراسات الإستراتيجيّة والسياسيّة والإقتصاديّة، برلين – ألمانيا، 2018.

تناولَ الباحثون في كتابهم الموسوم: الثقل الآسيوي في السياسية الدولية (محددات القوة الآسيوية) في ثمانية محاور أساسية، فضلاً عن المقدمة والخاتمة.

إذ ناقش المحور الأول الباحث (أ. محمد بلعيشة) الذي يحمل عنوان (مَدخَل الى

القارة الآسيوية)، وذلك من خلال ثلاثة مطالب، ناقش في المطلب الاول: تعريف قارة آسيا، بينما تناول في المطلب الثاني: الأهمية الجيوبوليتيكية للقارة الآسيوية، وكتب في المطلب الثالث: مؤشرات الأهمية القارة الآسيوية.

أمَّا المحورُ الثاني الموسوم: منطقة غرب آسيا (الشرق الأوسط)، فتناول من خلال أربعة مطالب، المطلب الأول:حدود منطقة الشرق الأوسط في ظل التحولات الدولية، المطلب الثاني: المركز الجغرافي والإستراتيجي لمنطقة الشرق الأوسط، المطلب الثالث: الأهمية الإقتصادية لمنطقة الشرق الأوسط إمكانياتها لعدم الاستقرار والنزاع، المطلب الرابع: العلاقة بين الأهمية الإستراتيجية وعدم استقرار منطقة الشرق الأوسط.بينما كتبت الباحثة (أ. وفاء بوكابوس) عن: أهمية الشرق الأوسط في ميزان القوى الدولي والإقليمي من خلال أربعة مطالب، المطلب الأول: ميزان القوى الدولي في منطقة الشرق الأوسط، المطلب الثاني: ميزان القوى الإقليمي في منطقة الشرق الأوسط، المطلب الثالث: الدور الأوربي والقطري في الشرق الأوسط والإستراتيجيات المطروحة في المنطقة، المطلب الرابع: المشهد الإستراتيجي وانعكاساته على منطقة الشرق الأوسط وآليات إختراقه.

أمَّا المحورُ الثالثُ الذي حمل عنوان (منطقة شمالي آسيا)، تناول فيه الباحثُ (أ. تسعديت كلاليش) الزحف الروسي من أوراسيا الى الشرق الأوسط: بحث في الفرص والتحديات، من خلال ثلاثة مطالب ناقش في المطلب الاول: التوّجه الأوراسي والشرق أوسطي في السياسية الخارجية الروسية، بينما ناقش المطلب الثاني: المكاسب والفرص القائمة والمتوقعة لروسيا في الشرق الأوسط، وتناول المطلب الثالث: التحديات التي تواجه روسيا في الشرق الأوسط.

بينما المحور الرابع في الكتاب الذي يحمل عنوان (منطقة شرقي آسيا)، ناقش فيه الباحث (د. جمال خالد الفاضي) الصعود الصيني وتأثيره في بنية النظام الدولي في إطار نظرية تحول القوة، وذلك من خلال أربعة مطالب. بينما تناولت الباحثة (أ. أسماء بن مشيرح)، السياسة الصينية في آسيا ومستقبل التوازنات الجيوستراتيجية، من خلال أربعة مطالب.

وجاء المحور الخامس تحت عنوان (منطقة جنوبي شرق آسيا)، إذ تناولت فيه الباحثة (د. عائشة حمايدي) موضوع: أمركة الثقافة كوسيلة لتحقيق الأهداف الجيوستراتيجية للولايات المتحدة الأمريكية في منطقة شرق آسيا، من خلال ثلاثة مطالب تناول المطلب الاول: نظرة على الأهمية الجيواستراتيجية لمنطقة جنوبي

شرق آسيا، بينما ناقش في المطلب الثاني: مضامين الخطاب الثقافي الأمريكي في منطقة جنوبي شرق آسيا، أمَّا المطلب الثالث شرح فيه: نتائج أمركة الثقافة في منطقة جنوبي شرق آسيا.

أمَّا المحورُ السادسُ (منطقة آسيا الوسطى)، ناقشت فيه الباحثة (أ. نهى الدسوقي) موضوع الجمهوريات الإسلامية في آسيا الوسطى والقوقاز بين الأهمية والتنافس الدولي، وذلك من خلال أربعة مطالب.

جاء المحور السابع تحت عنوان: منطقة آسيا الهادي (الباسيفيك)، إذ ناقشت فيه الباحثة (د. عبلة مزوزي) (مدخل تعريفي جيو بوليتيكي لمنطقة آسيا الهادي الباسيفيك)، من خلال مطلبين.

بينما شرح الباحث (أ. عبد الرزاق خليج) الانتقال الجيوسترتيجي للقوة نحو الشرق ومستقبل التنافس في منطقة آسيا المحيط الهادي، من خلال ثلاثة مطالب.

المحور الثامن والأخير الذي حمل عنوان (منطقة شبه القاره الهندية) كتب فيه الباحثان (أ. صفراوي فاطمة الزهراء، أ. فودي مصطفى كمال) حول موضوع: البعد الإستراتيجي للهند وباكستان في آسيا، وذلك من خلال خمسة مطالب.

كتب أجنبية مُترجَمة

قسم الترجمة
في مركز حمورابي للبحوث والدراسات الإستراتيجيَّة

هل لحدود الدول معنى في عالم القوميات المزدهرة؟

المؤلف: جوشوا كيتنغ(*)

الناشر: جامعة ييل

الصدور 26 حزيران 2018

(*) جوشوا كيتنغ يعمل محللاً سياسية وكاتباً في موقع (سليت)، ولكنه كان يعمل سابقاً في مجلة السياسة الخارجية.

لكنه حاول إيجاد تعريف «الدولة» من خلال المعايير الرئيسة في الحدود والحكومات واعتراف الدول الأخرى التي ظلت مبهمة.

لقد حاول الكاتب جوشوا كيتنغ ايجاد الاستثناءات لهذه القواعد، بضمنها الدول التي أعلنت وجودها بنفسها مثل ابخازيا وكردستان وصوماليلاند.

ويذكر ان فيت يدليتسكا أمضى خمسة أعوام، يحاول إعادة تشكيل السياسة التشيكية على صورة فكره الليبرالي، قبل أن تخطر له فكرة أفضل.

لماذا لا يصنع دولة جديدة بدلاً من تغيير بلده؟

هكذا نشأت جمهورية ليبرلاند الحرة على رقعة مساحتها سبعة كيلومترات مربعة من ضفة نهر بين كرواتيا وصربيا.

وليبرلاند دولة ذات دستور، الضرائب فيه اختيارية، وعندها ما يشبه التمثيل الدبلوماسي واستمارة لطلب جنسيتها على الإنترنت. فما الذي يجعلها تختلف عن الولايات المتحدة أو بنغلاديش أو مالطا؟.

لقد حاول كيتنغ تبيان انه لا توجد سلطة قانونية عالمية تستطيع تحديد ماهية الدولة إذ ناقش ان الخارطة العالمية التي بقيت ثابتة، لكن التغيّرات الاقتصادية والثقافية والبيئية قد تشعل فتيل التغيير.

كل سمات الدولة

وفي ظل ازدهار القوميات وانتعاش النزعات الانفصالية، ما معنى حدود الدولة، إن كانت الدول كلها وهمية؟.. إنه سؤال تستغله الجماعات المتطرفة إلى أبعد الحدود، زار الصحافي الأميركي جوشوا كيتنغ بلداناً عدة لفهم الاختلافات وأسبابها، وبالتالي كانت النهاية كتابه الموسوم (بلدان غير مرئية... رحلة الى حافة الدولة القومية).

أصدرت الكتابَ جامعةُ ييل، في 296 صفحة، وتحت الإسم التالي:
Invisible Countries… Journey to the Edge of Nationhood

البحث عن البديل المفقود

على امتداد شطر طويل من التاريخ، كانت الحدود مؤقتة تتغير مع صعود الإمبراطوريات وسقوطها.

لكن، منذ عام 2000، لم تنشأ إلا حفنة من الدول الجديدة. وهو وضع أقل ما يُقال فيه إنه ناقص، وفق ما ورد في مجلة «الايكونومست» في مراجعتها كتاب كيتنغ، ناقلة عنه قوله إن الوضع الحالي «يكرّس قرارات إتّخذها مستعمِرون إبان القرن التاسع عشر في أفريقيا والشرق الأوسط على السواء».

هذا وضع يتضمن إبهامات ومناطق خلل مديدة يمكن أن تستغلها جماعات، مثل تنظيم الدولة الإسلامية (داعش)، وقوى مثل روسيا في عهد فلاديمير بوتين.

للتدليل على ذلك، يسوق كيتنغ في كتابه أمثلة، مثل صوماليلاند، التي تعود رسمياً إلى الصومال المبتلية بالفقر والانقسامات. يقول سكان صوماليلاند إن ما يربطهم بالصومال صلة واهية، بل حدود إعتباطية، رُسمت منذ عقود.

تفتخر صوماليلاند بامتلاكها كلَّ سمات الدولة من علم وعملة وممثليات دبلوماسية وحدود. وهي أكثر أماناً من الصومال. لكن، بسبب عدم الاعتراف بها، لا تستطيع الحصول على مساعدات وموارد دولية، وتلاقي صعوبة في توفير أطباء ومعلمين.

أكويسانسي؟

أكويسانسي جماعة من السكان الأصليين الأميركيين، قوامها 12 ألفاً في رقعة بين

أميركا وكندا. وهي تواجه معضلة مماثلة. فلأنَّ جاراتها لا تعترف بسيادتها فيمكن أن يسبب دخول إقليمها انتظارات طويلة

يقول أبرام بنديكت، زعيم مجلس موهوك لجماعة أكويسانسي: «إن محاولة تشغيل خدمة إسعاف في ظل ولاية مختلفة بين ثلاثة بلدان عملية شاقة». وأشار إلى أن الشرطة التي تلاحق مطلوبين للعدالة «لا تستطيع أن تأتي هنا، وتعتقل أحداً، لأنَّها تكون في بلد آخر».

لكن، على الرغم من هذه التحديات، فإن الصيغة الحالية غير قابلة للاستبدال، ذلك أن غالبية أراضي العالم مملوكة لجهة ما، وتغيير الحدود يعني أعمال عنف وعدم استقرار.

سَجِلُ الدول الجديدة فيه من الأمثلة الفاشلة بقدر ما فيه من النماذج الناجحة. فجنوب السودان أعلنت الاستقلال في عام 2011 بدعم حلفاء أقوياء والأمم المتحدة. لكنها فشلت حين تصاعد نزاع سياسي إلى حرب أهلية، تسببت في مقتل عشرات الآلاف ونزوح ملايين.

لا يقدم كيتنغ أجوبة كثيرة في كتابه، لكنه يثير أسئلة مهمة. فالحركات الانفصالية تزدهر في أوروبا، والتغير المناخي يهدد بمحو بلدان شاطئية. يلاحظ يدليتسكا عن الدولة التي انشأها: «إنهم يقولون إن ليبرلاند دولة وهمية، ولكن سائر الدول الأخرى كذلك».

لكنه حاول ربط التأريخ بالملاحظات المتعاطفة التي لاحظها خلال جولاته ومقابلاته الخاصة مع المواطنين والقادة السياسيين والمثقفين في هذه «الدول الوهمية».

إعادة التفكير بالنظام العالمي الجديد

تأليف: جورج سورينسن
دار بلغريف ماكميلان – 2016
ترجمة: مركز حمورابي للبحوث والدراسات الاستراتيجيَّة

يحاول المؤلف جورج سورينسن في كتابه الموسوم (إعادة التفكير بالنظام العالمي الجديد) اكتشاف الأسئلة الراهنة حول وضع النظام العالمي « القديم والجديد» في ضوء عدم الإستقرار الحالي وانتشار ضعف الدول.

إنّنا ندخل مرحلةً جديدة من العالمية: فمستقبل النظام العالمي الليبرالي الذي انشأته القوى عبر المحيط الأطلسي أصبح أكثرَ مدعاة للجدل.

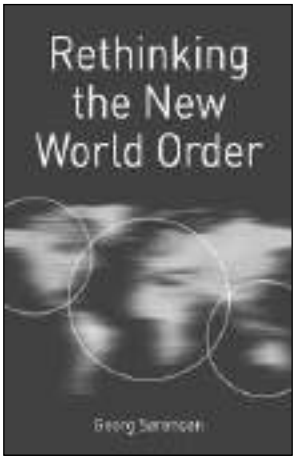

الانتخابات الرئاسية في الولايات المتحدة، ومذكرة ما أُطلق عليه (بري اكزت)، والانتخابات الحالية والمقبلة في القارة الأوربية وبروز التعابير القومية... جميعها تجعلنا نطرح أسئلة مهمَّة حول السياسات الليبرالية في العالم.

في ضوء الشكوك هذه، يعدّ كتاب جورج سورينسن إنجازاً كبيراَ في طرح أسئلة صعبة وفي زمان النظام العالمي «القديم والجديد».

من أجل البدء في استعراض هذا الكتاب، من المفيد توضيحُ معنى «النظام العالمي». فسورينسن يعرّفه بأنه ليس فقط العلاقات بين الدول، وانما إنعكاس لما يحدث داخل تلك الدول (31).

فهو يحاول في كتابه تقديم إطار تحليلي جديد يتألف من ثلاثة أعمدة، هي الظروف المحلية، والظروف الدولية والتوزيع العالمي للقوة.

ومن هنا، يستدعينا هذا الإطارُ الى الانتباه الى تحليل أكثرَ تعقيداً لـ«النظام العالمي»، الذي يهدف الى دمج العناصر المحلية والدولية معاً مع تفهم لتوزيع لقوى العالمية.

في الفصل الاول، يطرح كتابُ سورينسن الإطارَ التحليليَّ للموضوع، من خلال استعراض التقاليد النظرية الرئيسة في نظرية العلاقات الدولية.

وفي الفصل الثاني، يناقش كيف ان جميع الدول، بغض النظر عن مدخولاتها وتطورها الاقتصادي والسياسي، قد اصبحت ضعيفة. ويتغيّر ضعفُ الدول عندما يتنقل المرء بين الاقتصاد المتطور والدول في مرحلة ما بعد الإستعمار.

وعلى كل حال، فإنّ الأمرَ المشاعَ حول «ضعف الدولة» هو جميع الدول يجب ان تتعامل مع التقلبات الاقتصادية والاجتماعية التي تؤدي الى زيادة الفروق في المداخيل، وضعف الثقة في المجتمعات والصراعات المستمرة داخل الدولة نفسها.

ويبين لنا الفصلُ الثالث أن الحروب ما بين الدول لم تَعُدِ التهديد الرئيس للنظام العالمي بسبب كلفة هذه الصراعات السياسية والاجتماعية والاقتصادية التي نشاهدها في العالم المستقل المتداخل.

في الفصل الرابع، يناقش سورينسن القوة التي لا تضمن تكوين الدول او اساليب المحافظة اللاحقة على نوع خاص من النظام العالمي. فالدولة القوية يجب ان تمتلك القدرة – وربما الأكثر أهمية أن لديها عاملَ الإرادة – لقيادة هذا النظام.

أمَّا بالنسبة لسورينسن فإننا نتوقع نوعياتٍ مختلفةً للنظام العالمي. الاول هو عالم أميتاي اتشريا (2010) «المتعدد»، بالاشارة الى ان «النظام العالمي» ليس أُحادياً او ثنائي القطبية، وانما شبكة متداخلة من المشاركين والتحالفات اضافة الى التعددية في الامور السياسية والثقافية، بحيث يكون التصور الثاني أكثر إقليمية.

يناقش الفصل الخامس التداخل بين الدول الضعيفة والتي تمزّقُها الصراعات والنقص في النظام والشرعية، حيث يطرح سورينسن النقاش ان التداخلات في الدول الضعيفة قد تشمل كل من عمليات حفظ النظام وبناء الدولة ذاتها.

إضافة الى ذلك، تضاءلت قوة شرعية النظام الذي تقوده الدول الغربية مؤخراَ. وبالتالي سيكون تكوين «النظام العالمي الجديد» أمراً يثير التحدي لأنه يستدعي وجود صناعة نظام يمكن عدّه شرعيا. ونظراً لوجود الكثير من المشاركين في السياسات الدولية الذين يطالبون بفرص اوسع، فإن هذا الأمر من الصعوبة بمكان إذ سيثير المزيد من «الضجيج» الذي نتوقعه من اجل ملاحظة « تعقيدات الأمن الإقليمي» كأفضل «تكوينات ثانوية»، (123).

ويدّعي الفصل السادس ان تفهم «الالتقاء» بين الامم المتقدمة والأمم النامية يمكن ان يعطينا «صورة وردية». لقد ساهمت العولمة في خلق عالم تميز بالثروة الكبيرة والفقر، ولهذا يحاول سورينسن تسليط الأضواء ان النظام الحالي يعمل حسب منطق النموذج الاقتصادي الليبرالي الجديد، كما يطرح الأسئلة فيما إذا كان هذا الأمر يستطيع ان يؤدي الى الاستقرار، وخصوصاً عندما تُجْبِرُ التوقعاتُ بظروف اقتصادية أفضل الدول النامية في البحث على معدلات نمو اكبر.

إضافة الى ذلك، في الوقت الذي تحاول فيه الأمم المتقدمة النضال في خضم النمو المتباطئ والحفاظ على انجازاتهم في النظام التجاري العالمي، يحاول بعضَ الأمم النامية الحصول على أسواق دولية جديدة بشكل أوسع.

في الفصل الثامن، يبين سورينسن الن النظام الليبرالي في الوقت الراهن أصبح مهزوزاً بسبب الصراعات الداخلية الناجمة عن المصادمات بين الاستقلال والاعتماد الداخلي، بعبارة اخرى استند النظام العالمي الجديد إلى مبادئ الإعتماد الداخلي.

وعلى كل حال، فإن ردود الفعل العنيفة التي جرت في أنحاء العالم تبيّن لنا بروزَ الإستقلال في تصورات الأفراد والأجندات القومية (205)، ولكن من غير المعلوم ما سيحققه هذا التيار، إلَّا ان الكاتب سورينسن ينبه الى ان التصادم المستمر بين الاثنين قد يؤدي الى نتائج غير مرضية، مثل بروز الجناح الشعبي اليميني في الأحزاب السياسية.

وعلى الرغم من ذلك، يحدد المؤلف سورينسن ان هذه التحديات لم تجعل الحوكمة الدولية تدخل في مرحلة «الجمود». فالأسلوب الذي نقوم به في الوقت الحاضر لحل مشاكلنا العالمية قد لا يؤدي الى ربع المستوى المعاشي، كما في حالة التركيز على مسألة التغيّر المناخي واتفاقياته، إلَّا أنه بالإمكان تقليل انبعاث الكاربون وتقليل مستوى الحرارة على مستوى الارض.

بالنسبة لسورينسن فإن الحوكمة الكافية تعني أننا نستطيع التعامل مع تحدياتنا المشتركة، أي من خلال الإتفاقيات الثنائية الجيدة.

وتوفّر لنا الفقراتُ أعلاه لمحة عن كتاب سورينسن بتقديم طروحاته الرئيسة، رغم أن العنوان يشير الى «النظام العالمي الجديد»، وبالتالي فإن المهمة الرئيسة لسورينسن لا تتقيد بهذا المعنى او كيفية تفهمنا له، وانما يتحدث الكتابُ عن مناقشة نظرية اوسع التي يختلف عليها الواقعيون والليبراليون في نظرية العلاقات الدولية.

وعند قراءة نص الكتاب، يتمُّ تذكير القارئ دوماً بهذه المناقشة العظيمة، إلا أنه بدلاً من محاولة التقييم، نجد ان موضوع النظرية يتغلب على أي من التحليلات الخاصة بموضوع « النظام العالمي الجديد» إذ يطرح سورينسن اساساَ وسطياَ للأمر.

ويناقش سورينسن انه يجب على الواقعيين ان يضعوا جانباً التفكير المسيطر على نظرية النظام العالمي استناداً على افتراضات المشاكل الأمنية، واستمرار الصراعات والتنافس ما بين الدول الذي يؤدي دوماً الى الحروب. ومن ناحية أخرى، يجب ان يتوقع الليبراليون تيار الحداثة ويفترضون ان طريقة تفكيرهم هي النموذج الوحيد الذي يمكن تطبيقُه في أي من إجراءات التحكيم.

وعلى هذا الأساس، يفضل سورينسن الوصول الى رأي متوازن بالدعوة الى الثنائية النظرية في نظرية العلاقات الدولية. ويستوجب منا مثلُ هذا التوجّهِ الى التعمق في «الواقعية»، وبالتالي نَخِيطُ تحليلاتنا حسب مقاساتنا. فمثلاً، قد يؤدي هذا الى الحصول على الواقعية، وليس أن نبدأ بالتحليلات على اساس التوقعات بأن

الصراعات ستبقى مستمرة، كما ان التعايش لا يمكن ان يكون سلمياً إلاَّ أن الحروب ليست أيضاً حتمية، وخصوصاً في النظام العالمي الراهن الذي تمَّ تعريفه في التداخل وليس بعبارات التبادل الإقتصادي وانما بالتفاعلات السياسية والإقتصادية بين المجتمعات.

ومن أجل إنهاء هذا العرض للكتاب بمقترحات لأبحاث مستقبلية، تستحق التقاليدُ النظريةُ في نظرية العلاقات الدولية أن نعالجَ الموضوع، بشكل متساوٍ، في ممارساتنا النظرية. وإذا ركّزنا كلّياً على التقسيم بين «الليبراليين المتفائلين» و«الواقعيين المتشائمين»، كما يسميهم سورينسن، فإننا سنكون من المقصرين.

يجب علينا إدماجُ التقاليدِ الأخرى في هذه المناقشة، لأنه لا يستوجب علينا تقليل أهمية جمع الأفراد للمعلومات، والتعلم من كيفية تنظيم المعلومات والتصرف بها بموجب ما يمكن استخلاصه منها.

وكما ذكر بيتر ل. بيرغر وتوماس لاكمان قبل عدة قرون عندما اشارا الى الأفكار المنتشرة بين الافراد والمجتمعات، في كيفية النظر للعالم وكيف يشكّل هذا توقعاتنا حول المستقبل وأهميتها في أمور مثل توزيع القوى والربط بين القوى المحلية والدولية.

وعلى هذا الأساس، كان من الممكن الحصولُ على موضوع أكثرَ قيمة بالنسبة «للنظام العالمي الجديد» بحيث يوفّر معاني أخرى لمختلف القوى التي تؤدي الى هذا الأمر وكيف، بالتالي، تؤثر في «النظام العالمي الجديد» الذي يشكّل تفاعلاتنا الاقتصادية والثقافية والسياسية عبر المجتمعات.

المصدر: http://blogs.lse.ac.uk/lsereviewofbooks/2017/06/06/book_review_rethinking_the_new_world_order_by_georg_sorensen/

مركز حمورابي
العدد
١
كانون الثاني
٢٠١٩
مجلة
إضاءات عالمية مترجمة
صادرة عن مركز حمورابي للبحوث والدراسات الاستراتيجية
ترامب يغادر سوريا .. منظور اسرائيلي.
العراق وإيران والخليج وتركيا والمستقبل.. الجدل.
الذي لا معنى له جهل استراتيجية ترامب في سوريا.
عصر السلام الصعب.. القوة الصينية في عالم مقسم.
المخاطر التي تهدد الاقتصاد العالمي في ٢٠١٩.

Cohesive Periodic for Political and Strategic Affairs
Issued by: Hammurabi Center for Researches & Strategic Studies
27 - 28th Issue - 6th year - Summer - Autumn 2018

Editor in chief: **Prof Dr. Sami Hamoud Al-Haj Jasem**

Editorial Board

Prof. Dr. Khairi Abdul Razzaq Jassim - *Centre For International and Stategic Studies - University of Baghdad*

Prof. Dr. Mohsen Saleh - *Faculty of Social Sciences - Lebanese University*

Prof. Dr. Said M. Dahdouh - *Political Sciences - Iraq*

Prof. Dr. Muthenna Ali Hussain - *Faculty of Political Science - University of Baghdad*

Ass. Prof. Dr. Saadoun Hamoud Jathir - *Faculty of Management and Economics - University of Baghdad*

Ass. Prof. Dr. Wissam Fadel Rady - *Faculty of Education - University of Baghdad*

Editor Secretariat: Zahraa Salih Mahdi

Linguistic Correction: Hameed Kazem Jabr

Advisory Board

Prof. Dr. Muhammad Al-Maliki - *Political Sciences - Morocco*

Prof. Dr. Norhan Al-Sheik - *Political Sciences - Egypt*

Prof. Dr. Imad Al-Jawahiri - *Modern History - Iraq*

Prof. Dr. Mohammed Authman Al-Kashit - *Philosophy - Egypt*

Prof. Dr. Badr Al-Deen Abdullah Hassan - *International law - Sudan*

Asset-Prof. Dr. Abd Al Hussein Shaaban - *International law - Iraq*

Prof. Dr. Arous Zoubir - *Sociology - Algeria*

Prof. Dr. Kamel Wazne - *Economics - Lebanon*

Design and Layout: Hussak Computer Press - Beirut - Tel.: 00961 1 345687

ONE YEAR: FOR INDIVIDUALS: 30 $
FOR INSTITUTIONS: 50 $
FOR ABROAD: 80 $

E-MAIL: HAMMURABIMAGAZINE@YAHOO.COM
The number at the House of Books and Documents In Baghdad
1709 Year 2012

ISSN 2 2 2 7 - 5 3 1 2